

فَحْشُونَ عَمَامًا
فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ

بِقَلَمِ
حَافِظِ وَهْبِهِ
سَفِيرِ الْمَلِكَةِ الْغُرَيْبَةِ السَّعُودِيَّةِ



ع. ب. محمد الشمرى

مُسَوِّدٌ عَامًّا فِي جَنَرِةِ الْعَرَبِ

بَعَثَهُ

حَافِظُ وَهَبِهِ

سَفِيرُ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ



الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

حقوق الطبع محفوظة

٢٠٠٠ / ١٠٦٠٦	رقم الايداع
977-5727-70-7	الترقيم الدولي



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران

مدينة نصر - ت : ٢٦١٠١٦٤

مقدمة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

وبعد :

فإني أقدم لأبناء العربية كتابي الثاني « خمسون عاما في جزيرة العرب » ، وهو متم لما بدأت في كتابي الأول : « جزيرة العرب في القرن العشرين » ، الذي عالجت فيه مسائل مشابهة لما جاء في الكتاب الأول ، من وصف للأحداث السياسية والاجتماعية، التي وقفت على كثير منها بحسّ ومشاعري، ووقع بعضها على مرأى ومسمع مني ، منذ قام عاهل الجزيرة الأكبر « عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود » بتنفيذ ما عزم عليه ، من إعادة ملك آبائه « آل سعود » في نجد ، إلى أن تم له تأسيس مملكته الكبيرة ، الواسعة المساحة ، المترامية الأطراف ، والتي شتمت غربى الجزيرة وشرقها ووسطها وشمالها .

وقد حبّب إلى الثّمام بجزيرة العرب ، ومخالطة أهلها ، مدة تقرب من نصف قرن ، أنها هي المكان الذي ظهرت فيه رسالة الإسلام ، واختبر منه النبي الكريم ، لحل أكبر رسالة في تاريخ الديانات ، وأنه فيها نزل القرآن ، وتفجرت بتابع الهدى المحمدي ، الذي عم نوره معظم أجزاء العالم القديم ؛ ذلك إلى ما وجدته في أهل جزيرة

العرب عامة، وأهل نجد خاصة، من استقامة الدين، والاستمسك بعقيدة السلف الصالح من المسلمين، والعمل بشريعة الإسلام في الأحكام، وإقامة العدالة بين الناس، بفضل ملة الله فيهم في القرن الماضي، المجدد الدينى، والمصلح الكبير «محمد بن عبد الوهاب».

ومما زاد تعلقى بجزيرة العرب شخص الملك الراحل «عبد العزيز بن سعود» فقد رأيت فيه ملكا عظيما، وعربيا محمصا، يحب قومه العرب، ويخلص للإسلام وتعاليمه، ويتوق إلى أن يؤسس مملكة عربية فتية، تضطلع بأسر العرب، وتعمل لإعادة مجدهم القديم، ونير على منهج التقوى، والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية الفراء، كما يرغب فى النهوض ببلاده ومملكته، حتى تبلغ مبلغ البلاد والممالك الراقية، ولا سيما أن فيها الحرمين الشريفين، اللذين هما موضع احترام المسلمين وحبيبهم، وفيهما قبلتهم، وإليها حجهم.

وقد تحقق كل ما تفرسته فى همة الرجل العظيم الملك عبد العزيز، فكانت أمور وأحداث سريعة متلاحقة شهدت معظمها، وإذا «عبد العزيز» يتبوأ ملك آبائه، ولا تقف همة عند ذلك، فيستخلص شمال الجزيرة وغربها من المناوئين له، وإذا هو ملك المملكة العربية السعودية، لا ينازعه فى ملكه الواسع أى منازع.

تلك الأحداث والأطوار التى وقعت فى جزيرة العرب، فى حياة الملك «عبد العزيز بن سعود» هى موضوع كتابى هذا، الذى أذيعه باللغتين العربية والإنجليزية.

وقد ترددت كثيرا فى نشره، لأن اسمى مقترن فيه بكثير من الأحداث، التى كان لى شرف معالجتها، أو الاشتراك فيها.

ولكنى وجدت أن واجبى نحو التاريخ، يقضى على بتدوين مشاهدته وعاصرته من أحداث فى هذه الحقبة من الزمان، وفى هذا الركن من العالم، وأن واجبنا نحو الجيل الحديث، أن نقف على الأحداث والأطوار التى حدثت فى الجزيرة العربية

من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والأزمات الكثيرة التي أحاطت بالرجل العظيم « عبد العزيز آل سعود » .

وإن رائدى فيما ذكرته في هذا الكتاب ، هو تحرى الصدق والحق ، وخدمة التاريخ ، لخدمة الأشخاص ، فما كان لله والحق فسيبقى ، وما كان لخدمة الأشخاص ، فسيزول بزوال الأشخاص : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

وقد ألحقت بالكتاب طائفة من الوثائق والرسائل الصادرة عن جلالة الملك نفسه ، بأمره ، إلى أو إلى غيرى ، وكذلك بعض الرسائل الواردة إلى جلالتى ، منى أو من الجهات المختلفة ، مما جرت له مناسبة فى تضاعيف الكتاب ؛ لأن هذه المستندات والوثائق ، لها قيمة كبيرة فى نظر علماء التاريخ ، وعند من يهتمهم الوقوف على الحقائق من مصادرها الأولى ، الموثوق بصحتها ، وفى مقدمتها النصوص الصادرة عن جهات رسمية .

ولأئسى بمناسبة ظهور هذا السفر ، أن أسدي جميل الشكر إلى صديقى الفاضلين ، السيد « محمود رياض زاده » ، و « الأستاذ مصطفى السقا » عميد كلية الآداب ، بجامعة الملك « سعود » بالرياض .

أما أولها فقد حمل عني عبء ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية ، لأنه من الذين يجيدون معرفة هذه اللغة وآدابها وإجادة تامة . وغرضى من هذه الترجمة أن يطلع العالم العربى على أطراف من سيرة الملك العظيم الراحل : « عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود » ، ومبلغ ما حققته المملكة العربية السعودية فى عصره من التقدم والرفق .

وأما تأليفه ، فلأنه على غنى عيبه الإشراف على استخراج الكتاب وطبعه
وتصحيحه ، فكيف إذا كان معرض في السفر بين الرياض والقاهرة وأوربا ، فلا أتمكن
من مواصلة الإشراف على الطبع بنفسى .

والله يهدينا جميعا إلى سواء السبيل .

ماظف وهب

القاهرة في { ٥ ربيع الثاني سنة ١٢٨٠ هـ
٢٦ جمادى سنة ١٢٨٠ هـ }

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ج - و	مقدمة الكتاب
٢١ - ١	حياة المؤلف - بقلمه
٢٥ - ٢٢	تمهيد : جزيرة العرب
	١
	الملك عبد العزيز
٣٢ - ٢٦	١ - عرض موجز لتاريخه
٣٤ - ٣٣	ب - عبد العزيز القائد
٣٦ - ٣٥	ج - عبد العزيز المجدد
٣٩ - ٣٧	د - عبد العزيز المصلح
٤٢ - ٤٠	هـ - وفاء عبد العزيز
٤٨ - ٤٣	و - أول اجتماعي بالأمير عبد العزيز
٥١ - ٤٩	ز - عبد العزيز السياسي
٥٤ - ٥٢	ح - وفاة عبد العزيز
	٢
	فتح الحجاز
٥٥ -	والقضاء على رأس الأسرة الهاشمية
٥٦ - ٥٥	١ - مقدمة
٦٠ - ٥٧	ب - فتح الطائف
- ٦٠	ج - دخول مكة
٦٥ - ٦١	د - الزحف على الحجاز
٦٩ - ٦٦	هـ - الحكومة المؤقتة
٧٧ - ٧٠	و - الملك حسين والملك عبد العزيز بن سعود

الصفحة	الموضوع
٧٨ - ٧٩	ز - الإمارة الشافعية
٨٠ - ٨٣	ح - مواد مشروع المعاهدة
٨٣ - ٩٢	ط - الملك عبد العزيز وبريطانية
٩٣ - ٩٤	ى - أزمة مع رئيس الخليج الكولونيل بيسكو
٩٥ - ١١١	ك - أزمة أخرى مع الوزير البريطاني : السير أندرو رايان
١١١ - ١١٦	ل - مشكلة الحدود .
	٣
	العلاقات الخارجية
١١٧ - ١٢٦	١ - المملكة العربية السعودية والعراق .
١٢٧ - ١٣٠	ب - نجد وشرق الأردن .
١٣٠ - ١٣٦	ج - سلطان نجد والملك فؤاد .
١٣٦ - ١٤٦	د - المؤتمر الإسلامي العام للخلافة بمصر .
١٤٧ - ١٥٣	هـ - بعثة الأمير سعود إلى مصر .
	٤
	الملك عبد العزيز والقضايا العربية الكبرى
١٥٤ - ١٧٠	١ - المسألة الفلسطينية .
١٧١ - ١٧٢	٢ - المسألة السورية .
١٧٢ - ١٧٦	٣ - المسألة المصرية .
١٧٧ - ١٧٩	٤ - فلبى وقضية فلسطين .
	٥
	الحكومة العربية السعودية بين عهدين
١٨٠ - ١٨٥	١ - في عهد الملك عبد العزيز .
١٨٥ - ١٩٩	ب - في عهد الملك سعود .
	٦
٢٠٠ - ٢٠٧	ميلاد الجامعة العربية

فهرس

البرقيات والرسائل والتقارير والمنشورات والمذكرات والمخطوطات
الواردة في تضاعيف الكتاب في غير الملحق الأخير

رقم	البيان	صفحة
١	من الملك عبد العزيز إلى المؤلف ردا على رسالة أرسلها إلى جلالتة :	٤٥
٢	نعي الإذاعة البريطانية للملك عبد العزيز .	٥٢
٣	منشور من الملك عبد العزيز إلى جميع أهالي مكة وجدة بعد الاستيلاء على الطائف .	٥٧
٤	رسالة من ناظر التكية المصرية إلى المؤلف ، فيها ثناء عليه .	٦٤
٥	نداء عام من سلطان نجد إلى المسلمين كافة بأن سبل الحج ميسورة .	٦٧
٦	رسالة من المعتمد البريطاني بمجدة إلى الملك عبد العزيز .	٧٢
٧	برقية من جدة من الملك على لطلب الصلح من الملك عبد العزيز .	٧٢
٨	رد الرسالة السابقة من الملك عبد العزيز .	٧٤
٩	رسالة من السير ونجبت المتدوب السامي في مصر إلى الحسين بن علي ملك الحجاز .	٧٤
١٠	مشروع معاهدة بين الحسين بن علي والأدارة لإنشاء الإمارة الشافعية .	٨٠
١١	مذكرة من وزير الخارجية الإنجليزية إلى المؤلف في أزمة السير أندرو رايبان .	٩٩
١٢	مذكرة من المؤلف إلى وزير الخارجية البريطانية .	١٠٣
١٣	برقية من الملك عبد العزيز إلى المؤلف عند انتهاء الأزمة البريطانية .	١٠٧
١٤	مذكرة من المفوضية السعودية بمصر إلى المفوضية السعودية بلندن بانتهاء المفاوضات بين المملكة السعودية والمملكة العراقية .	١٢٤
١٥	بلاغ رسمي من الحكومتين السعودية والعراقية :	١٢٤
١٦	برقية من الإمام عبد العزيز بن سعود إلى المؤلف عند تسليم جدة .	١٣٢

رقم	البيان	صفحة
١٧	برقية من الملك عبد العزيز ردا على تهمة المؤلف باستسلام جدة .	١٣٢
١٨	برقية من الدكتور عبد الله السلولجي نائب الملك بحدة إلى المؤلف بمباينة أهل الحجاز الملك عبد العزيز .	١٣٣
١٩	برقية من المؤلف إلى الملك عبد العزيز يستعسر عن أمر المؤتمر .	١٣٣
٢٠	برقية من المؤلف إلى الملك عبد العزيز يستعسر فيها عن حقيقة الأوضاع في الحجاز .	١٣٤
٢١	رد الملك عبد العزيز على البرقية السابقة .	١٣٥
٢٢	رسالة من شيخ الجامع الأزهر (محمد أبي الفضل الجيزاوى) إلى الملك عبد العزيز بخصوص الدعوة إلى المؤتمر الإسلامى للخلافة .	١٣٦
٢٣	رسالة الشيخ حسين والى إلى المؤلف في الموضوع نفسه .	١٣٨
٢٤	خطبة المؤلف نيابة عن الملك في مؤتمر مكة .	١٤٠
٢٥	برقية من الملك عبد العزيز إلى المؤلف عن زيد الشيخ فوزان السابق .	١٤٩
٢٦	رسالة من الملك عبد العزيز إلى المؤلف في رد بعض الإشاعات .	١٥٠
٢٧	رسالة من عبد العزيز العتيق إلى الملك عبد العزيز في الموضوع السابق .	١٥١
٢٨	رسالة من الملك عبد العزيز إلى المؤلف بخصوص انتداب بعض الموظفين المصريين .	١٥٢
٢٩	رسالة من الملك عبد العزيز إلى المستر روزفلت بخصوص قضية فلسطين .	١٦٠
٣٠	رد المستر روزفلت على الرسالة السابقة .	١٦٦
٣١	برقية من الملك عبد العزيز إلى السفير السعودى في باريس عن رأى جلالة في القضية المصرية .	١٧٤
٣٢	ملحق من الملك عبد العزيز إلى المؤلف ليلقح مستر ليفتن عن سياسة الملك نحو بريطانيا .	١٧٥
٣٣	برقية من المؤلف إلى الملك عبد العزيز : « باستثناء منفى السفر من قرية » .	١٨٤
٣٤	برقية من الملك إلى المؤلف في الموضوع السابق .	١٨٤
٣٥	خطبة الملك سعود في افتتاح أول مجلس للوزراء .	١٨٥
٣٦	تقرير من الأستاذ أحمد زكى سعد عن الحالة المالية للمملكة .	١٩٤
٣٧	برقية من الملك عبد العزيز إلى المؤلف بشأن تفكير العراقيين في مشروع الهلال الخصيب .	٢٠٤

فهرس الرسائل

التبادلة بين جلالة الملك عبد العزيز والمؤلف

وممثلى بعض الهيئات السياسية

الصفحة	البيان	رقم
٢١١	من المؤلف إلى جلالة الملك : يعرض بعض مقترحات ، لإصلاح الشؤون الداخلية بالمملكة .	١
٢١٩	بعض أحرار السوريين : يستحث السلطان عبد العزيز لغزو سورية ، وتحريرها من أيدي الغاصبين .	٢
٢٣٤	من جلالة الملك إلى المؤلف ومحبه : يخبرهم بالاستيلاء على قرى الطائف	٣
٢٣٦	من جلالة الملك إلى المؤلف ومحبه ، عن الانتهاء من فتح الطائف وتطهيرها من العدو .	٤
٢٣٩	ملحق من جلالة الملك إلى المؤلف ومحبه : يعلمهم بالانتهاء من أمر الطائف .	٥
٢٤٠	ملحق من الأمير عبد الله بن جلوي إلى السلطان عبدالعزيز ، عن قرب اتفاق إنجلترا وفرنسا ، وأثر ذلك في جزيرة العرب : ويقترح تأخير نشر الكتاب الأخضر .	٦
٢٤١	من جلالة الملك إلى المؤلف : بصدد تأخير نشر الكتاب الأخضر .	٧
٢٤٣	: تعليق على برقية نفى التهم والإشاعات .	٨
٢٤٥	: في تأمين غير المخربين على أموالهم وأنفسهم والتعهد بتعويض المنكوبين في حرب الطائف	٩
٢٤٨	: بخصوص رأى جلالتهم في الأمور المعتادة في موسم الحج .	١٠
٢٥٠	: يبين موعد قدومه إلى مكة لأداء الفريضة وبعض التدابير في حصار جدة .	١١

الصفحة	البيان	رقم
٢٥١	من جلالة الملك إلى جلالة ملك مصر : في التناء على بعض المصريين الذين أدوا خدمات في موسم الحج .	١٢
٢٥٢	من جلالة الملك إلى المؤلف : تعليقا على اقتراح المؤلف استخدام موظفين مصريين ، لتنظيم شئون الجمرك والخبر الصحى وغيرهما .	١٣
٢٥٤	من جلالة الملك إلى المؤلف : يناقشه في أمور ، ويبدى ثقته به .	١٤
٢٥٥	» » » » : يستنكر عدم اعتراف أمير الحج المصرى بخطئه في قتل الناس ، ودخول المحمل المصرى المسجد الحرام .	١٥
٢٥٦	من جلالة الملك إلى المؤلف : في أزمة المحمل المصرى ، وعجز المؤلف عن إقناع المصريين بوجهة نظر النجديين واستغفائه من خدمة جلالة	١٦
٢٥٧	من الشيخ عبد الله السليمان إلى المؤلف ، بأمر جلالة الملك : أنه لا بد من إخراج المحمل المصرى من المسجد الحرام .	١٧
٢٥٨	من جلالة الملك إلى المؤلف بصدد استشفاء سمو الأمير سعود بمصر ، ومسائل أخرى .	١٨
٢٦٠	من جلالة الملك إلى المندوب السامى بالعراق : احتجاجا على مخالفة الحكومة العراقية ، المادة الثالثة من بروتوكول المعاهدة العراقية السعودية .	١٩
٢٦٢	من جلالة الملك إلى المندوب السامى بالعراق للاحتجاج على بناء الحكومة العراقية قصورا وثكنات قريبة من الحدود .	٢٠
٢٦٤	من جلالة الملك ، إلى جميع دوائر الحكومة بالمدينة : لاستقبال هيئة التفتيش والإصلاح .	٢١
٢٦٥	كتاب من جلالة الملك إلى دوائر أهل المدينة يبين تجديد بعض هيئات الموظفين ، وتعيين اختصاصهم .	٢٢
٢٦٧	عهد من جلالة الملك بتعيين وكيل لأمير المدينة ، ومعاون للوكيل ، مع بيان اختصاصهما .	٢٣
٢٧٢	من جلالة الملك إلى المندوب السامى فى العراق : لمنع مجاوزة الطائرات والسيارات العراقية الحدود السعودية .	٢٤

الصفحة	البيان	رقم
٢٧٣	من ميجر برت باليوز دولة بريطانيا في البحرين ، إلى جلالة الملك : يدافع عن وجهة نظر حكومة العراق ، في اتخاذ مبان قريبة من الحدود .	٢٥
٢٧٥	من جلالة الملك إلى المندوب السامي البريطاني بمصر : يذكر فيه ما بينه وبين دولة بريطانيا من صداقة ويعرض عليه خلاصة الموقف في جزيرة العرب .	٢٦
٢٨١	من جلالة الملك إلى « ميجر سيرل برت » : ليبلغ رئيس الخليج الفارسي وليتقدم هذا إلى بريطانيا خبر اعتداء الطائرات العراقية على بدو نجد عند منطقة الحدود .	٢٧
٢٨٣	رسالة أخرى كالسابقة .	٢٨
٢٨٧	من جلالة الملك إلى المؤلف : لتبين أمراهل الغلطة والخطأ والدویش وبعض الغلاة ، وانتعصب في الدين ، وبيان عقوبة جلالتهم .	٢٩
٢٩٠	من جلالة الملك (ملحق) : في تسلم بقية الحصة من حكومة الكويت .	٣٠
٢٩١	» » » » : في الموضوع نفسه .	٣١
٢٩٣	مذكورة من جلالة الملك إلى الحكومة البريطانية : في أخبار فتنة الدویش وانتهاء أمره .	٣٢
٣٠٣	محاضرة المستر قلبي عن فلسطين ، وتقريره أن العرب قابلون للتقسيم ، واعترض المؤلف عليه .	٣٣
٣٠٤	من جلالة الملك إلى المؤلف : بنى ما افتراه قلبي عن رضا جلالتهم بمشروع تقسيم فلسطين .	٣٤

فهرس الصور

صفحة

- ف جلالة الملك سعود عند توليه الحكم .
ص جلالة الملك عبد العزيز .
ق صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز ولي العهد .
ر مؤلف الكتاب .
٢١ الملك الراحل في شبابه .
٢٩ خطاب بخط جلالة الملك عبد العزيز إلى المؤلف .
٣٣ الملك الراحل والأمير سعود (الملك الحالي) .
٣٧ الملك الراحل وولي عهده (الملك سعود) .
٤٦ الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود .
٤٩ الملك الراحل بين المرحومين الدكتور هندأوى والدكتور أبو السعود .
٦٨ يوم غسل الكعبة المشرفة برياسة جلالة الملك .
٨٣ الملك الراحل والسير برسى كوكس .
٩٤ المرحوم الشيخ أحمد شيخ البحرين .
٩٥ الملك الراحل والكولونيل بيسكو .
١٠٥ الملك الراحل .
١٠٦ الإيرل اف أثلون (خال الملك جورج والمؤلف) .
١٠٧ الملك الراحل .
١١٨ الملك الراحل والسير برسى كوكس في العقير .
١٢٠ الأمير سعود (الملك الحالي) .
١٢١ الأمير سعود (الملك الحالي) والملك غازي (ملك العراق) .

- ١٤٥ الأمير فيصل مع هيئة المحمل المصري .
١٤٧ الأمير سعود (الملك الحالي) في صباه :
١٥٠ الأمير سعود (الملك الحالي) وسعد زغلول باشا في القاهرة .
١٧٠ المؤلف ومستريثن وزير خارجية إنجلترا .
١٩٢ حى الوزارات بشارع المطار في مدينة الرياض .
١٩٣ مبنى دار الكتب السعودية بالرياض :
١٩٥ جر سيارة غاصت في الرمال قبل تعبيد الطرق :
١٩٨ المدخل العام للحجر الصحي في جدة .
١٩٩ أحدث أسواق الرياض الآن :



جلالة الملك سعود عند توليه الحكم في عام ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م



جلالة الملك عبد العزيز عام ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ م



صاحب السمو الملكي الأمير «فيصل بن عبد العزيز» ولي العهد



مؤلف الكتاب في زيه العربي

حياة المؤلف

بقلم ..

قد يكون من المفيد للقارئ إذا كان شابا ، أن يقف على شيء من حياة المؤلف وتاريخه ، فهي في الحقيقة تاريخ للحقبة التي نشأ فيها وترعرع ، والبيئات المختلفة التي عاش فيها . هي خمسون سنة أو أزيد ، ليست من حياة المؤلف وحده ، بل هي نصف قرن من تاريخ مصر والشرق الأوسط : كفاح بين الجهل والعلم ، والخرافة والحقيقة ، والأساطير التي ملأت أدمغة الأطفال في عهد الطفولة التي عشناها .

ولد المؤلف في ١٥ يولية ١٨٨٩ في أحد أحياء القاهرة (بولاق) ، وهو حتى امتلا بجميع الطبقات ، على اختلاف الأعمال والمهن التي يزاولونها . يسكنه الفقراء والأغنياء والعمال ، وشأن هذا الحى كشأن غيره من الأحياء الأخرى ، ملؤه بالخير والشر ، والجهل والعلم ، وإن كان الجهل هو السائد في تلك الحقبة من الزمن .

لا ينتمى المؤلف إلى طبقة أرستوقراطية ، ولا طبقة الأغنياء في ذلك الوقت ، لقد نشأ من أسرة متوسطة ، غناها في عفاها ودينها ، وحب الخير ، والبعد عن الشر والأشرار ، وإصلاح ذات البين بين المختلفين من أهل الحى « علوة الحاج » .

حين بلغت السادسة من عمرى أدخلت (الكتّاب) ، وهو نوع من المدارس الأهلية المنتشرة في ذلك الوقت . والمدارس التحضيرية أو الابتدائية كانت قليلة .

والكتاب في ذلك العصر يهيئ التلميذ لتعلم الكتابة والقراءة ، وحفظ القرآن وتجويده .

كان معلمنا (سيدنا) ممن أخذ طريقه في الأزهر ، ولكنه لم يقو على استمرار الدراسة فيه .

وكان فتح الكتاتيب من المهن المتبصرة لمن أوتوا نصيبا قليلا من العلم، ولم يكن يحتاج إلى رأس مال .

كانت طريقه تعليم الكتابة والقراءة وطريقة حفظ القرآن ، من الطرق التي توارثها المعلمون . وكانوا يُسمَوْنَ الفقهاء ، فهي طريقة واحدة في جميع الكتاتيب . وكانت «الفَلَقَة والجريدة» هما العقاب للكلان أو المتخلف عن الحفظ . وكان العمل في الكتاب يتبدى من الصباح ، وينتهى في المساء .

جلسنا نحو سنتين على الأرض ، ثم شملت رعاية وزارة المعارف كتابنا ، فأجلسونا على دِكر طوبلة ، كل دَكة تكفي عشرة من التلاميذ ، وكان سيدنا يستعملنا أحيانا للسير في تشييع الجنازات ، وكان ذلك شائعا في ذلك الوقت .

وقد تطور سيدنا في تعليمنا بعض التطور ، فاربنا في التعليم طبق بعض الكتب الحديثة في ذلك الوقت ، مثل كتاب القراءة لملى مبارك ، وأمين سامى ، وكتاب الحساب لإدريس بك .

كان الكتاب سجننا لا مدرسة ، وسيدنا يخيف بعصاه وشدته ، فلا غرابة إذا كنا نتأمر أحيانا على الهرب من السجن ، ترويحاً للنفس في حديقة من الحدائق العامة ، أو معاكسة الأطفال من سننا في الطريق ، فلم يكن في الكتاب شئ يصلح أن يكون مسلماً للأطفال .

وسيدنا ، وإن كان يحمل قلبا طيبا ، إلا أنه صارم وشديد ، يعاقب على أفته الأشياء ، وعلى ما يظنه خطأ ، يحب أن تهتز حين القراءة ، فإن لم تهتز لتعب اعترى ظهرك ، عدك سيدنا كلان ، ولسمك بالجريدة ، فلا غرابة إذا كرهنا سيدنا ، وتأمرنا عليه ، ولا غرابة إذا دعونا الله أن يريحنا منه ، ولكن الله لم يسمع دعاءنا .

لقد دخل عنصر النظافة كتابنا ، كما دخل في أكثر كتاتيب حينئذ ، وذلك بفضل الإعانة التي كانت تصرفها وزارة المعارف كل سنة ، وكان المفتشون يترجون على المدارس من

شهر إلى آخر . مر علينا ونحن في الكتاب « عاطف يركات » بصامته ، كما فتش كتابنا الشيخ « عبد العزيز شاويش » وألقي علينا درساً في تفسير سورة « أرايت الذي يكذب بالدين » ، ولا أظن أننا فهمنا من تفسيره شيئاً ، وربما يكون سيدنا قد فهم شيئاً من شرح الشيخ شاويش ، فهو أكبر بكثير من سفا ، وربما كان عقله أوعى من عقولنا .

وفي السنة الحادية عشرة من عمرى كنت انتهيت من حفظ القرآن وتجويده ، وكنت أجودت الكتابة والقراءة ، على حسب ما كان يلقه علم سيدنا ، وقد تعلمت من الحساب القواعد الأربع ، وبعض الكسور العشرية ، وهنا انتهيت من الكتاب . فهل ألتحق بالأزهر ، أو ألتحق بإحدى المدارس الابتدائية ؟ ومعلوماتى في الكتاب لا تقل عن السنة الثانية الابتدائية ، ماعدا اللغة الإنكليزية ، فلم تكن من مواد التعليم في الكتاتيب ، ومن أين لسيدنا المال ، حتى يأتى بمعلم للغة الإنكليزية ؟

هنا قامت مشادة بين والدتى وأبى . والدتى وأنا طبعاً نريد أن أدخل إحدى المدارس الابتدائية ، فأقرا فى الحارة قد دخلوها ، وأصبحوا يلبسون البدة والطربوش ، وأبى يصير على دخولى الأزهر للبركة ، وكان للأزهر وعلماؤه شأن كبير ، وتأثير عظيم فى البيئات المصرية ، وأنا أكره الأزهر فى هذه السن ، لأن كثيراً من المجاورين كانوا يحترفون القراءة على المقابر ، وأنا أكره أن أحترف هذه الحرفة . لا أكره أبداً أن أقرأ سورة من القرآن على قبر أحد ممن تربطنى به صلة ، بدون أجراً طبعياً ، أما أن يُطلب منى القراءة بأجر ، فقد كنت أكره ذلك أشد الكراهية . وقد انتصر أبى أخيراً ، فهو الرجل الذى يملك القوة والفصل فى أى خلاف .

لا حاجة إلى ذكر القصص والأساطير التى كانوا يخوفوننا بها فى الليل ، فالمناريت تملأ الحارة ، بل تملأ الدنيا ، ولا غرابة إذا كنا نرتمش ليلاً ونهاراً إذا تركنا أهلنا وحدنا .

أما الأمراض فلكل مرض أسطورة. وأما المشايخ والأولياء فكانوا يقومون مقام الأطباء في عصرنا ، ولكل شيخ اختصاص في شفاء مرض ، ولا تزال هذه الخرافات مع الأسف باقية في مصر . فمن يزور الحسين أو السيد البدوي ، ومن يمر ببوابة المتولي « باب زوية » أو بقبر أبي العلا في بولاق ، يرى العجب من سيطرة الجهل على العقول ، ولكن هذا مآله إلى الزوال بانتشار العلم ، وبالفعل قد زال ذلك من طبقة المتعلمين .

أما حالة البلاد الصحية فبإيهام الشرب كان يحملها السقاءون إلى البيوت ، من النيل مباشرة ، أو من بعض « الحفريات » التي وضعوها أمام بعض الحارات . وليس هنالك مجاري عامة ، والمساجد كانت بؤرة للأمراض سواء أدواتها الصحية ، أو الأماكن التي يتوضأ منها العامة ، فقد كانت في ذلك الوقت أشبه بأحواض السباحة ، كل يغسل وجهه ورجليه فيها ، وكان لكل بيت بئر ، ولكل مسجد بئر ، فلا غرابة إذا انتشرت الأمراض العامة والخاصة في البلد ، ولم يكن يستعير بعض المزاريا الصحية إلا عدد قليل ممن أعطاهم الله ثرائاً ، أو كان من أصل تركي ، أما نحن أبناء العرب أو اللائحين ، كما كانوا يطلقون علينا . فلم يكن نصيبنا إلا ما كتب الله لنا من حياة ناعسة أو موت ، وما أكثر سكان القبور ممن تركوا هذه الدنيا ضحية الأمراض والجمل .

وإذا كان الله قد كتب لنا السلامة والحياة إلى اليوم ، فذلك بفضل المناعة التي منحنا الله إياها ، وكمن إخوة لنا أشقاء ومعارف سكنوا القبور وهم أطفال أبرياء ، بسبب جهل الأمهات والبيئة التي كنا نعيش فيها .

والحمد لله الذي كتب لنا الحياة ، لنرى التطور العظيم الذي تطوره مصر والشرق الأوسط ، وهو وإن كان لم يبلغ الدرجة التي يريد بها كل مصلح محب لبلاده ، والتي تتناسب مع زيادة السكان المستمرة ، إلا أنها خطوة مباركة ، تبشر بمستقبل زاهر ، لمصر وللسائر بلاد الشرق الأوسط .

وإن من يتتبع الخطوات السريعة التي خطتها اليابان ، في نهضتها الصناعية والاجتماعية والسياسية ، بفضل قادتها المخلصين ، وزعمائها الصادقين ، ير أن الخطوات التقدمية التي يخطوها الشرق الأوسط ، وإن جانبها الخطأ أحيانا ، فإنها جديرة بإيصاله إلى الهدف الذي يتطلع إليه ، والذي يجب أن يصل إليه ، وإذا كنا قد تأخرنا عن ركب الأمم الناهضة ، فذلك أثر من آثار الاستعمار الأجنبي ، الذي طال أمده .

دخلت الأزهر على كره مني ، إطاعة لأمر أبي ، فوجدت بيئة غريبة ، وجدت الفوضى ضاربة أطنابها ، حركات من الدروس بعضها بجوار بعض ، هذا يدرس الفقه ، وجاره يدرس التفسير النخ ، حتى الصلاة ، كل جماعة يؤمها فيها إمام ، والقبلة القديمة لها إمام ، والجديدة لها إمام ، فلماذا لا يصلى الجميع وراء إمام واحد ؟

أما التقذارة فحدث عنها ولا حرج ، ولكنها على كل حال لا تختلف كثيرا عن الحياة التي ألقها أكثر الطلاب في بلادهم ، والتي لا تزال ترى أثرها في ريف مصر ، وعلى كل حال ، فقد ألفت الفوضى في البيئة الأزهرية ، وقد أرشدني أحد العلماء الذين كانت تربطه بوالدي رابطة مودة ، إلى اختيار أفضل السبل في الدراسة ، حتى لا أضيع وقتي في الحواشي والتنازير .

لقد كان خير ما في الأزهر اختيارنا أساتذتنا بأنفسنا ، واعتمادنا على أنفسنا في حب الاستطلاع ، فكان ذلك أفضل اتصال روحي بين الأساتذة والطلبة . وكان لكل أستاذ من أساتذتنا صلة خاصة ببعض الطلاب الذين يعرف فيهم الاجتهاد وحب البحث . لقد كانت الكتب التي تقرأها تحوى كثيرا من الخرافات والأساطير ، التي تدل على جبل المؤلفين وضيق عقولهم ، وما يؤسف له أشد الأسف اعتقاد بعض للشيخ صحة هذه الخرافات .

أذكر مرة أن أحد مشايخنا كان يروى قصة ذكرت في إحدى حواشي الكتاب، وهي أن شيخا من المشايخ رأى أستاذا في اللجنة يدرس «السنوية» لأطفال المسلمين، ولم يسكن ذلك الشيخ من كبار العلماء، ولكنه كان يدرس السنوية في الدنيا.

فألت الشيخ المحترم: لماذا لم يذاريهم القرآن؟ وهل دراسة السنوية أفضل من دراسة تفسير القرآن؟ وهل هناك حاجة في الآخرة للدراسة؟ فسبني الشيخ، وقال: إن «بولاق» لا تخرج إلا الزنادقة.

وحضرت يوما مجلسا يُقرأ فيه البخارى لنصرة الدولة العثمانية وهزيمة الطليان. وكان من نصيبي قراءة كتاب البيع، فبعد انتهاء الاجتماع، أو ختام البخارى، أسررت في أذن رئيس الاجتماع، وكان من كبار العلماء: ما علاقة القراءة بالنصر؟ لماذا لا يُقرأ القرآن، وإن كانت قراءة القرآن وحدها لا تبعد المهزمنة عن أحد؟ وأين القراءة في البخارى وغيره من قول الله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»؟ ولكن الشيخ لم يرضه قولي طبعاً؛ وقد سرت هذه الخرافة من الأتراك، فقد كان في موازنة البحرية التركية حتى سنة ١٩١٢ مبالغ تصرف لقراءة البخارى في الأسطول التركى. ونحمد الله على زوال هذه البدع المنكرة من مصر، ومن كثير من البلاد الإسلامية.

وقد اشتهر في أيامنا الشيخ «على حسين البولاقى»، وكان من الموحدين، وقد أعلن في الأزهر وغيره حرباً عواناً على مشايخ الطرق، وعلى ما هو منتشر في مصر من البدع والخرافات التى ألصقها الناس بالدين، والدين براء منها. ومن المؤسف أن أكثر الكتب التى كانت متداولة في أيامنا، لا تخلو من هذه الأساطير والخرافات.

لقد تأثرت كثيراً ببعض دروس الإمام الشيخ محمد عبده، ولم أكن في مستوى تلاميذه، فقد كان جلهم من العلماء والمستشارين، وكبار رجال التعليم في وزارة المعارف، ولكن سمعنا من هذا المصلح ما لم نسمعه من مشايخنا.

لقد سمعت أول ماسمعت ، شرحه لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وانقوا لله لعلكم تفلحون » . فسمعنا منه في تدمير الصبر والتواصي به وبالحق والتقوى ، ما لم نسمعه من قبل من مشايخنا ، فضلا عن العزية الصحيحة ، والإلقاء الآخذ بمجامع القلوب ، مما حبينى فى الرجل وإن لم أكن فى مستوى طلابه .

ولقد سمعته مرة يلقي حديثا عن محمد على باشا ، مؤسس الأسرة الخديوية ، بمناسبة مرور مئة سنة على ولايته ، فكان حديثا مملوا بالحقائق والتاريخ الصحيح لمصر فى ذلك العهد . لقد كان الرجل مؤرخا صادقا ، وشجاعا غير هيب فى سبيل الحق ، وهو أمر لم يكن معهودا فى ذلك الوقت ، لامن العلماء ولا غيرهم . وسمعته مرة أخرى يلقي على الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » ويلقبه بالمصلح العظيم ، ويلقى تبعة وقف هذه الدعوة الإصلاحية على الأتراك ومحمد على ، لجهلهم ومسايرتهم لعملاء عصرهم ، ممن ساروا على سنة من سبقهم من مؤيدى البدع والخرافات ، ومجافاتهم حقائق الإسلام .

ضقت ذرعا بالأزهر وحياته الأزهر ، فرأيت الالتحاق بدار العلوم ، وقد التحق بها بعض زملائى ، ولكن الحظ خانتى فى سنة ١٩٠٦ حيث رسبت فى الفحص الطبى للنظر ، فكانت صدمة شديدة لى . وقد حزنت على وفاة الشيخ « محمد عبده » قبل أن تتاح لى فرصة التزود من علمه وخبرته ، وقد كان الرجل يحمل للأزهر آمالا كبارا . كان يريد أن يتطور إلى جامعة مدنية ، كما تطورت أكسفورد وكبرج والسوريون ، فقد كانت أول إنشائها كالأزهر ، لا تُعنى إلا بالعلوم الدينية والفلسفة النظرية ، ولكنها تطورت مع الزمن ، أما الأزهر فقد بقى كما هو ، يعيش على تراث التأخرين ، والكتب التى كانت تدرس فى ذلك الوقت تنطق بهذا التأخر والتدهور .

لقد درست على الشيخ « محمد نجيب » كتاب الإشارات لابن سينا ، كما درست على الشيخ « محمد حسين مخلوف » ، والد الشيخ « حسين مخلوف » مفتى الديار المصرية

السابق أصول الفقه ، وبعض كتب المنطق ، كالشمسية وقرأت العقائد النسفية ، على بعض الشايخ المروفين في ذلك الوقت .

ولكنني لا أخفى عليك أيها القارىء أن هذه الكتب في تعقيدها تبعدك عن المنطق واللغة العربية .

ودرست الكتاب الثالث من كتب محمد إدريس في الحساب ، على رجل من مدرسى دار العلوم ، هو الأستاذ أحمد عبد البر ، فرأيت من حسن إلقائه وترتيبه ، ما لم أجده من مدرسى الحساب من العلماء ، مما جعلني آسف أشد الأسف لحرماني الالتحاق بدار العلوم .

ولذلك كان سروري لا يُحمد ، حينما صمم « سعد زغلول » وهو وزير المعارف ، على إنشاء مدرسة القضاء الشرعى ، لإخراج طائفة من العلماء ، من طراز آخر ، غير طراز متخرجى الأزهر في ذلك الوقت ، فاختار للمدرسة ناظرا من أكفأ من عرفتهم وزارة المعارف ، عقلا وإدارة ونزاهة ، هو « عاطف بركات » ، كما اختار للتدريس بعض كبار متخرجى دار العلوم ، ممن مارسوا الدراسة في مدرسة الحقوق ، مثل المرحوم الشيخ محمد زيد ، والشيخ أحمد إبراهيم ، والشيخ حسن منصور ، والشيخ الخضرى ، وغيرهم من الأفاضل ، كما اختار عددا من علماء الأزهر لتدريس بعض المواد الأزهرية ، مثل أصول الفقه والتفسير وبعض المواد الأخرى ، التى كانت تدرس فى الأزهر ، ولم أجد فرقا كبيرا بين الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى ، من جهة المواد التى تدرس فيها ، ماعدا النظام وترتيب الدروس وتحضيرها ، والنظافة والأناقة فى اللباس .

صحيح أننا كنا نجد من أمثال الشيخ الخضرى والشيخ أحمد إبراهيم من سمة العقل ، وحرية الرأى ، ما لم نجده عند علماء الأزهر . ولقد وزعت علينا كتب أخرى لم تكن مقررة مثل كتب ابن القيم وغيره من العلماء المصلحين ، فوسّعت هذه الكتب بلا شك مداركنا من الناحية الفقهية ، ولا شك أن إخواننا الذين تخرجوا من المدرسة ،

من تولوا القضاء والإفتاء ، كان لهم فضل كبير في إصلاح قانون الأحوال الشخصية ،
الذى كان يعتمد على مذهب الإمام أبى حنيفة وحده ، فقد أخذوا من المذاهب
الأخرى ما كان أكثر تيسيرا على الناس ، ولا ننسى فضل وزارة الحفائية (العدل
الآن) ، فقد كانت أكبر سند لهذا الإصلاح .

لقد كنت نائرا بفطرتى على الجود ، كما كنت نائرا على الاحتلال البريطانى ،
كغبرى من الشبان . ولكن جو المدرسة كان إنكليزيا . ربما كانت الظروف فى ذلك
الوقت تدعو إلى ذلك ، فالخديو كان يحارب المدرسة ، لأنها من صنع « سعد زغلول » ،
ولأنها تدعو إلى إصلاح القضاء الشرعى ، الدعوة التى كان يدعو إليها الشيخ « محمد عبده »
وبحاول جهده تنفيذها فى بيئة الأزهر ، ولكن أجله لم يطل حتى يقوم بتنفيذ
فكرته .

وكنتم أعتقد أن المدرسة لا تقوم بالرسالة التى كان يجب أن تقوم بها نحو
الإسلام ، ونحو الإصلاح الدينى .

ولقد وجدت من بعض الأساتذة حبرا على حريتنا الفكرية ، كما وجدت روح الملق
والنفاق يسرى فى المدرسة ، كما كان يسرى فى الأزهر . ولذلك قررت ترك المدرسة وأنا
فى السنة الثانية من القسم العالى ، وكان ترتيبى الثالث فى الفصل ، لأننى لم أجد
فى المدرسة ما كنت أصبو إليه من إصلاح ، فركت مصر إلى الآستانة ، والنحت
بالصحيفة التى اعتزم المرحوم « الشيخ عبد العزيز شوايش » إصدارها ، وهى صحيفة
الهلل العثمانى .

وهنا وأنا أودع مدرسة القضاء الشرعى ، أذكر أن من حق التاريخ علينا ، أن
نذكر أن للمدرسة فضلا كبيرا على الأزهر ، كما أن بعض خريجها ومدريها قد ساهموا
فى إصلاح الأزهر ، كما ساهموا فى تدريس بعض المواد الجوهرية فيه ، فالمرحوم الشيخ

حسن منصور قد أسند إليه تدريس التفسير في الأزهر ، فخلق روحا جديدة في تلاميذه .
ولقد قضى الملك فؤاد على مدرسة القضاء ، قفضى على ركن من أركان الإصلاح
الاجتماعى فى بلده ، فى الوقت الذى لم يبن ركنا يحل محله . والأزهر - بالرغم من
التطور الذى تطوره ، فى نظام التدريس والكتب التى تدرس وإلزام الطالب
أستاذا محبنا ، يؤسفنا أن نقرر أنه بعد موت الشيخ « محمد عبده » لم يقم فيه رجل يشبهه
عقلا وجراة فى سبيل الحق والإصلاح .

ولقد كانت الآمال كبيرة فى الشيخ « محمد مصطفى المراغى » ، أحد تلاميذ الشيخ
محمد عبده البارزين . ولكن الخلاف السياسى الذى كان بين القصر والوفد ، لم يمكن
الشيخ المراغى من القيام بتجديد يؤبه له فى الأزهر .

وبالرغم من عدم قيام الأزهر برسالته التى كانت تتطلبها مصر والعالم الإسلامى ،
فإننا لا ننكر أن الأزهر قد أخرج فى فترات مختلفة علماء أجلاء ، ولكن صوت
الإصلاح كان يضيع دائما بين ضوضاء القوضى .

لقد تركت مدرسة القضاء الشرعى ، واستقبلت الحياة الصحفية مع زملاء
أفاضل ، كالمرحوم الدكتور أحمد فؤاد ، والأستاذ المرحوم محمد جلال ، وبعض الشبان
المصريين ، فكانت إدارة الجريدة ناديا للعرب والشرقيين . كان يقوم بالإنفاق على
الجريدة ، حزب تركيا الفتاة ، وكان للشيخ شاولى علاقة متينة بأنور وطلعت وشوكت
باشا ، وغيرهم من رؤساء الحزب . كما كان للمرحوم « محمد فريد » رئيس الحزب الوطنى
حداقة وطيدة مع رؤساء الحزب .

لقد استقبلت الحياة الجديدة برضا وسرور ؛ بالرغم من أن الآستانة أو إستامبول ،
على سعتها وكثرة مساجدها ، ليس بها ترام كهربى ، وجسرها الوحيد لا يصح أن يقارن
عمر قصر النيل أو الجيزة أو كبرى بولاق ، وقد تم بناؤه حديثا . وقد صدق أمير

الشعراء في وصفه هذا الجسر بأنه واه ضعيف . وطرق الآستانة في ذلك العهد لانتقارن بطرق القاهرة ، بالرغم من أن مصر في ذلك العهد لم يكن بها طرق تذكر .

ولقد سمعت أحد الولاة القادمين من طريق الهند ومصر ، يحدون مصر على احتلالها بالإنكليز ، ومعنى لو أن الإنكليز احتلوا تركيا ، فخلقوا منها بلدا متدينا ، كما خلقوا من الهند بلدا عظيما .

لم تطب لى الحياة في تركيا ، ولأسباب بعد أن رأى منى الشيخ عبدالعزيز انحرافا عن سياسته ، فقد كنت أعطف على الحركة العربية عامة ، وأرى أن من حق العرب أن يشاركوا الأتراك في حكم بلادهم ، وإذا كنا في مصر نطالب باستقلال بلادنا ، فمن حق العرب أن يطالبوا بهذا الحق ، والعرب لم يطالبوا بالانفصال عن تركيا .

ولقد طلب منى الشيخ عبد العزيز مرة أن أسافر مع وفد من السنوسيين وجمال القزى للدعاية خرب تركيا الفتاة ، في الانتخابات التي كانت ستجرى هناك ، فرفضت أولا ، لأننا لانعرف البلاد ، وخير لسكبار المصريين مثل الشيخ شايش ، أن يكونوا وسطاء خير بين العرب والأتراك . وقد تم شيء من هذا بعد ذلك ، ولكن الأتراك لم يوفوا بعهدهم ، وغدر جمال باشا بزعماء منهم ، وشبان من خيرة شبابهم ، فأبعد شقة الخلاف بين العرب والترك ، وأتاح الفرصة للحلفاء ، لمناصرة « الشريف حسين » ، بإعلان ثورته ضد الأتراك .

وبعد أن خاب الأمل في تركيا يمت شطر الهند ، وقد كنت تعرفت بعدد كبير من رجالها ، الذين زاروا تركيا في أثناء حرب البلقان ، منهم السياسيون والأطباء والتجار ، وتعرفت في « بجي » ببعض تجار العرب ، منهم الكويقي والنجدي والحجازي ، وتوطدت بيني وبينهم روابط المودة والصداقة ، ولأسيما مع زعيم أسرة آل إبراهيم الشهورة . وفي « دلهي » تعرفت بالدكتور مختار أحمد الأنصاري ، وبالحكيم أجمل خان زعيم الطب العربي

المعروف في الهند بالطب اليوناني ، ومحمد علي وشوكت علي ، وفي «لكنو» تعرفت بمولانا عبد الباري ومولانا أبي الكلام آزاد، وكان يصدر في ذلك الوقت بكتكتنا مجلته الشهيرة (الهلل) .

لقد وجدت مشا كل الهند السياسية ، لا تختلف كثيرا عن مشا كل مصر ، وفيها الأحزاب السياسية المناوئة للإنكليز ، وفيها الأحزاب المائلة لهم ، وفيها المتطرفون والمعتدلون . أما الشؤون الدينية فالخلاف الأساسي كان بين المسلمين والهندوس ، وهو على أشده بين الطبقات غير المتعلمة ، كل جماعة تعمل على إثارة الجماعة الأخرى . المسلمون يعمدون إلى ذبح البقر ، ويصرون عليه ، على مرأى من الهندوس ، والهندوس يعمدون إلى الضرب بالصنج أمام المساجد في الأعياد والجمع . أما الطبقات المتعلمة فقلما يتطور الخلاف بينهم إلى قتال بالسلاح أو بالعصى .

وأما علماء الدين فقد أسسوا مدارس خاصة لهم ، فكان منهم الجامدون الذين يسكنون كل من خالفهم ، ومنهم المجددون ، ومنهم المتوسطون .

وقد نجح السيد أحمد خان في تأسيس كلية «عليكرة» التي أخرجت كل زعماء المسلمين ، الذين كان لهم يد أو أثر في الحركة الاستقلالية في الهند .

ولجامعة أكسفورد وكبرج وغيرهما من الجامعات الإنكليزية ، أثر كبير في خلق جيل جديد من العلماء والزعماء وذوى الرأي في البلاد ، ممن كافحوا وجاهدوا في الوصول إلى استقلال الهند .

لقد اتفقت مع الزعيم شوكت علي ، على تأسيس مجلة إسلامية عربية هندية ، وقد أعددت أول عدد ، ولكن الحرب عاقت صدور المجلة .

وتركت الهند ميمما البصرة ، عندما علمت من بعض المصادر ، أن الحكومة البريطانية قد تعمد إلى اعتقالى ، ولكن القدر أبى إلا أن تقف الباخرة في الكويت ، فزلت بالكويت ضيفا على المرحوم عيسى بن قحطامى ، من كبار رجال البحر بالكويت ، وفيها تعرفت أول ما تعرفت بالصديق الوفى ، الشيخ «يوسف بن عيسى

القناني ، فحب إلى الإقامة بالكويت ربما تنجلي الحالة الحربية . فتعاونت معه على إدارة المدرسة المباركية ، فنظمت ساعات العمل ، وقسمت الدروس على المعلمين الموجودين .

وأخذت على عاتق تدريس اللغة العربية والتاريخ والفقه ، وفي الوقت نفسه كتبت ألقى بعض دروس في الوعظ بالمساجد ، على نحو لم يعهده أهل الكويت من قبل .

وقد توطدت أواصر المودة والصداقة بيني وبين كثير من شيوخ الكويت وشبابه ، وتعرفت بالشيخ «مبارك» في آخر عهده ، ثم بابنه الأكبر الشيخ جابر ، ثم بالشيخ سالم والد الشيخ «عبد الله» الحاكم الحالي ، وبأنجالهم الكبار: المرحوم الشيخ «أحمد» والشيخ الحالي «عبد الله سالم الصباح» .

لقد وجدت في أهل الكويت الأمانة والوفاء والصدق في المعاملة والتدين ، وإذا كان فيهم شيء من الجود والحفاظة على كل قديم ، فالأحوال الاجتماعية السائدة في تلك الأنحاء في الخليج العربي والعراق ، كلها تساعد على هذا الجود .

والكويت اليوم بعد كشف منابع الزيت ، تختلف عن الكويت القديمة في كل شيء ، ففيها اليوم المدارس الكثيرة التي غصت بالطلبة العرب : كويتيين وغير كويتيين ، وفيها المستشفيات وتُطس الأطباء . والواقع أن التطور عام في جميع البلاد العربية ، ولكن التطور نجده ظاهرا أكثر في البلاد الصغيرة في حجمها مثل الكويت والبحرين وغيرها .

إن روحا عربية ووعيا قوميا ينساب في البلاد العربية ، لم يكن موجودا من قبل ، ولكن العلم والراديو وسهولة المواصلات ، كان لها الأثر الفعال في خلق هذه الروح . إن هذه الروح تبشر بمستقبل عظيم للأمة العربية ، وستغلب هذه الروح على جميع العقبات

التي تقف في سبيلها ، سواء أكانت هذه العقبات استعمارية أم محلية . حقق الله
الآمال ؛ وأرانا العرب يتبوءون المنزلة اللائقة بهم ، وما ذلك على الله بعزيز .

لقد رأينا في النصف الأخير مالا يكاد يصدق : إمبراطوريات تزول ، وأمم
تبعث من جديد .

إن يومنا خير من أمنا ، وغدنا سيكون خيرا من حاضرننا ، إذا سلكنا
الطريق السوي ، ونحن سالكوه بإذن الله وتوفيقه .

وفي الكويت تعرفت بالملك «عبد العزيز» في سنة ١٩١٦ ، وكان يُعرف في ذلك
الوقت بالأمير عبد العزيز ، كما ترى ذلك مفصلا في فصل يأتي بعد .

التحقت بالملك عبد العزيز سنة ١٩٢٣ بعد محن طويلة : اعتقال في الهند ومصر من
الإنكليز ، ونفي من البحرين ، والمحن والابتلاء هي خير مايقوّى المرء ، ويخلق فيه العزم
والتصميم ، وما رأيته من أصدقائي وإخواني العرب في البحرين والكويت ونجد ، من
عطف وتأيد ، وماحباي به الملك عبد العزيز من ثقة ، كل ذلك أنساني مرارة الألم ، وقوّى
فيّ روح الأمل في هذه الأمة الكريمة ، القوية بإيمانها ، الغنية بتاريخها وأجادها ؛
وكانت قصة نفي من البحرين قصة غريبة ، تكشف عن الطريقة التي كان يتبعها
بعض ممثلي الدولة البريطانيين في الخليج العربي ، ضد الحق والقانون ، مما يندى له جبين
الحُر ، وإن كانت هذه القصة تمس بعض الحكام ، الأحياء منهم والأموات :

في أوائل سنة ١٩٢١ عين «ميجر ديلي» قنصلا في البحرين ، وهو من الضباط البريطانيين
التابعين للجيش البريطاني في الهند^(١) ، وقد اشتغل في وظائف مدنية في العراق ،
وكانت له يد طولى في إثارة الثورة العراقية سنة ١٩١٩ مع سواء من الضباط البريطانيين ،
بما استعملوه من أساليب الغطرسة والاحتقار ، مما لم يعهده العرب .

(١) جميع القناصل كانوا يختارون من الضباط المذكورين .

بدأ عمله في البحرين بيزور التفرقة بين الشيخ «حد آل خليفة» الابن الأكبر للشيخ «عيسى بن علي آل خليفة»، والشيخ «عبدالله بن عيسى الابن الأصغر»، فأفهم الشيخ حدا أن أخاه يسعى في إبعاده عن ولاية العهد، وفي الوقت نفسه صارج الشيخ عبدالله بأنه لا يستطيع التعاون معه، وأخذ يهاجم معاوني الشيخ عبدالله، ويتهمهم بالحق والباطل، ونفى المرحوم «قاسم الشيراوي» بغير حق إلى الهند، بحجة أنه يثير الفتنة ضد الحاكم.

لقد كان قاسم الشيراوي أحد أعضاء مجلس التعليم في البحرين، وفي إحدى الجلسات حضر الشيخ حد لأول مرة في المجلس، وطلب من أعضاء المجلس تنحية قاسم الشيراوي من المجلس، لأنه يتدخل في سياسة البلد، فأنبرت للشيخ حد وقلت: إن المجلس لا شأن له بالسياسة، وإن فصل البحرين لا يحق له التدخل في شؤون البلد الداخلية، وإن من الخطأ السكوت على ذلك، وإن مغبة السكوت على ذلك ستكون وبيلة على البلد، وعلى حكامها.

إذ أن القنصل كان يشك في مشروعية تصرفاته، طلب من أحد المتعلقين بأذياله، أن يطوف على تجار البلد، لإجبارهم على إمضاء عريضة بشكروته فيها على أعماله الإصلاحية، وبالطبع كان التهديد والوعيد نصيب كل من يتوقف عن الإمضاء، ورفعت الورقة أو العريضة إلى رئيس القناصل في الخليج، لإطلاعه على ثناء الناس عليه، ورضاهم عن أعماله وتصرفاته.

وبعد بضعة أسابيع جاء دوري.

وكنت اعتدت أن أجتمع ببعض الأصدقاء في بعض الحوانيت، نتحدث في مختلف الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والدينية، ولكن في ذلك اليوم كان حديثنا موضوع آخر، هو هذا البلد، وما يجري فيه من أعمال وحشية.

رأى أحد الحاضرين أن زوجة القنصل قدت خاتماً الماسي، فأهملت خادمها

الخاص ، فأنكر ، فاستعمل السوط أداة للاعتراف ، وتحت تأثير الضرب قال الخادم إنه أعطاه لصانع هندي ، فأحضر الصانع ، وكان طاعنا في السن ، فأنكر معرفته الخادم ، ولما أحضرت آلة التعذيب قال : إني هنا في هذا البلد منذ نصف قرن ، ولم يُعرف عني أي شيء يس شرفي أو كرامة مهنتي ؛ وإني مستعد أن أدفع أفدح غرامة ، إذا ثبت أن هذا الخاتم طرق محلي ، وأنا غني من تجارتي ، ولست في حاجة إلى الاتجار بالمسروقات ، فأخليت سبيله ، ثم أحضر الخادم ، واستعملت معه أدوات التعذيب مرة أخرى ، وتحت تأثير الضرب قال : إنه أعطى أو باع الخاتم لأحد الإيرانيين ، وكان يدبر مُقَهَّي ، فأحضر إلى القنصلية ، وكان لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، فوضع تحت آلة التعذيب ، فلم يحتمل الرجل آلام الضرب ، فتوفى بتأثير التعذيب .

ذلك كان حديث الناس في هذا الاجتماع ، وفي غيره من الاجتماعات . وفي مجلس قاضي البحرين الشيخ «قاسم بن مہزع» ، وكنت أزوره كل أسبوع ، أخبرني بتفاصيل الموضوع ؛ وأخذ يستذكر الحادث أشد استنكار ، وقال : لقد أنكر على أحد القناصل السابقين حكى على سارق بقطع اليد ، فكيف يميزون لأنفسهم قتل نفس بريئة ، بسبب تهمة لم تثبت ؟ فقلت : يا شيخ قاسم ، لا شك أن القنصل قد أخطأ من عدة وجوه : فأولا : كان يجب أن يترك التحقيق في هذه القضية الشخصية لغيره .

وثانيا : كان يجب ألا يستعمل التعذيب كوسيلة للاعتراف .

وثالثا : حينما استعمل الجلد كان يجب أن يكون تحت إشراف طبيب ، والدكتور «مناني» وهو طبيب القنصلية ، اعترض على هذا التصرف ، من جلد الأتراك المسكين بدون إشراف طبيب ؛ فقد أدى هذا التعذيب إلى موته .

فقال الشيخ قاسم : ماعهدنا مثل هذا من البريطانيين ، قبل أصبحوا يستعملون السوط بدل القانون ؟ فقلت له : إن هذا خطأ شخصي ، وليس من العدل أن تحمل

الدولة الإنكليزية خطأ فرد من أفرادها ، مهما يملك من سلطة .
عند هذا الحد انتهت الزيارة .

وفي ثاى يوم من الزيارة ، وكان الموسم صيفا ، وكنت أسكن خارج البلدة ،
فى عريش مبنى من الجريد ، على حسب عادة أهل البحرين ، وكنت أسكن بجوار
الشيخ عبد الرحمن الزبائى ، إذ أقبل علينا الشيخ حمد ، والد الشيخ سلمان الحاكم
الحالى ، وقال : جئت لزيارتك . فقلت : هذا شرف عظيم ، وبعد أن تناول القهوة ،
قال الشيخ حمد : جئت لأرجوك فى مسألة بسيطة ، فقل لى : قبلت الرجاء ، لقد
ارتبكت ، فلم أدر بماذا أجيب . شيخ البلد يرجونى فى مسألة ، وهو الأمر الناهى ،
ولكنى أجبت الشيخ : لا أستطيع أن أجيب الرجاء قبل أن أعرف حقيقة الموضوع .
وبعد أخذ ورد طويلين قال : جئت من عند الباليوز (القنصل) الآن ، فوجدته غاضبا
وحافا عليك ، متكدرا غاية السكدر ، فقد نعى إليه أنك تحرض أهل البحرين ، وتثيرهم
عليه ، بسبب هذا الإيرانى ، وهو يقول إنك أجنبى عن البحرين ، وإنك مشمول
بمحايتة ، وهو يطلب أن تكتب كتابا تعتذر فيه عما قمت به من إثارة الحواطر ، وتعتهد
أن تلتزم السكينة ، وألا تتدخل فى المسائل السياسية . فقلت للشيخ حمد : إنى
لا أعتذر عن عمل لم يصدر منى ، ولن أكتب تعهدا مطلقا ، وإنى مستعد أن أترك
البلد إذا كان ذلك يرضيك . وبعد جدال عنيف رأى الشيخ حمد أن أقابل القنصل ،
وأوضح له حقيقة الموضوع .

وفى المساء تم الاجتماع مع القنصل ، بحضور الشيخ حمد الحاكم . وبعد استراحة
قصيرة قال القنصل : لقد كنت أود أن أراك قبل الآن ، فأنت تشغل بالتعليم ، وأنا
يهمنى أمر التعليم ، ولقد بلغنى إثارتك الناس فى السوق ، فاستكثرت ذلك من رجل
مذهب مثلك . لقد كنت أنتظر الدفاع عنى منك ، أو على الأقل أن تبادر بإخبارى

نما يدور في مجتمع البحرين . وعلى كل حال أنا أعتبر الموضوع منتهيا بعد هذه الزيادة .
فأجيبه قائلا :

يا حضرة القنصل :

إذا كان أحد أخبرك بشيء ، فهو الشيخ قاسم بن مهزح ، فهو الرجل الوحيد الذي
دار بيني وبينه نقاش في هذا الموضوع ، ولم أبحث هذا الموضوع مع أحد مطلقا من أهل
البحرين ، بل كنت مستمعا لما جرى ، كغيري من المقيمين في البحرين .

أما أن أخبرك بما يدور في المجتمعات ، فهذا أمر متبني عنه شرعا ، وأنا كما تعلم
من رجال الدين ، قد يجوز أن أدافع عنك كصديق فيما أعتقد أنه حق ، ولكن لا يجوز
أن أخبرك بما جرى في مجلس من المجالس ، لأن ذلك يخطئ الكرامة والشرف .

وبذلك انتهى الاجتماع ، ولكن يظهر أن القنصل لم يقنع ، فقد أرسل إلى
القاضي المذكور ، وألح على أن أكتب كتابا بالاعتذار ، وكما أشرت من الاعتذار ،
أكثر هو من الإلحاح .

وفي ديسمبر سنة ١٩٢١ تلقيت الكتاب الآتي ، من الشيخ قاسم بن مهزح
قاضي البحرين :

« وأسنى سلام الإسلام بحضرة السيد الرشيد ، المرشد المربي ، الأوفق الموفق ،
العلامة الشيخ حافظ وهبة ، حفظه الله .

وإني أحمد الله إليكم ، طالبا من حضرتكم الملاقاة ، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته . »

فقابلت الشيخ المحترم ، ودار بيني وبينه حديث طويل في كتابة كلمة للقنصل ،
فكتبت الكلمة الآتية :

« جناب ممتد جلالة ملك بريطانيا العظمى في البحرين : (س . ك) ميجر ديلي المحترم :
بعد التحية ، بناء على طلب وإلحاح الصديق الشيخ قاسم بن مهزح قاضي البحرين ،

أحب أن تتحققوا أنى لأحمل لشخصكم الكريم إلا كل احترام وإكبار يليق
بمثلكم وبمقامكم ، وإن يدي ممدودة لمصافحتكم ، ومعاهدتكم أنى سأكون عوناً
ومدداً ، ولشخصكم عضيداً وسنداً ، مادمتم بالحق آخذين ، وعليه قائمين ، وللعاملين
الخلصين مؤيدين ، وللمظلومين ناصرين »

الخلص

مانظ وهب

وقد أطاعت على هذا الكتاب المجاهد العظيم ، المرحوم الشيخ عبد الوهاب
الزياني ، الذي نقي إلى الهند لنضاله ودفاعه عن استقلال بلاده ، وتدخل القنصل
في شئون البحرين الداخلية .

وقد مرضت في أثناء هذا النضال ، حيث أصابني « الملاريا » بدون رحمة ، والملايا
كانت مشهورة في تلك المنطقة من قديم ، فرأيت أن أغادر البحرين مؤقتاً إلى
الكويت لجفافها ، فأقمت بها شهراً ؛ ثم رجعت إلى البحرين ، بعد أن وصلني بضع
برقيات تستدعيني إليها ، واسكن ما كادت الباخرة تلقى مراسيها في مياه البحرين ، حتى
رأيت الشيخ سلمان الحاكم الحالي ومعه رئيس بلدية (المنامة) ، وهو رجل إيراني يدعى محمد
شريف ، فصيعدا إلى الباخرة التي كنت فيها ، ثم طلبا مني أن أجتمع معهم في الصالون ،
ف فعلت ، فأبلغوني الرسالة الآتية عن الشيخ عيسى والقنصل :

الشيخ سلمان بالنيابة عن جده ، ومحمد شريف بالنيابة عن القنصل . فأما الشيخ
سلمان فقد قال : إن جدى يطلب منك عدم النزول في البحرين ، لأنك تتدخل
بالإفساد بين والدى الشيخ حمد ، وعمى الشيخ عبد الله ، وقد طلب من القنصل
ذلك ، لأنك لست من أهل البحرين . فبعد أن استمعت إليهم . قلت : جزاكم الله
خييراً ! اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . أما أنا فإني راجع من حيث أتيت ، وإني

والله لا أحمل لكم إلا كل ودّ ومحبة ، وإنى أعلم الظروف التي أملت على الشيخ عيسى الرجل الوقور ما أملت . ثم انتقلت من البصرة التي كانت متوجهة إلى الهند ، إلى بصرة أخرى كانت متجهة إلى الكويت . وهناك وجدت عمداً شريف على البصرة . فقال : جئت لأودعك ، ولأعرفك أنك إذا كتبت الكتاب الذي طلبه منك القنصل على لسان الشيخ حمد والشيخ قاسم بن مبرز ، بالصيغة التي يطلبها ، فيسمح لك بالنزول . ولتعرف أن العرب لن يفيدوك بشيء . فقلت : يا عمداً شريف ، لا تنصب نفسك ، لقد رفعت من شأنى فى عيون أهل الخليج ، وخلقت منى بطلاً بهذا النفى ، فهل من المعقول أن أنزل بنفسى إلى سائر يدون من المذلة والذوان ، قل لصاحبك إن قناة هذا الشاب لا تلين ، وإن السجن فى الهند وفى مصر ، لم ينل منه شيئاً ، بل قوى إرادته ، وشحذ عزيمته ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

ثم رجعت إلى الكويت فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢١ ، واستأنفت على التجارى ، وإلقاء بعض دروس فى الفقه الإسلامى ، والتاريخ ، والتطور الإسلامى ، كما كنت ألقى بعض دروس وعظ فى المسجد العام ، فى الخلق الإسلامى ، ووجوب تضامن المسلمين ، والأخذ بيد الضعفاء ، وإنصافهم من طبقة المستغلين . فثارت نفوس بعض كبار تجار اللؤلؤ ، واعتبروا هذا إثارة لحفيظة الفواصين ، وهم الطبقة الفقيرة من العمال .

وفى صيف ١٩٢٢ اشتركت مع أحد رجال البحر : المرحوم عيسى بن فطامى فى الطواشة ، وهى شراء اللؤلؤ من الفواصين ، ثم بيع ما يتجمع لدينا فى البحرين وغيرها من السواحل العربية ، فكانت تجربة مفيدة لى ، أتاحت لى الفرصة فى زيارة أكثر الموانئ العربية فى الخليج ، والتعرف إلى شيوخها ، وكبار تجارها . وقد خدمنى كثيراً مسلحى الدين ، وترفى - والحمد لله - عن الدنيا . وفى إحدى رحلاتى ، اجتمعت بالصديق الوفى ، عبد الرحمن القصيبى ، وهو أحد التجار ، والسماسرة الكبار ، فى تجارة اللؤلؤ ، فحبَّب



الملك الراحل في شبابه عام ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م

إلى الكتابة إلى سلطان نجد « عبد العزيز بن سعود » فكتب إليه كتابا ضمنته ما اعتقده من وسائل الإصلاح^(١) .

فأجابني عظمته بكتاب رقيق ، ودعاني لزيارة « الرياض » فيميتها ، ومن هذا الحين بدأ اتصالي بعظمته وجلالته ، كما تراه مفصلا في هذا الكتاب . وترى في خلاله تفاصيل ما قمت به من أعمال في خدمة هذه الدولة .

(١) نجد نص الكتاب في الذيل .

جزيرة العرب

كانت « جزيرة العرب » موضع اهتمام المؤلفين والأدباء الأقدمين ، فلا تسكاد نقرأ كتابا من كتب التاريخ القديمة ، إلا نجد فيه فصولا قيمة عن جزيرة العرب . عن تاريخها الجاهلي المملوء بالأساطير ، وعن تاريخها بعد الإسلام : من حروب وفتن ، وشعر وأدب ، وحكمة وجغرافية .

وجزيرة العرب في هذا العصر الذي نعيش فيه ، تختلف اختلافا كثيرا عما اصطلاح عليه الجغرافيون من العرب في القرون الوسطى ، وكثير من أسماء البلدان والبقاع قد غفا أو نثر ، وإن كانت البقاع لا تزال باقية في محالها ؛ فالرمال هي الرمال ، والجبال لم تنزحزح من مكانها .

وقد بقيت الجزيرة العربية عصورا طويلة ، معدودة من البلاد التي لا تعرف انكسنة ولا الأمن ، فلم يقدم على الرحلة إليها ، واختراق صحاريها من غير العرب ، إلا المتنكرون والمغامرون ، وربما كانت مئة السنة الأخيرة ، أكثر السنين للرحالة من الأوربيين ، وأكثرهم من الإنكليز . وقد نافس الأمريكيون الإنكليز في الثلاثين سنة الأخيرة ، في التأليف والرحلة ، فكتبوا عن الأقاليم والقبائل وطبيعة الأراضي الشيء الكثير ، وربما كان (البترول) في العصر الحديث (لا العلم) هو الحافز على الكتابة والتأليف .

على أن الشيء الذى يسترعى النظر ، أنك تجد كتباً كثيرة فى اللغات الأجنبية ، لا يكاد يُذكر بجانبها ما يُكتب بالعربية ، ولعل الوعى العربى السياسى يكون مشجعاً للؤلفين والرحالين على الكتابة فى شئون الجزيرة العربية ، مصدر الوعى ، والنور المحمديّ ، الذى أضاهه محمد بن عبد الله ، ومبعث النهضة التى هزت العالم ، وحررت بها العقول البشرية من عبادة الأصنام والأموات .

لقد بقيت جزيرة العرب محافظة على عزلتها وعاداتها وتقاليدها عصوراً طويلة ، فلم تكن تعبأ إلا بحياتها الخاصة : بالأمطار فى مواسمها ، وبمخاضها الداخلية التى لانكاد تنقطع . وباستثناء مدد قصيرة من التاريخ ، لم تعرف الجزيرة العربية حكومة مستقلة بالمعنى الصحيح ، تهتم بشئون العالم الخارجى ، وتوطّد صلاتها به ، وربما كانت أول محاولة من هذا النوع ، هى محاولة (الملك حسين) ملك الحجاز فى ثورته على الأتراك وقد ترك القيام بعد انسحابه من الحجاز إلى « جلالة الملك عبد العزيز آل سعود » ، مؤسس المملكة العربية السعودية ، وموحد شرق الجزيرة وغربها .

وقد برز اسم الجزيرة العربية ومدنها بعد كشف (البترول) ، فلم يكن يعرف فى أوروبا وأمريكا اسم الظهران والدمام ورأس تنورة والكويت وقَطَر ، وسواها من البلدان العربية ، قبل استخراج الزيت .

وباستخراج الزيت ، أخذت البلاد تتطور تطوراً سريعاً يفوق التصور ، فهناك تطور فى تخطيط المدن ، وبناء البيوت ، وشق الطرق . وهناك تطور آخر فى وسائل النقل والمواصلات ، فالسيارة ، والطيارة ؛ والسكة الحديدية . تقوم مقام النقل بالإبل والخيول والخيول . وتطور آخر فى ربط المدن والبيوت بعضها ببعض ، باستعمال البرق والهاتف السلكى واللاسلكى . وهناك تطور آخر فى استخدام الوسائل الحديثة فى الزراعة : المضخات والجرارات بدل الحيوان .

ويسير مع هذا التطور جنباً إلى جنب التطور العلمى ، بالإكثار من المدارس فى كل مدينة وقرية ، ولابد أن يؤتى هذا التطور ثماره فى خلق جيل حديث ، يشعر بما عليه من تبعات نحو وطنه .

ولقد تبع هذه التطورات تطورات أخرى فى وسائل المعيشة ، وفى الحياة العامة والمزلية ، وفى علاقة الناس بعضهم ببعض .

لقد كان النفير العسكرى سبباً فى إثارة الإخوان التجديدين على الجيش المصرى ، المرافق للحمل المصرى فى سنة ١٩٢٦ ، والنفير العسكرى يسمع اليوم فى كل مكان ، والموسيقى العسكرية تصدح فى كل مناسبة ، وتصدح بالسلام الملكى السعودى فى كل مناسبة رسمية ، ويطول الشرح لو ذكرنا أن ما كان ينكر على الناس بالأس ، أصبح يقابل الآن بالسكوت ، بل الرضا والارتياح .

لاشك أن أول رائد للإصلاح فى الجزيرة ، هو « الملك عبد العزيز » ، فإن عقله الواسع ، وبصيرته النافذة ، وحكمته الرشيدة ، وحزمه وعزمه ، وعقيدته السليمة ، مكنته من التغلب على الجبهة المتحصنين ، والرجل كان بسبب تدينه ، تغلب عليه روح المحافظة ولكنه كان يميل دائماً إلى إصلاح بلاده ، وخير رعيته .

وقد حل مشعل الإصلاح بعد وفاته ولده الأكبر ، « الملك سعود » ، فأخذ يقتنى آثار والده فى الإصلاح ، فأصاب فى بعض النواحي ، وأخطأ فى بعض النواحي الأخرى ، وقد كان بالإمكان تلافي هذه الأخطاء لو وجد من مستشاريه ووزرائه النصيح والإرشاد .

ونحن فى هذا الكتاب «خون عاماً فى جزيرة العرب» نحاول أن نسجل بعض الأحداث السياسية والاجتماعية ، التى عالجها أخواهما الملك عبد العزيز فى الثلاثين

سنة الأخيرة من حكمه ، مما لم نسيجه في كتابنا الأول « جزيرة العرب في القرن العشرين » .

وسنلحق بها الأطوار والأحداث التي حدثت بعد انتقاله إلى رحمة بارئته ، ونذيله بعدد وفير من كتب جلالاته ، الصادرة في مناسبات مختلفة ، لتكون مرجعا لدارسي هذه الحقبة من الزمان .

الملك عبد العزيز

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية .

ولد عبد العزيز في الرياض سنة (١٢٩٧ هـ = ١٨٨٠ م) في الوقت الذي نشب فيه النزاع بين عميه : عبد الله بن فيصل ، وسعود بن فيصل ، فلم يدرك شبثا من أيام جده العظيم الإمام فيصل ، حين كانت نجد تمتنع بالرخاء والأمن والعدل .

لقد انتهز محمد بن رشيد فرصة النزاع بين ولدي الإمام ، والآراك من ورائه يذكرون نار الخلاف ، وأخذ يطوى نجدا بلدا بعد آخر ، فلم تأت سنة ١٣٠٨ هـ ، حتى خضعت نجد كلها لحمد بن رشيد ، ولم يجد عبد الرحمن بن فيصل والد الملك عبد العزيز أن يأسكانه ، وهو ابن حكام نجد السابقين ، أن يعيش في الرياض تحت سلطة من كان عاملا لوالده بالأمس . ولم تجذبه مساعيه لدى الآراك في الأحساء وبغداد ، أن يعين حاكما على الرياض من قبل الآراك ، فقرر أن يغادر الرياض نهائيا في سنة ١٣٠٩ هـ ، واختار الكويت مقراً له ولأولاده وبقية أفراد أسرته ، مكتفين بستين (ليرة) تركية ، أجرتهم عليهم الحكومة التركية ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

كان عمر عبد العزيز إحدى عشرة سنة ، ومع أنه لم ير إلا أيام البؤس ، وأقول نجم أسرته ، ولكن دم الإمارة وروح الطموح ما زالوا يجريان في عروقه ، فلم يقض مالا فاه من الشدة وشظف العيش وألم الهجرة على تلك الزعة ، ولا على تلك الروح الأبية .

لقد سمعت من بعض أصدقائي الكويتيين الذين عاصروه ورافقوه في طفولته ،
أن عبد العزيز كان يفوقهم نشاطا وذكاء ، وأنه كان يزرعهم دائما في الألعاب المألوفة
لمن كان في سنه ، وأنه كان دائما يميل إلى سماع تاريخ جده الإمام فيصل ومغامراته ،
من شيوخ نجد المسلمين بالكويت .

لقد ضجر عبد العزيز من حياة الكويت ، وهي حياة كلها خمول وفاقية ، ولذلك عاهد
الله بينه وبين من يشق به من إخوانه وأقاربه ومخلصي خدمته ، أنه سيجاهد ليسترد ملك
آبائه وأجداده ، أو يموت في سبيل ذلك .

وما قيمة الحياة التي يحياها في الكويت ؟

كان لسان حاله ينشد قول المتنبي :

وما للمرء خيرٌ في حياةٍ إذا ما عدَّ من سقط المتاعِ

وقول عنتره :

لا آسفني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالرز كُأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهمهم وجهنم بالرز أطيب منزل

خرج عبد العزيز من الكويت يطوى البيد طيًّا ، يفزو من يعترضه من القبائل ،
حتى وصل إلى الرياض ، وتم له فتحها في مفامرة تذكرنا بأساطير الأبطال ، وذلك
في سنة ١٣١٩ هـ = ١٩٠٢ م .

إذا قمَّ ألقى بين عينيه عزمه ونكَّب عن ذكر العواقب جانبا

وفي تلك السنة فتح شقراء وثرومضاء والروضة ، وسائر مدن سُدير ، وفي سنة

١٣٢١ هـ فتح عُنيزة وبريدة ، وسائر مدن القصيم .

وفي سنة (١٣٢٢ هـ = ١٩٠٥ م) كانت معركة البُكيرية والشَّنانة المشهورتين .

وفي (١٨ صفر ١٣٢٥ = ١٤ أبريل ١٩٠٦) قتل عبدُ العزيز بن رشيد ، أكبر وأقوى

خصم له ولأسرته في جزيرة العرب .

وفي (٥ جمادى الأولى من سنة ١٣٣١ = ١٢ أبريل سنة ١٩١٣ م) احتل منطقة الأحساء، وفي (٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م) كانت معركة (نربة) المشهورة، التي قضى فيها على جيش الملك حسين بن علي ملك الحجاز، بقيادة ولده الأمير عبد الله بن الحسين (الملك عبد الله).

وفي (٢٩ صفر سنة ١٣٤٠ هـ = ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٢) سقطت «حائل» آخر معقل لابن رشيد، وبذلك دانت نجد كلها للملك عبد العزيز.

وفي ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ = ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ تم الاستيلاء على «جدة» وتوحيد غربي الجزيرة وشرقيها، وانتهى حكم الأشراف من الحجاز. وفي ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤٥ = ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦ عُقدت معاهدة حماية على مقاطعة «عسير». التي كان يحكمها السيد الإدريسي، بعد أن تهددها الإمام يحيى بزحفه عليها، واستيلائه على ميناء الخديجة. وفي نوفمبر سنة ١٩٣٢ ضُمَّت إمارة الإدريسي إلى المملكة العربية السعودية، بعد أن ثبتت خيانة الإدريسي، باتصاله ببعض الدول الأجنبية، ومحاولة القيام بثورة ضد الحكومة، وقد أصيب الملك عبد العزيز بإصابات خطيرة، ولأن إحدى هذه الإصابات أصابت مقتلًا ما رأينا الجزيرة العربية تنعم بنعمة الأمان والرخاء والسلام، الذي لم تعرفه منذ قرون طويلة.

لم يتعلم عبد العزيز في طفولته، فلم يكن بنجد أو بالكويت مدارس بالمعنى الصحيح، ولم يكن الناس ولا سيما الحكام يُعَنِّون بالتعليم، ولم يكن للتعليم شأن يذكر إلا في عصرنا الحاضر.

وكان عبد العزيز يصرح بذلك، معتذرا عن أخطائه الكتابية إذا كتب بنفسه، ولكنه مع ذلك كان محدثًا بارعا، يخاطب كل جماعة بما يناسبها: لأهل الأمصار لغة، ولأهل البادية لغة، ولشيوخ العلم لغة. وكان يحفظ كثيرا من آيات القرآن، وقسطا وافرا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يستشدها في أحاديثه، وسترى في ذيل هذا الكتاب بعض كتب جلالة إلى رجاله وكبار موظفيه.

الله اعلم

: الشيخ حافظ

ما عرفت كان معلوم القبطان رجع
صروا على الا فضل اليوم ساء
ه نفضل مصر وبركته واما الكتب
ما شوف له محراب امور تعرفها
انت الا انا ما شوف الكتب
لك مصر يركر انه جازي
ما نفي النوي

صورة خطاب بخط جلالة الملك عبد العزيز إلى المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ حافظ :

ما عرفت كان معلوم . القاطن رجع هو وعبد الله الفضل اليوم من عند قنصل مصر ،
وباركوا له وأما الكتاب ما شوف له محل لأجل أمور تعرفها أنت . إلا إن كان سعود
يكتب للملك مصر ، يبارك له ، فانه جازي ما يخالف
عبد العزيز

لا يزال بقواعد النحو والصرف مادام يعرب عن قصده ، ومادام أمره يفهم وينفذ .
لقد كان في أول عهده بالحجاز يكثر من الألفاظ الدارجة في نجد ، مما لم يألفها
أهل الحجاز ومصر ، وكان الحجاج المصريون والسوريون لا يكادون يفهمون مع
النجديين .

فما لاشك فيه أن اللغات العربية المحلية ، أو اللغات العامية الدارجة في جميع البلاد
العربية ، يختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً ، حتى إن الشعوب العربية لا يمكن أن تتفاهم
تفاهماً صحيحاً بغير استعمال اللغة العربية الأصلية ، فالمصري والنجدى والعراق لا يمكن تفاهمهم
بغير استعمال اللغة العربية الأصلية للتخاطب والكتابة ، والكتب التي تكتب باللغة
العامية في بلد ، لا تروج في بلد آخر ، بخلاف المؤلفات التي تؤلف أو تترجم باللغة العربية
الأصلية ، فإنها تجد سوقها في البلاد الأخرى ، وقد حدث هذا بالفعل في أول اجتماع
بين المرحوم الشيخ « محمد مصطفى المراغي » و « الملك عبد العزيز » في سنة ١٩٢٥ وقد
أرشد الشيخ من قبل « الملك فؤاد » للصالح بين الشريف علي - المحاصر في جدة ، و « السلطان
عبد العزيز » .

فبدأ الملك عبد العزيز حديثه بالشكوى المريرة من الأشراف ، وسوء معاملتهم
لأهل نجد ، وقال إن غرضه من فتح الحجاز هو استنساب الأمن في الحجاز ، وفتح أبواب
الحرمين لجميع المسلمين ، وتأمينهم على أرواحهم وأموالهم . لقد كان حديث « السلطان
عبد العزيز » تغلب عليه الالهجة النجدية ، كما حوى حديثه بعض الكلمات المحلية ،
التي تعذر فهمها حتى على الشيخ المراغي ، فوجد الشيخ المراغي أن من الصعب أن يجيب
عن أسئلة « السلطان عبد العزيز » خشية أن يتكلم أو يتعرض لموضوع آخر لم يتناولوه
حديث « السلطان عبد العزيز » ، وقد قرأت الحيرة في وجه الشيخ المراغي ، فاحتلت لتأجيل
الحديث إلى اليوم الثاني ، تاركة الفرصة للشيخ المراغي للتفكير .

وبعد انصرافنا قال لي الشيخ المراقى : لقد أفتدنتني من ورطة كبيرة ، لأنني وإن كنت فهمت إجمالاً كلام السلطان ، ولكنني كنت غير مطمئن لنهني ، لاختلاف لهجته عن لهجتنا ، وعن طجة أهل السودان ، فقلت له : وكذلك حال أهل نجد مع أهل مصر ، فيسمون لغة المصريين رطانة ، لأنهم لا يفهمونها .

وقد حدث مثل هذا تماماً في زيارة الملك السابق «فاروق» للملك عبد العزيز في سنة ١٩٤٥ في رضى ، قرب ينبع ، فكان بعد كل حديث للملك عبد العزيز ، يقول لعبد الرحمن عزام : ترجم يا عزام .

وقد حدث في أول عهدي بالاشتغال مع السلطان عبد العزيز ، أن أملى على مذكرة طويلة ، عن بعض غزوات من عتاش العراق لعشائر نجد ، فبعد الانتهاء من الإملاء ، طلبت من عظمته أن يمهلى مدة ، كي أضع المذكرة في غالب عربي ، فاستشاط عظمته غضباً ، وصاح في وجهي : هل نحن عجم ! فأجبت على الفور ، لا يا مولاي ، إنكم عرب ، ومن سادة العرب نسباً ، وهذا لا يشك فيه إلا جاهل بالجزيرة وحكامها ، أما اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، فقد أمضيت من عمرى اثنتي عشرة سنة في نحوها وصرفها وآدابها ، ومع ذلك فأنا لا أدعي الإحاطة بها ، ولا الوقوف على جميع أسرارها .

لقد قرأنا في السيرة النبوية أن عمر بن الخطاب كان من أشد المشركين على المسلمين قبل إسلامه ، لقد أسلم هذا الرجل حينما سمع (طه) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي) ... الخ .

فهل أدعى أنا أو يدعى غيري ، (وكم مرة قرأنا هذه السورة) أننا اشغرفنا بما شغرف به عمر ، أو بواحد في اللغة عما شغرف به عمر ؟ لماذا أثرت هذه الآيات في عمر ؟ لأنه عربي ، والقرآن نزل بلسان العرب ، لماذا ألفت التفسير ؟ وإن وضعت التفسير ؟ وضعت

لأمثالنا ، الذين يدرسون اللغة العربية كأنها لغة أجنبية. هذا ما أردته يامولاي . فزال من عظمتة الغضب ، واستبدل به ابتسامة تدل على الاقتناع والرضا ، فقال : صدقت . نحن عرب نسا ، ولكن لغتنا بميدة كل البعد عن لغة القرآن .

ولم يتنكر عبد العزيز لماضيه في الكويت ، ولا لما قاساه من شتف العيش وقسوته في أيامه ، بل كان يفتخر بذلك .

ولكنه صبر صبر الكرام ، حتى وصل إلى بناء هذه المملكة الترابية الأطراف . وإذا كانت نجد تنفخر بـ «محمد بن سعود» مؤسس هذه الأسرة ، وفصل العظيم جد عبد العزيز ، فإن جزيرة العرب تنفخر بعبد العزيز ، فقد خلق عهدا من الأمان والطمأنينة ، في جزيرة العرب ، ولا سيما في البلاد المقدسة ، لم تعرفه الجزيرة من قبل .

وقد مرت بعبد العزيز ظروف عصيبة ، حتى ظن الناس أن أمره قد انتهى ، وأن نجمه قد أفل ، ولكن اعتماده على ربه ، وتدرعه الصبر ، تغلبا على كل ماواجهه من مشكلات .

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمتع الحسنيين» .

لقد عاداه الأتراك كما عادوا أجداده من قبل ، فانتصر عليهم في نجد والأحساء ، وعاملهم معاملة كريمة ، فأكرم قائدهم ، وأرسل جنوده إلى الحدود التركية ، الحجازية أو العراقية . وقد عاداه الأشراف ، فتغلب على رأس الأسرة الهاشمية : «الحسين بن علي» بعد أن أعياه الأمر في حل مشكلاته معه ، بالوسائل السلمية ، وعاداه الأقربون ، فتغلب عليهم ، وغنا عنهم ، وهو في ذلك يتمثل بقول المتنبي :

وما قتلَ الأحرارَ كانفوقِ غنهمُ ومن لك بألحر الذي يحفظ اليد ؟

وقد نجح في ذلك نجاحا عظيما ، واقتلع جذور الحسد والكراهية بعفوه وكرمه :

كما تمثل بقول الشاعر القديم :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجداً

ولا أحملُ الحقد القديمَ عليهمُ وليسُ رئيسُ القومِ من يحملُ الحقدَ رأيتُ أنه يدنى من كانوا أشدَّ خصومةً وعداوةً له ، بل حببهم معه في غداوته وروحاته ، وكان يقول لمن يذكره بماضى هؤلاء المحيطين به :

«لقد أعدتُ ضمايرهم إليهم ، وإنى أكاد أقرأ مايجول في نفوسهم من أسف وندم على ماصدر منهم » .

كان عبد العزيز من أبر الناس بوالده وذوى قريبه ؛ كان يزور والده كل يوم ، ويستشير في مهمات الدولة ، ويطلعه على جميع الكتب التي يرسلها إلى حكام العرب ، أو ممثلى الدولة البريطانية حيث كان اتصاله .

ولقد لاحظت مرة في إحدى زورأتى للإمام «عبد الرحمن» والد الملك عبدالعزيز ، أنه لا يقرأ الكتب التي ترسل إليه ، ويردها مع الرسول كما هي ، فسأته : لماذا لا تقرؤها ؟ لقد أرسلها إليكم عبد العزيز لتطلعوا عليها ، ولترشدوه برأيكم إذا رأيتم فيها خطأ .

فقال : إن عبد العزيز موفق . لقد خالفناه في آرائه كثيرا ، ولكن ظهر لنا بعد ذلك أنه هو المصيب ، ونحن المخطئون .

إن نيته مع ربه طيبة ، لا يريد إلا الخير للبلاد وأهلها ، فإله يوفقه ، ويأخذ بيده ، و«إن تنصروا الله ينصركم » .

كان عبد العزيز يعمل لإسعاد شعبه ، ورخاء أسرته : يستدين لإسعاد الجميع .

يعاتبنى في الدين قوى وإنما دُبُونِي في أشياء تسكِبهم حدا

وكان لا يضيق صدره إلا حين يقل المال في يده ، فلا يستطيع إغاثة الملهوف ، وسد

حاجة المحتاجين والطامعين في رِفده ، من البادية والحاضرة .



الملك الراحل والأمير سعود (الملك الحالي) صورة تذكارية

صورها المؤلف بنفسه عام ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٤ م

عبد العزيز القائد

كان عبد العزيز يدير معاركه بنفسه ، وكان رائده في معاركه خالد بن الوليد .
كان يقسم جيشه إلى جناحين : جناح أمين ، وجناح أيسر ، ثم يحتفظ بقسم من
جنده في المؤخرة ، ليباغت به عدوه إذا اشتد القتال . وكان من عادته أن يصبح العدو
بعد صلاة الفجر أو قبلها .

وقد حضرت معه أكثر من معركة ، وكان أول معركة حضرتها في «الرهاة» ،
وهي التلال الرملية المواجهة للجنة .

وكان جيشنا السعدي يتألف من الإخوان التجديدين ، ومن الحضرة الذين
وقدوا مع جلالة من الرياض ، وهم ، وإن كانوا لا يحملون إلا البنادق ، فإنهم كانوا
مؤمنين بإيماننا صادقا ، ولهم عقيدة راسخة رسوخ الجبال ، فإما النصر ، وإما الشهادة
في سبيل الله .

لقد استعنا ببعض المدافع التي تركها الملك حسين في مكة ، بعد مفادته إياها
هو وابنه الملك علي ، وأسند استعمالها إلى بعض الضباط العراقيين والسوريين والأتراك ،
الذين تركوا معسكر الشريف .

وكنت أشك في خبرتهم العسكرية ، ومعلوماتهم العامة تدل على أنهم لم يدخلوا
حتى مدرسة ابتدائية ، ولكنهم على كل حال كانوا خير من يصلح لاستعمال المدافع ،
وقد أشار جلالة ، وهو القائد والزعيم المطاع ، بوضع المدافع في العراء ، بدون حجاب
يحببها عن أنظار العدو ، نقلت لجلالته : إن هذا يعرض المدافع والضباط للخطر ،

ويجعلها هدفا ظاهرا للعدو . فنظر إلى جلالته نظرة استهزاء ، وسألني : هل أنت ضابط ؟
فقلت له : لا . حل تعلمت الفنون العسكرية ؟ فقلت له : لا ، ولكنني شأدت في حرب
« البلقان » كيف يضعون المدافع في الخنادق ، ويعملون أمامها أكياسا كثيرة من الرمل .
فقال : لا بأس . من استعمال أكياس الرمل ، أما الخنادق فلا حاجة إليها ، ولكن
عند ما أطلق الأعداء مدافعهم على رجال مدفعيتنا ، وقعت قنبلة على أكياس الرمل ،
فمزقتها ، ونثرت الرمل في الهواء ، وجرح أحد الضباط من شظية أصابته . وفي الحال أمر
جلالته بحفر الخنادق ليلا تحت إشرافي ، فارتفعت منزلتي العسكرية عند جلالته ، وعند
رجاله .

وأشهد أن جلالته بالرغم من الأخطار التي كانت تحيط به ، ما كان يترشح من
مكانه ، لقد سقطت قنبلة أمام خيمته ، على بعد بضعة أمتار ، ولكنها لم تنفجر ، كما استط
غيرها على الخيم في « الرغبة » خلف تلالها ، وفي هذه الحمة سألتني جلالته وأنا بجانبه : هل
أنت شجاع ؟ فقلت له : يا مولاي ، لا أعلم ما الشجاعة ؟
إذا كانت الشجاعة أن أقول ما أعتقد ، فأنا شجاع ، وإذا كانت الشجاعة أن
أكون بجانبك دائما ، مهما كانت الظروف ، فلا أدري ماذا تسمون هذا ، أحياء أم
شجاعة .

إن أختانا وزميلنا « يوسف ياسين » والدكتور « عبد الله الدمولوجي » قد تركا
المسكر ، عندما بدأ إطلاق المدافع ، وبالطبع لم أتبعهما وإن أتبعهما إن شاء الله ، ولكنني
لأخفي عليكم ، وأرجو ألا يكون ذلك ، أنني إذا فرت فصيالة من جندكم لأى سبب
من الأسباب ، فقد تجددتني كالغزال أمامها .

فقال : لن يحدث هذا إن شاء الله ، فقلت إذن صفوني بما شتم ، فأنا معكم
كالهجر ، لن يرحضني حادث من مكاني إن شاء الله .

عبد العزيز المجدد

لئن كان عبد العزيز لم يتعلم بالمدارس في صغره ، لقد آتاه الله عقلا واسعا ، وعلما بأصول الدين وفهمه : اكتسبه من اختلاطه بالرحوم الشيخ العظيم عبد الله بن عبد اللطيف ، شيخ علماء نجد ، وبسواه من العلماء ، ومن سماعه المتكرر لما يُتلى عليه من كتب الحديث والتفسير والآداب الدينية .

وله مواقف محمودة في جميع الإصلاحات الحديثة ، التي أجراها في المملكة العربية السعودية ، بالرغم من معارضة المشايخ وغيرهم من الإخوان النجديين ، إذ لم يرفى هذه الإصلاحات ما يتعارض مع الدين ، ولو أُعِين هذا الرجل بأمثال الشيخ « محمد عبده » من رجال الإصلاح ، لكانت بلاده المثل الذي يُحتذى في التجديد الديني .

لقد لاحظ جلالتة في مكة أنى لا أصلى من التراويح ، إلا ما كان يصليهِ النبي صلى الله عليه وسلم ، كما صح عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : « ما كان رسول الله يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة . يصلى أربعا ، فلا تسلم عن حسنهن وطولهن . ثم يصلى أربعا ، فلا تسلم عن حسنهن وطولهن . ثم يصلى ثلاثا » .

ثم قلت : إن اجتماع الناس على إمام ، لم يحدث إلا في عهد عمر ، وعمر نفسه كان يحضر أحيانا ، ويتغيب حيناً آخر .

وبعد حديث طويل في هذا الموضوع أمر جلالتة ألا يُصَلَّى في المسجد الحرام للتراويح ، أكثر مما كان يفعلهُ النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه عدل عن ذلك ، بعد أن راجعه المشايخ في ذلك .

وقد أمر الناس أن يأتوا بإمام واحد في الصلوات الخمس ، أيا كان مذهبه ، ولا يزال هذا جاريا حتى اليوم .

وقد كنت وضعت مشروعا لإبطال الوراثة في وظائف المحترفين بإرشاد الحجاج (المطوفين) وإعطاء دروس فقهية لمن يريد احترام هذه الحرفة ، بحيث لا يسمح بمزاولة هذا العمل إلا لمن يحمل شهادة بذلك ، ولكن المشروع توقف بعد بضعة أسابيع ، إبقاء للحالة على ما كانت عليه ، فكان هذا إيذانا بترجحان روح الجود ، على روح التجديد والإصلاح .

وأحيا جلالاته كثيرا من تراث السلف الصالح ، فأمر بطبع تفسير ابن كثير وسواه من أئمة التفسير ، كما أمر بطبع كثير من كتب السنة ، وشاهدنا في كثير من الأمصار ، انتشار كتب ابن القيم وابن تيمية ، ولا سيما في بيئة الأزهر ، بعد ما كان هذان الإمامان وكتبهما من الكتب التي لا يهتم بها الأزهر شيوخه وطلابه .

ولا شك أن للإمام « محمد عبده » فضلا كبيرا في خلق روح جديد من التفكير

السلام .



جلالة الملك الراحل ولي عهده (الملك سعود الآن) في حفلة افتتاح

الخط الجديد، ب. الديمام والناض. عام ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ م

عبد العزيز المصلح

لقد تمت عدة إصلاحات في عهده ، كان بعضها متّاراً بقليلة للأفكار ، وجدل بين رجال الدين ، فخلت السيارات والطائرات محمل الإبل ، وقُربت المسافات بين البلدان ، وربط البرق (اللاسلكي) البلاد ببعضها ببعض ، وأُجرى الماء إلى جُدّة لأول مرة في التاريخ ، بعد ما كان يعتمد أهلها على مياه الآبار والصحاريج غير الصحية ، فتمت جُدّة ، وتضاعف سكانها ، وازدهرت اقتصادياتها ؛ ومُدّت السكة الحديدية بين ميناء الدمام والرياض .

وبالجملة ، إن البلاد العربية السعودية قد تم بناؤها على يده ، بعد جهاد مرير ، وبعد فتن داخلية كثيرة ، وصراع بين العلم والجهل ، والتجديد والجمود . وقد أراد الله أن يقر عينيه ، ففتح بهشرات غرسه ، فأراه الصحراء الجرداء تخرج «الذهب الأسود» ، فيعم الخبير البلاد ، ويكثر العمل في مختلف ميادين النشاط .

على أن الثروة العظيمة الطارئة ، قد سمح بها كثير من الأخطاء ، ومن سوء الاستعمال . هنالك أيد كثيرة غير أمينة امتدت إليها ، فأكتالت منها لنفسها بغير حق ، واغترفت منها كل طامع ، لم يتمتع خوف من الله ، أو عقوبة من سلطان .

وكنا نود ولا زلنا نأمل ، أن ينزل العقاب العادل بكل من آثرى من طريق غير مشروع ، فتحفظ ثروة البلاد للبلاد ، وتصرف في خير وجوه الإصلاح ، والبلاد في أشد الحاجة إلى الإصلاح .

وقد عاقب الملك عبد العزيز بعض أولئك اللصوص من موظفي وزارة المالية ،

بعد أن دانتهم العدالة ، ولكن جلالته قد غفا عنهم أخيراً ، وترك لهم الأموال المختلسة ، وهذا خطأ عظيم ، فإنه إذا جاز العفو عن العقوبة ، فإنه لا يجوز بحال أن يترك مآب أيديهم من مال اختلسوه ، كما لا يجوز إعادتهم إلى مناصبهم .

لقد كان هذا العفو تشجيعاً غير مباشر للصوص والمختلسين والمرششين ، فإذا كان هذا جائزاً في حكومة لاندن بالشريعة الإسلامية ، فإنه كثير على دولة دينية ، تستمد نظمها وأحكامها من كتاب الله ، وسنة نبيه ، وأحكام أئمة المسلمين .

في صيف ١٩٥٤ كشفت الحكومة أن هنالك عصابة من موظفي وزارة مالية ، وبعض الشركات الصناعية الألمانية ، عقدت اتفاقاً إجرامياً ، لاستغلال واختلاس مال الدولة ، فألفت لجنة تحقيق من رجال لا تحوم الشكوك حول عدالتهم ، لقد دانت اللجنة هذه العصابة المتآمرة على مال الدولة ، وكشفت عن خطر للوزارة ، فألفت الحكومة الاتفاقية التي عقدتها العصابة باسم الحكومة ، وقررت أن أية اتفاقية يكون أساسها النهب والرشوة واستغلال مال الدولة باطلة ، مهما كان مركز القائمين بأمر الاتفاق ، لأن مصلحة الدولة العامة تبطل أي اتفاق يقضى عليها .

وكانت هنالك فرصة سانحة للضرب على أيدي المستغلين لمصالح الدولة وأموالها ، من بعض طائفة الموظفين ، ولكن هؤلاء الفاسدين استغلوا طيبة قلب «الملك سعود» ، فأصدر عفوه عنهم أجمعين ، وترك لهم ما استغلوه وما نهبوه من الأموال العامة . فكان ذلك مدعاة للأسف ، وصدمة لدعاة الإصلاح ، الذين يحجون أن يروا في العهد الجديد ، الضرب على أيدي الصوص والمستغلين ، ولكن لا يزال براودنا الأمل في أن نرى روح الإخاء والعدل والحق ، وألا يُترك المجال للفاسدين والمستغلين ، وأن توضع للمصالح العامة للأمة ، فوق كل مصلحة شخصية ، وإن روح الإسلام وأسه كلها تدعو إلى ذلك ، وتحض عليه ، ولا ينقصنا إلا القدرة الحسنة من الزعماء والقادة .

ولنذكر قول الله جلّت قدرته : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

وينبى أن يضع الحكام أمام أعينهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلّم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » . وأن دماء الناس وأموالهم وموارد الدولة أمانة في عنقهم ، هم مسئولون عنها أمام الله ، وأمام التاريخ . وأن إخلاص الحاكم لرعيته ، واعتبارهم كأبنائه ، هو أفضل صلة بين الحكام وبين الرعية ، والمحبة بين الحاكم والمحكوم هي خير الصلات وأقواها . وإذا كان يطلب من الرعية الطاعة ، فيطلب من الحكام أيضا العدل والمساواة بين الجميع ، والقرآن الكريم والسنة مملوءان بالشئ الكثير ، الجدير بالمحافظة عليه من الحاكم والمحكومين .

كان عبد العزيز يمثل بقول الشاعر العربي القديم (الأَفْوه الأَوْدِي) :

تَهْدَى الأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَوَلَّتْ فَلِأَشْرَارٍ تَقْصَادُ
لَا يَصْلِحُ النَّاسُ قَوْصَى لَأَسْرَاةٍ لَهُمْ وَلَا سَرَاةٍ إِذَا جَبَّاهُمْ سَادَا
وَكُنْتُ كَمَا ذَكَرَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَذْكَرُهُ بِقَسَمٍ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ :
« إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ ^(١) » .

وكنْتُ أقول . إن الساعة هي ساعة الدولة ، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك .

(١) قال ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث : « وسد : أَيْ أَسَدَ ، وَجَعَلَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ . يَعْنِي إِذَا سُدَّ وَشَرَفَ غَيْرُ الْمُسْتَحَقِّ لِقِيَادَةِ وَالشَّرَفُ . وَقِيلَ : هُوَ مِنَ الْوَسَادَةِ ، أَيْ إِذَا وَضَعَتْ وَسَادَةُ الْمَلِكِ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لغيرِ مُسْتَحَقِّهَا ، وَتَكُونُ إِلَى « بِمَعْنَى « اللَّامِ » . ١٥ .

وفاء عبد العزيز

كان رحمه الله وفيا للصادقين المخلصين من رجاله ، لا تؤثر فيه الوشايات ، وكثيرا ما ينبر الشاكي ، ويؤنبه أشد التأنيب ، فكثيرا ما سمعت أن بعض المبغضين لي كتبوا إليه عن أشياء نسبوها إليّ ، أو أرسلوا إليه بعض قصاصات الصحف التي تحتوى على أشياء يعتقدون أنها قد تُؤغّر صدره ، فرد عليهم ردا زاجرا ، لعلهم يقلعون عن هذه الرشايات السخيفة .

وكثيرا ما شاهدت بنفسى كثيرا من ذلك ، وقد طلبت منه مرة أن يحقق أمر هذه الرشايات ، فإن كانت كاذبة عاقب المفتري ، وإن كانت صادقة عاقب المسئء العقوبة الواجبة . فقال : إذا حققنا هذه السائل ، كف الناس عن الكتابة إلينا ، ولنكن لنا عقول نميز بها الصدق من الكذب ، والحق من الباطل ، ونحن كثيرا ما نعرف الدافع لهذه الرشايات .

كانت عادته في السفر إذا حطّ الرجال للغداء أو العشاء ، ألا يتندى الطعام حتى يحضر جميع رفاقه ، الذين اعتادوا حضور مائدته ، فإذا تأخر أحدهم ، أرسل إحدى السيارات لإحضاره ، خشية أن يكون قد أصابه عارض في الطريق آخره .

أذكر أننا كنا في ليلة من ليالي الشتاء في سنة ١٩٤٤ شديدة البرد ، فلم أشعر إلا بمخاضه الخاص «أمين» ، يدخل إلى خيمتي ، ويبيده بطانيات من الكشمير الفاخر ، وبذرة من المال ، فقال : هذه البطانيات من جلالة الملك ، أرسلها إليك خشية عليك من البرد ،

والله يعلم أنى لم أحم حتى تلك الساعة من شدة البرد ، فشكرته طبعاً على حسن صنيعه .
رحمك الله يا عبد العزيز رحمة واسعة !

وفى أيامنا الأولى قبل دخول الحجاز ، وفى السنين الأولى من دخوله ، كان
يشركنا معه ، فى كل ما عنده من فاخر الطعام ، وكثيراً ما كانت تضيق صدور خدامه
النجديين ، بما كان يؤثرنا به ، ويشركنا فيه ، فقد كانوا يعتبرونا أجنب . أما هو فقد
كان يعتبرنا من أهل الجهاد ، ومن الصادقين الصابرين .

ولم يكف عن إشراكنا معه فى الطعام ، إلا بعد أن تقدمت به السن ، ووهن
منه العظم .

وكان عبد العزيز يكره الملقى ، ويحب البحث والتقاش ، فى كل ما يعرض عليه .
من الشئون الهامة ، ويكره كل الكره ما تعارف عليه الناس من قولهم (الشيوخ
أخص) : أى الحكم أعلم ، فكان يقول دائماً : نحن بشر ، نخطئ ونصيب ، فإذا كنا
أعلم ، فلماذا أسأل وأستنهم .

وإذا كان عبد العزيز أخطأ أحياناً فى تقديره الظروف المحيطة به ، فذلك
لا يقلل من عظمته .

* كفى المرء نبلاً أن تعد معاييه *

وكان من آيات عظمته ، اعترافه بالخطأ إذا أخطأ ، وكان دائماً يقول : إنى لم أعلم
فى مدرسة ، بل علمتى التجارب ، وعلمنى اختلاطى بالرجال ، وسماعى الكثير من
أخبار عظماء التاريخ . لقد منحه الله عقلاً كبيراً ، وبصيرة نافذة ، وزاده خبرة بالأمور
ما كان يقدمه له مستشاروه من الآراء .

دخل أحد الأشراف المعروفين ، على المرحوم «الملك عبد العزيز» ، لهنته باغتيال
«الملك عبد الله» ، فنهرو وطرد من مجلسه ، وقال لا يشمت بالموت إلا خسيس جبان ؛

إن الموت مصير كل حي ، وإن حادث اليوم ليكدرني ويكدر كل عربي : فإن روح
الاغتيال يأبأها الإسلام ، ويأبأها العقل السليم ، وإن هذه الروح الخبيثة لا تنتج
إلا الفوضى .

وأحيا عبد العزيز كثيرا من كتب السنة والتاريخ والتفقه الإسلامي ، تلك
الكتب التي ما كان يكتب لها النشر لولا رعايته وعنايته .

ورأى الناس في عهده تأييدا للمجاهدين في نصرة السنة ، ومحاربة البدعة ،
سواء أكانوا في بلاده ، أم في البلاد الإسلامية الأخرى .

وكان دائما يتشغل بقول مالك رضي الله عنه : لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح
أولها . هذا في عصر الإمام مالك رضي الله عنه ، فكيف بمصرنا الذي ساد فيه الجهل
والفساد وانهلال الأخلاق .

أول اجتماعي بالأمير عبد العزيز

كنت حتى سنة ١٩١٠ لا يربطني بنجد أو سكانها إلا ما يربط أي طالب بالأزهر أو مدرسة كالتضاء الشرعي ، بها دروس جغرافية عن جزيرة العرب ، لاسمى ولا تنفى من جوع ، وبها قشور تاريخية أملتها الأغراض السياسية ، ومعلومات موجزة عن قبائل جزيرة العرب وأشجارها ونباتها وحيوانها ، لا تخرج عما دونه القال في أماليه ، والبكرى وياقوت في معجميهما ، والقاموس المحيط وغيرها من كتب الأدب واللغة .

نعم ، كانت هنالك رابطة رُوحية تربطني بموحدى نجد ، قبل أن أعرف إليهم ، هي استنكار الخرافات السائدة في حَيَّنا وفي عصرنا ، من التبرك بالقبور ، والتسج بأعتاب الأولياء ، والاستمسك بالعادات الموروثة القبيحة ، ويرجع الفضل في ذلك إلى دعوة الشيخ «محمد عبده» وتلاميذه ، وإلى كتب ابن تيمية وابن القيم وغيرها من أهل الحديث ، التي انتشرت في أوائل هذا القرن .

لقد سمعت في صفري ثناء الشيخ «محمد عبده» ، وإطراءه للشيخ «محمد بن عبد الوهاب» . ووضعه إياه في عداد المجدين المصلحين ، كما أطرى آل سعود الأولين ، وما طَّدوه في جزيرة العرب ، من إحياء معالم الشريعة الإسلامية ، وخلق روح جديدة .

وكان أول ما قزع سمعى عن «عبد العزيز بن سعود» ما كنت أقرؤه في جريدة «المؤيد» عن الحروب التي كانت تدور بينه وبين خصمه ابن الرشيد ، وما كان «معروف الرصافي» الشاعر العراقي المشهور ينعماء على الترييقين ، لاشتغالنا بالحروب

في الوقت الذي يحتاج فيه العرب إلى التعاون ، والأخذ بنصاية العلم والحضارة ، والتحرر من سلطة الأتراك .

ثم دار الفلك دورته ، وقدر الله لي الهبوط على بعض السواحل العربية (الكويت) ، في سبتمبر سنة ١٩١٤ ، فاشتغلت بالتعليم والتهديب والوعظ . اشتغلت بتهديب النَّشَأ ، وتحرير العقول مما ألفته من عبادة المؤلفين وتقديس الكتب ، على غير المعتاد في المجتمع الكويتي ، كما اهتمت بإصلاح ما بين الطبقات الفقيرة والغنية ، وعلاقة الحاكم بالحكوم ، بحسب ما تقرره شريعتنا الحنيفية ، فكانت دروس الوعظ أحياناً تنضب الحكام ، كما كانت غير مألوفة في أسماع الأغنياء . ولكن بالرغم من ذلك ، وَجَدْتُ في الكويت أصدقاء أوفياء ، وإخواناً أمناء .

وأول مرة رأيت فيها « عبدالعزيز بن سعود » وجهاً لوجه ، كانت في سنة ١٩١٦ عند زيارته للكويت ، معزيا الشيخ جابر المبارك الصباح ، في وفاة والده الشيخ مبارك الصباح ، فقد اجتمع كبار أهل الكويت لتحية الأمير « عبد العزيز بن سعود » ، والسلام عليه ، فكان كل حديثه أو خطابه ، تشديد التذكير على الأتراك ، والخط من شأنهم ، واتهامهم بما أصاب الإسلام من ضعف ، وتأنيدهم لكل بدعة ، ثم ختم حديثه بأنه لو كان في بدنه قطرة من دم تميل إلى الأتراك ، لبذل كل وسيلة لإخراجها من جسمه . وقد استاء أهل الكويت من تصريحاته ، لأنهم ككثير من المسلمين في ذلك الوقت ، كانت عواطفهم مع الأتراك والألمان ، وكان الألمان منتصرين على الحلفاء في جميع الميادين ، ولقد انصرف أعيان الكويت من مجلس ابن سعود غير راضين عن خطابه .

وقد استبقاني « الأمير عبد العزيز » في حضرته ، فقد بلغه أني كنت من المنتقدين لسياسة الشيخ مبارك ، وفتح أبواب الكويت لقبائل العُجَمان ، وبيع ما نهبوه من أهل « الأحساء » في أسواق الكويت ، مع أن الفتنة التي نشبت بين العُجَمان

وابن سعود ، وقتل فيها سعد بن عبد الرحمن شقيقه ، كانت من أجل الشيخ
عبارك ، فقد نهب العجمان إبلاله ولرعايا الكويت . فأخذ الرجل يطربني ويثنى
على في دفاعي عن الحق ، وأراد أن ينفخني بشيء من المال ، فرفضت ذلك ، وشكرته ،
وقلت إن الدفاع عن الحق لا يحتاج إلى ثمن . ثم دار بيني وبينه بحث طويل ، عن
المعاهدة التي عقدها حديثا مع البريطانيين . فانتقدت المعاهدة انتقادا شديدا منها ، لأنها
قللت من شأنه ، وقلت له في أثناء الحديث : إن كانت هذه المعاهدة لحمايتك من
الأتراك ، فإن الأتراك والألمان إذا انتصروا في الحرب ، فلن يستطيع الإنكليز حمايتك ،
وإن انكسر الألمان والأتراك ، فلست بحاجة إلى حماية البريطانيين . وبالرغم من
عدم اقتناعه بوجهة نظري ، رأيت من سمة صدر الرجل وكريم خلقه ، ما حبينني فيه .
وعلم بعد ذلك رحمه الله بما أصابني من حبس وإبعاد من سلطات الخليج ، لسبب
واحد ، هو دفاعي عن الحق ، وانتقادي السياسة التي كان ينتهجها الوكلاء السياسيون
في خليج فارس ، وجهادي في سبيل الإصلاح الديني والاجتماعي ، فتنفصل رحمه الله
وبعث إلى بالكتاب الآتي ، جوابا عن كتاب أرسلته إليه في أواخر سنة ١٣٤١ هـ .

« (١) الرياض ٢٦ صفر ١٣٤٢ هـ »

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، إلى حضرة الأخ المكرم
الأستاذ الشيخ حافظ وهبة المحترم ، حفظه الله تعالى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع السؤال عن صحتكم ، وعنا ؟
بحمد الله تعالى على نعمه بغير . وبعد ، فقد أخذت كتابكم الكريم ، الدال على
غيرتكم الدينية ، وحميتكم القومية ، وعظيم اعتقادكم بنا ، فجزاك الله عنا وعن الأمة
العربية خاصة ، والمسلمين عامة ، خير الجزاء .

(١) كان هذا الكتاب ردا على كتاب أرسلته لعلفته من البحرين ، أنصحه فيه بالاتصال بالعالم
الخارجي ، والأخذ بتأحية الإسلام ، حتى تنفض البلاد إلى المستوى اللائق بها .

أيها الأستاذ، جميع ماشرحه فضيلتكم من الآراء الصائبة فهمناه، وهو والله الحقيقة التي آتيناها من صميم الفؤاد، وإنا كما ذكرته حضرتكم، في حاجة إلى رجال عمل، فهل تتمكن حضرتكم من القدوم علينا، فقد عرفت معتمدنا عبد الله النفيسي، بمراجعة حضرتكم بهذا الخصوص، فلا بد أن تبينوا له رأيكم بذلك؛ وإذا عزم عليه، فسيهيئ لكم كل ما تحتاجون إليه من لوازم السفر، ويكون ذلك على حسب رغبتكم، سواء على طريق الأحساء بحراً، أو من طريق البر رأساً.

هذا ما لزم بيانه، ودمتم بحفظ الله محروسين .
الخطم

قلبيت الدعوة، وسافرت إلى «الرياض»، فوصلت إليها بعد أربعة عشر يوماً من مغادرتنا الكويت، بعد رحلة متعبة على الإبل وكانت أولى تجاربي في اختراق الصحارى، ومشاهدة البادية وأهلها، التي قرأنا في وصفها الشيء الكثير في كتب الأدب.

كان أول خبر سمعناه عن «السلطان عبد العزيز»، هو مرضه من قرحة في شفته، عجز عن إبرائها معالجة أهل الحى لها، من كى وقراءة. ثم استعانوا بالطبيب الحديث بعد أن أعييتهم الحيلة، فحضر من البحرين أحد الأطباء الأمريكيين (الدكتور ديموند) فعالجها بالصادات والجراحة، فشفى السلطان، واستعاد صحته بعد أسبوع.

ولا شك أن هذه الحادثة وحادثه إصابته بالرمد بعد ذلك ببضعة شهور، جعلته يؤمن بالطب الحديث، وقد كان لذلك أثره في تأسيس أول إدارة طبية في «الرياض».

وفي أثناء مرض «عظمة السلطان» اجتمعت أكثر من مرة بالأمرير سعود (الملك سعود الآن) والأمير فيصل، فرأيت من تواضعهما وذكائهما وحرصهما على تتبع ما يدور في العالم الخارجى من حوادث وتطورات، ما حبينى في شخصيهما، ووثق بينى وبينهما برباط روحى قوى.



صاحب الجلالة الملك «سعود بن عبد العزيز آل سعود»
ملك المملكة العربية السعودية

أول اجتماعى بالسلطان عبد العزيز بالرياض

كان أول اجتماع لى معى فى حجرة متواضعة فى قصره بالرياض . كانت الحجرة مفروشة فرشاً بسيطاً ، ولكن الرجل ملاًها عظمة وجلالا ، وبعد أن حياى تحية كريمة قال : تسكلم . فقلت :

قد سرنى زيارة بلدتكم ، وسرنى شفاؤكم ولقاؤكم ، ويسعدنى ويسعد العرب أن نرى نجمكم يتألق فى الأفق ، وأن يعرفكم الناس فى خارج الجزيرة ، كما عرفكم أهلها . فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت بنشر أخبار الجزيرة فى الخارج ، ونشر اختلاف جيرانكم معكم ، حتى يعرف الناس قضاياكم ، وينصفكم الناس كما ينصفكم التاريخ . فقال : سنفعل ذلك إن شاء الله .

أريد أن تتولى هذا الأمر ، وأن تشتغل معنا ، وتعد نفسك واحدا منا ، وأريد أن يبتدىء عملك معنا بالاشتراك مع رجالى فى مؤتمر الكويت . فقلت يامولاي :

قدمت بلكم زائرا لا موظفا ، وإنى أشتغل بالتجارة بالكويت ، كما أشتغل بالتسليم بها ، وإنى لسعيد بهذه الحياة الحرة ، فلماذا أترك الحرية إلى وظيفة تقيد حياى ؟ فقال : ولماذا لا تضحى بشيء من حريتك فى سبيل قومك ودينك . إننا لانسى إلى تقييد حريتك كما تتصور . وبعد تردد منى ، وإصرار من عظمتى ، أجبته بالقبول ، ولكن بشروط ، فقال : وما الشروط ؟ فقلت :

الشرط الأول : أن توسع صدرك لكل ما تسمع منى ، ولك الحرية التامة فى قبول ما أشير به أو رفضه .

الشرط الثانى : ألا تصرّ على أن أبدى رأى فى أية مسألة فى مجتمع ما ، وإذا

رأيتني صامتا لأبدى رأيا في موضوع من المواضيع ، فعنى ذلك أنى لا أريد إبداء رأى
فى ذلك المجتمع ، لسبب من الأسباب .

الشرط الثالث : ألا تعاملنى معاملة من رأيت من موظفيك . فإذا عاملتنى
كصديق وجدتنى خادما ، وإذا عاملتنى كخادم وجدتنى ثائرا .
فقال على الفور : سأعاملك كأنخ .

وقال : إنى فى حاجة إلى من يصارحنى ، فإن من يطربنى ويمثلتنى كثيرون ،
وكثيرون جدا ، وطائفا ضاق صدرى من سماع قولهم (الشيخ أبخص) : أى السلطان
أعرف وأعلم .

ثم قال : لقد قبلت شروطك ، فهيا صافحنى وباعنى . فقلت على ماذا ؟ فقال على
الطاعة ، وموالاة من والائى ، ومعاداة من عادائى . فقلت : أما على الطاعة وموالاة
من والاك ، فحق لا ريب فيه ، وأما معاداة من عاداك فقيمها نظار . لقد كان ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم ، فإن من عاداه فقد عادى الله ، أما أنت فبشر ، تخطئ وتصيب .
ألا تترك لى حق البحث فى سبب العداة ؟ فقد يكون السبب وشاية واش ، وقد
يكون خطأ يمكن إصلاحه ، برجوع من عاداك إلى صوابه . أليس ذلك خيرا من
استمراره على عدائك ؟ إنك لست بحاجة إلى الإكثار من الأعداء ، بل أنت فى
حاجة إلى الاكثار من الأصدقاء . إنى أعتقد بامولائى ، أن أول واجب على وعلى
رجالك ، أن نستأصل جذور الضغينة والحقد من النفوس ، وأن تصفو النفوس لك ،
فإذا وجدت إصرارا من أحد على عدائك ، فحقت على أن أناصبه العداة .

فقال : هذا حق ، وإنى لم أسمع من أحد تحليلا معقولا لهذا الموضوع كما حالت .
فألمنا الله الصواب ، وسدد خطانا .

ستكون من اليوم مستشارى الخاص . ثم أمر جلالتة أن أطلع على جميع
الأوراق الصادرة والواردة ، وأن أقوم بتحرير الكتب السياسية بعد استشارته .



الملك الراحل بين المرحومين الدكتور سالم هندأوى
والدكتور جلال ب. السعود أطباء العيون المصريين عام ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٦ م

عبد العزيز السيامي

لقد كان عبد العزيز سياسيا بارعا ، وكان واقعا لا يخدعه الخيال ، ولا يتمسك بالآوهام ، ولا ينقص قدره مبالغته في الحذر من الإنسكيز .

أرسل إليه أحد كبار السياسيين السوريين كتابا مطولا (١) ، قبيل فتح الحجاز ، يستحثه على غزو سورية ، ويقول : إن جميع العرب ستكون بجانبه . وقد سلمني الكتاب ، وطلب مني قراءته وإخباره برأى . وبالطبع أبديت له رأى بصراحة ، وقد وصف كاتب الكتاب ، بأنه لا يعيش في هذا العالم ، فهو لا يعرف وسائل مواصلاتنا ، ولا وسائل تمويننا ، ولا من أين نشترى أسلحتنا ؟

فقلت له يامولاي : إن هؤلاء غرقى ، يريدون الخلاص من حنظهم ، والغريق لا يفكر في مشاكل من سينقذه ، ولكن المنقذ هو الذى يفكر .

ولقد طلب منه السوريون المساعدات العسكرية في أثناء ثورتهم ، فساعدهم حاليا .

وحاول بعض السوريين أن يستغلوه بترشيح الأمير فيصل لعرش سورية ، فملثوا جيوبهم بالمال ، ولكن الملك عبد العزيز كان لا يفوته أن هذا كله دجل ، وأن الفرنسيين لن يخرجوا من سورية إلا بالقوة .

واستنجد به السيد رشيد عالي في سنة ١٩٤١ في أثناء ثورته ، ولكنه رده ردا جديلا ، وأخبر رسوله المرحوم « ناجيا السويدي » بأن الثورة ستصاب بالفشل .

وحاول فؤاد حمزة في أثناء الحرب ، أن يغير موقفه الحيادي ، كما حاول هتلر

(١) أنظر هذا الكتاب في ملحق الرسائل بأخر كتابنا هذا .

وموسوليني أن يستميلاه بالوعود الكثيرة ، فلم يفلحوا . لأن الرجل واقى ، يعلم علم اليقين أن الأسطول الإنكليزي يمّون بلاده ، وإذا ضرب عليه حصارا ، أمات البلاد من الجوع . وإذا وقف الإنكليز دون وصول الحجاج ، فكيف يعيش الحجاج ؟ وقد أخفق هتلر وموسوليني وغيرهم من عاشق الأوهام .

وقدر الإنكليز له هذا الموقف الودى ، فأعانوه منفردين مدة سنتين ، بما لا يقل عن أربعة ملايين من الجنيهات كل سنة ، ثم انضم إليهم الأمريكانيون ، فوصلت الإعانات إلى ثمانية ملايين من الجنيهات . قسم منها كان كأغذية ، من حبوب وسكر وشاي وأقشة وأدوية ، وقسم آخر كان يرسل ذهابا . وكانت هذه المساعدات لتخفيف وطأة الحرب على الفقراء من الأهالي .

ولكن مما يؤسف له أشد الأسف : أن قسما كبيرا من هذه الإعانات قد استغلها المشرفون على المالبة ، من الموظفين والمتصلين بهم من التجار ، وأن ذوى الملايين من الموظفين والتجار قد جمعوها من أقوات الشعب الناعس ، وجلالة الملك رحمه الله قد تقدمت به السن ، فلم يعد يصدق ما يبلغه من أخبار . وكبرا ما كان جلالة يتحمل تبعه سوء تصرف موظفيه ، فيدافع عنهم أمام الإنكليز والأمريكانيين ، وكان هؤلاء يحترمونهم ، وإن كانوا يعرفون الحقيقة ؛ فأسواق القاهرة كان يباع بها الذهب جبارا سبائك ونقودا ، ولا شك أن تصرفات هؤلاء الموظفين أساءت كثيرا إلى جلالة الملك ، وإلى الدولة وسمعتها الدولية .

ومما يتصل بهذا الموضوع ، ما سمعته من السير فيروزنون ، وبعض أصدقاء تشرشل ، أن تشرشل ينوى بعد الحرب ، أن يكون من الشرق العربي مجموعة حكومات فيدرالية ، يكون « ابن سعود » رئيسا لها . وقد أشار وزير مان في مذكراته صحيفة ٥٢٤ وما بعدها إلى ذلك .

وربما كانت فكرة تكوين جامعة عربية ، وهي التي نادى بها إيلدن سنة ١٩٤١

عميدا لهذه الفكرة ، ولكنها على كل حال قد ماتت بعد إسناد الوزارة البريطانية إلى وزارة المال ، وهي معروفة بالميل إلى معاضدة الصهيونيين في مطامعهم .

ولا ينقص قدر الملك عبدالعزيز مبالغته في الحذر من الإنكليز ، كما سترى في الكتب المنشورة في ذيل الكتاب ، من تردده في نشر أول « كتاب أخضر » ، لتوضيح أوجه الخلاف بينه وبين الأشراف ، ليطلع عليها العالم الإسلامي ، وكذلك المبالغة في مجاملتهم في مختلف المسائل ، فقد سبق أن أنذره الإنكليز في سنة ١٩١٩ بعد واقعة ترربة ، التي قضى فيها على جيش الشريف حسين وُعداته .

والرجل واقعي وعلمي ، يقف عند الحد الذي تؤهله له قوته ، ولا يستمسك بالخيال ، وكان دائما يكرر القول المنسوب لعلی بن أبی طالب : « ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه » .
و كنت أردد البيت المشهور عندما يستشهد هو بهذه الحكمة :

لا يبلغ الأعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهلُ من نفسه

وفاة عبد العزيز

لقد مات عبد العزيز كما يموت كل حي ، ولكن عبد العزيز حي في التاريخ ، بما ترك من عمل خالد مشهور .

استولى عبد العزيز على الحجاز وقليل من الناس يحبه ، لأنهم لم يكونوا قد عرفوه والنفوس متأثرة بمأساة الطائف ، وما كتبه مفرضو الموزنين عن عقائد التجديدين . ومات عبد العزيز فيكاه أهل الحجاز جميعا ، لأنهم عرفوا فيه التواضع والكرم ، وحب الخير ، ومواساته للفقراء والبائسين ، فقد كان عهدہ على الحجاز عهد يسر وخير وبركة . تعلمه الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته .

وقد رثاء العالم بما يستحقه ، ونشر فيما يلي رثاء مستر « كينث مانوس » :
يؤسف الإذاعة البريطانية كل الأسف ، أن تعلن نبأ وفاة عاهل الجزيرة العربية ،
المختفون له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية .

مات عميد الأراضى الطاهرة ، وشيخها الأكبر ، فات بموته العربى الأول ، حارس الكعبة وقبر الرسول ، وحامى تقاليد الإسلام وتماليه ، وسنن الشرع الحنيف وقوانينه . فحضر العالم العربى بموته زعيا من أصلب زعمائه عودا ، وأكثرهم خيرة ، وأوسمهم تجربة ، وأصدقهم فِراسة ، وأعزهم ولدا ، وأكرمهم محتدا ، وأسخام يدا ، وأقوام شكية .

مات فى الجزيرة العربية ملك أسس ملكه بحدّ السيف ، فحكم بحق الفتح ، معليا كلمة الحق والدين ، فانتشر فى بلاده الحق ، وزهق الباطل ، ومصاد فى ربوع ملكه أمن وسلام ، ورخاء وطمانينة ، يحلم بها العالم جميعا .

مات فيها رجل والرجال قليل ، رجل ضم لواء حكمه أكبر بقعة من أرض الجزيرة العربية ، حكمها رجل واحد ، منذ أيام النبي صلى الله عليه وسلم .

بدأ الراحل الكريم حياته العسكرية الناجحة وهو في سن العشرين ، حين استولى على «الرياض» ، وهى المدينة التى أخرج أبوه منها بالقوة ، وكان دخول عبدالعزيز تلك المدينة فى غزوة مفاجئة ، تشبه فى تفاصيلها قصص «ألف ليلة وليلة» ، لما حوته من خصال الشجاعة والفروسية والمغامرة والخط ، ولم تمض بضعة سنوات حتى مد عبد العزيز آل سعود ، سلطانه على المنطقة المحيطة بتلك المدينة ، وكانت تعتبر رسمياً تحت سلطة الأتراك . فأنبت أنه رجل إدارى قدير ، وعمل على إقرار أتباعه فى قرى زراعية ، حتى ينشئ فى قبائل البدو الرحل روح الشعور بأنهم أفراد فى مجتمع قوى . ثم انتزع التقاليد البدوية القبلية ، وجعل بدلها الشريعة الإسلامية ، ودرّب جيشاً ، اشترك فى العمليات الحربية ضد الأتراك سنتى ١٩١٤ ، ١٩١٥ .

وعندما سقطت الإمبراطورية العثمانية ، شن ابن سعود سلسلة من الحملات ، لى يوسع سلطانه فى البلاد العربية ، فدخل مكة المكرمة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٤ ، ودخل المدينة المنورة بعد ذلك ببضعة أشهر .

وبعد مرور سنة نودى به ملكاً على المملكة العربية السعودية ، فى مسجد جدّة الجامع . فأقام نفسه ملكاً مطلق السلطة ، لا يسعح بأن يعارضه معارض ، ولكنه أقام من الأمن الداخلى فى البلاد ، ما لم تعرفه «جزيرة العرب» منذ قرون خلت ، وأتاح لأهل البلاد أن يشعروا بأن الأمور مستقرة استقراراً يرحى له الدوام .

وتعتبر ملكة الملك «عبد العزيز آل سعود» فى نظر الغربيين ، من أبعد البلاد متناولاً ، ولكن الملك بقى حليفاً دائماً لبريطانيا ، وعاضداً البريطانيين وحلفاءهم فى كلتا الحربين العالميتين . وفى أثناء الحرب الأخيرة غادر رحمه الله ملكه لأول مرة فى حياته ، متوجهاً إلى مصر ، حيث اجتمع بالرئيس روزفلت والمستر تشرشل ، وتباحث معهما بشأن قضية

فلسطين، ونُصرة سكانها العرب. وفي السنوات الأخيرة منح شركات النفط الأمريكية امتيازات في بلاده، وأخذ بعضُ بواد الحاضرة الأمريكية يظهر في مدن المملكة. وكان رحمه الله غيورا حريصا على استقلال بلاده، ولكنه انضم إلى الجامعة العربية في نهاية الأمر، وتعاون مع الدول العربية الأخرى في مشكلة فلسطين.

كان جلالة الملك الراحل يرتدى الملابس البيضاء، مثله في ذلك مثل شيوخ العرب في كل المصور، وكان متمسكا بأهداب دينه وتعاليمه، يقيم الصلاة في أوقاتها، ويؤدي الزكاة لأربابها، ويفرض قوانين الشرع الحنيف في غير لين أو هوادة، فكم من يد سارق قُطعت، وكم من قاتل أعدم جزاء وفاقا.

وكان رحمه الله إلى جانب ذلك، مُقبلا على انتهاج سياسة الرقي والتقدم في بلاده، إذ جلب إليها كل ما توصلت إليه المدنية من وسائل المواصلات، كالسيارات والطائرات والقطر الحديدية، فضلا عن الإذاعة ومشاريع العمران وما إلى ذلك.

مات في الصحراء فاتح غاز، وزالت من ربوعها شخصية قل أن يمحو الزمان بمثلها. وكان شوقي يعني رثاء الراحل الكريم حين قال:

يموت في الغاب أو في غيره أسدٌ كل البلاد وساد حين قدس
فألهم ارحمه رحمة واسعة، وعوّض العرب والإسلام عن فقد عزا وصبرا.

فألق المصابُ فداحة الطوفان	فما القناء صحائف العرفان
وسطت على الدين الحنيف بلية	أبكت عليه سائر الأديان
بأنها الملك الأنثم بناؤه	بالله قل لي أين ذاك الباني؟
أبكت وفاتك أمة وعشيرة	هزت منونك جواهر التيجان
وبكى عليك المشرقان توجعا	وارتجت الأمصار والمهران

لقد مات عبدالعزيز بعد أن أدى رسالته الخالدة، فترك الأمانة إلى ولديه: «جلالة الملك سعود»، وولي عهده «سما الأمير فيصل»، وسيكونان على عهده بهما، محافظين عليها، عامين على ازدهارها.

فتح الحجاز

والقضاء على رأس الأسرة الهاشمية

لقد ذكرنا في كتابنا الأول «جزيرة العرب في القرن العشرين»، تفاصيل المفاوضات التي جرت مع وفود العراق والأردن في مؤتمر الكؤنيت، والكتب التي كانت ترسل من الملك حسين بإيماء الإنكليز، وكلها يدل على ما كان يُبَيِّته الهاشميون لحاكم نجد. والملك حسين لا ينظر إلى «سلطان نجد» أو غيره من الحكام الآخرين، إلا كما ينظر السيد إلى تابعه. على شروطا على جاره، لا يميلها إلا المنتصر في معركة حاسمة، وهو للمدين يبقائه على عرشه للبريطانيين وحدهم، فهم الذين أجبروا ابن سعود على التراجع من «تربة» سنة ١٩١٩، وقد كان في إمكان جيوش ابن سعود أن تسقطه، كما أسقطته بعد ذلك بأربع سنوات، ولكن الأحوال الآن مختلفة، ولئن كان المؤتمر قد أخفق في الوصول إلى تسوية معقولة، لقد أفتح المؤتمر «سلطان نجد» بأن جيرانه من الأشراف لا يريدون به خيرا، وأنهم أصبحوا يحيطون به من كل جانب، فهل من مصلحته أن يسكت، وأن يترك لهم الفرصة؟

وكان الجو السياسي ملائما لابن سعود من جميع النواحي؛ فإن إعلان الملك حسين الخلافة، أغضب مسلمي الهند ومصر، وأكثرية العالم الإسلامي، فاخلافة تحتاج إلى من يحمي حوزة المسلمين، ويدافع عن مصالحهم، والملك حسين رحمه الله أضعف من أن يحمي نفسه، وقد أثبتت الحوادث ذلك. وكان الملك حسين يقف موقفا تجاه فلسطين لا يرضى بريطانيا. فلي من يعتمد؟ إنه كان يعتمد على أخيلة لم تحققها الأيام.

لذلك أشرت على الملك عبد العزيز، أن يضرب ضربته بالإخوان النجديين سيوف الإسلام، ولكن ابن سعود لم ينس إنذار البريطانيين له في سنة ١٩١٩، بعد قضائه على جيش الملك حسين في «تربة»، والذي كان يقود الشريف عبد الله (الملك عبد الله)، ولكنني شرحت لجلالته الظروف التي تحيط بالملك حسين في ذلك الوقت، وهي تختلف اختلافاً بيناً عنها في سنة ١٩١٩، ففي هذه السنة كان حليفاً مطوعاً لبريطانيا، وفي سنة ١٩٢٤ أصبح مناوئاً.

لقد كان ابن سعود متبهاً أكثر منه متردداً، وأنا أستحثه على انتهاز هذه الفرصة، والفرصة لا يعود بها الزمن أكثر من مرة. إنه لم يكن يصدق أنه سيستولى على الحجاز، ولم يكن يصدق أن الملك حسين ضعيف بالدرجة التي كنت أصورها له، ولكنه اقتنع أخيراً بأن يهجم على الطائف، فإذا استولى عليها، جعلها نقطة مساومة بينه وبين الملك حسين، فأخذت أممي* الجو بمنشورات حماسية، تحمل اسم الأمير فيصل، حملت فيها على الملك حسين، في إعلانه الخلافة بدون استشارة المسلمين، وهو ليس بالرجل الذي يقوى على تحمل أعباء الخلافة، فكان لهذه المنشورات دوى في الهند ومصر، وسائر أنحاء العالم الإسلامي. وكذلك أهبت بالمسلمين أن يقوموا في وجه الملك حسين، الذي لم يستطع في تلك السنة حماية الحجاج، وأن يضعوا حداً لادعاء الأشراف حكم الحجاز، فالحجاز للمسلمين عامة، ولا يحق لحاكم الحجاز أن يمنع مسلماً من أداء فريضة الحج، وزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام. أما الاستبداد الذي يقوم به الملك حسين في حكم الحجاز، فإنه يخاف روح الإسلام. وفي الوقت نفسه نشرنا «كتاباً أخضر» لأول مرة في التاريخ الحديث للبلاد العربية، ولا شك أن هذه الدعاية الواسعة، مع الآثار السيئة الذي تركه إعلان الملك حسين نفسه خليفة للمسلمين؛ بدون موافقة المسلمين، كل هذه العوامل كان لها أثرها الحسن في موقف ابن سعود تجاه الملك حسين.

فتح الطائف ومكة

انتبهز سلطان نجد (ابن سعود) فرصة زيارة رؤساء العشائر في عيد الأضحي سنة ١٣٤٢ ، ولا سيما عتيبة ، وأشرف العُزَيمَة ، وسواها من البلاد المتاخمة للحجاز ، فأمرهم بالاستعداد لغزو الطائف ، والوقوف عنده ، لعل الملك حسين يرجع إلى رشده ، ولكن الإخوان دخلوا الطائف ومكة فاتحين ، بدون أن يحدوا عقبة في سيلهم ، بيد أنهم في دخولهم الطائف ، أعملوا السيف في رقاب كثير من الأبرياء ، كما أعملوا يدا النهب والسلب في كثير من أموال الناس ، فأخذ الأشراف من ذلك وسيلة للدعاية ضد سلطان نجد . فتلقيت وأنا في الأحساء كثيرا من البرقيات ، من جمعية الخلافة الهندية وسواها من الجمعيات الإسلامية الهندية ، وأكثرها يربطني بزعمائها رابطة أخوة وصداقة متينة ، فأجبتهم بأن ما وصلهم من الأخبار لا يخلو من مبالغة ، كما أن الحكومة مستعدة لتعويض كل من أصابه ضرر من الإخوان ، في أثناء فتحهم الطائف ، وبذلك سكنت العاصفة التي أراد الأشراف إثارتها ضد « سلطان نجد » .

وعندما علم « سلطان نجد » باستيلاء الإخوان النجديين على الطائف ، أرسل إلى زعماء الإخوان المنشور الآتي نصه ، وإلى أهالي مكة ، لإدخال الطمأنينة إلى نفوسهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى كافة من يراه من إخواننا أهالي مكة ومجدة ، وتابهما من الأشراف والأعيان ، والمجاورين والسكان ، وفقنا الله وإياهم لما يحبّه ويرضاه . آمين .

سلام عليكم وبرحمة الله وبركاته .

أما بعد : فالوجوب لهذا الكتاب ، هو شفقتنا على المسلمين ، لصالح أحوالهم ،

فى أمر دينهم وديانهم ، ولم نزل نكرر على «الحسين بن على» النصائح ، ونحرص على ما يجمع شمل العرب ، لتكون كلمتهم واحدة ، ولكن الطبع يغلب التطبع ، ولا تحتاج إلى تطويل الشرح بما انطوى عليه ، لأن أكبر شاهد على ذلك ، ما رأيتوه منه ، وشاهدتموه من أقواله وأفعاله ، فى هذه البقعة المباركة ، التى هى مهابط الوعى ، مما ينكره عقل كل مسلم ، وعلاوة على ذلك ينكره كل من يحب المسلمين ولولم يكن منهم ، فالرجل ترك مزايا الإنصاف ، وهى ما انتسبت إليه من هذا البيت الكريم ، وأهل حقوق هذه البقعة المباركة عليه ، فى عدم ركوب طريقة السلف الصالح ، التى هى شرفه وشرف المسلمين خصوصا ، وشرف العرب عموما ، ولا شك أن من ترك ما كان عليه النبى الكريم ، عليه أفضل الصلاة وآتم التسليم ، وخلفاؤه وأصحابه ، وهوىسى باسم الإسلام ، وخاصة إذا كان من أهل البيت الشريف ، وطمح إلى غيرها من الزخارف ، التى هى أكبر شئوم على الإسلام خصوصا ، وعلى العرب عموما ، فهو لآخر فيه . فنذ دخل الحجاز جمل أكبر همه الإيقاع بنجد والنجديين ، وقد تظاهر بذلك واضحا ، منذ أن تفرد بالحكم ، وقبض على زمام الأمور فيه ، وقد بلغ منه التهور ، أن منع أهل نجد قاطبة من حج بيت الله الحرام ، وهو أحد الأركان الخمسة ، فهذا فضلا عما يأتيه هو وعماله من المظالم ، والمعاملات القاسية ، تجاه حجاج بيت الله الحرام ، الذين يأتونه من مشارق الأرض ومغاربها . ومن هذه المدة قد تركنا التدخل فى أمور الحجاز ، لأجل احترام هذا البيت ، ورجاء السلم والأمان ، لكننا مع الأسف ، لم نخطئ بذلك منه . وفى هذه الأيام الماضية ، فى سفره إلى الأردن ، بانت نياته ومقاصده للمسلمين نحونا ، حينما طلب تجرئة بلادنا ، وتشيت شملنا ، حتى لقد يشنا من الوصول إلى حسن التفاهم معه ، لجمع كلمة العرب ، ولا والله ما نعلم له شيئا من النعمة علينا ، إلا كما قال الله تعالى : « وما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » . ولكننا ، والله الحمد ، لنا

متأسفين على شيء. **إِنَّا سَلَّمْنَا شَرُّنَا** في أمر ديننا ودينانا ، فليس لنا قصد في زخارف الحسين وأتباعه ، لافي تلك ولا خلافة ، ولكن غاية قصدنا وما ندعو إليه ، هو أن تكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر ، ويسلم شرف العرب ؛ فلذلك لحقتنا القبرة الإسلامية ، والحجة العربية ، أن نفدى بأموالنا وأنفسنا مايقوم به دين الله ، ونحمي به حرمة الشريف ، الذى أمر الله بتطهيره وتعظيمه واحترامه ، كما قال تعالى : « وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ » . وقد أرسلنا سرية من المسلمين لاحتلال الطائف ، لأجل القرب والتفاهم بيننا وبين إخواننا ، فأحببت أن أعرض عليكم ما عندى ؛ فإن أجبتمونا فنعم المطلوب ، وإن أبيتم فهذا الذى يعذرننا عند الله وعند المسلمين . وأبرأ إلى الله أن أ تجاوز شيئا مما حرمة الشريعة ، خصوصا في هذا الحرم الشريف ، الذى قال الله تعالى فيه : « وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نَذَقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ » . وحرمة هذا البيت معلومة ، حتى عند المشركين الأولين ، كما قال الشاعر :

إِن الْفُضُولَ تَعَاقدُوا وَتَعَاهَدُوا أَنْ لَا يَفِرَّ بَيْطُنْ مَكَّةَ ظَلَامِ

وأما الأمر الذى عندى لكم ، فهو أنى أقول : لكم ي أهل مكة وأتباعها من الأشراف وأهل البلد عموما ، والمجاورين والملتجئين من جميع الأقطار ، عهدُ الله وميثاقه ، أن نحافظ على أموالكم ودمائكم ، وأن تُحْتَرَمُوا بحرمة هذا البيت ، كما حرمة الله على لسان خليله إبراهيم ، ومحمد ، عليهما أفضل الصلاة والسلام ، وألاّ نعاملكم بعمل تكرهونه ، وأن لا يعضى فيكم دقيق أو جليل إلا بحكم الشرع ، لافي عاجل الأمر ولا آجله ، وأن نبذل جِدَدنا وجهدنا فيما يؤمن هذا الحرم الشريف وسكانه وطرقه للوافدين إليه ، الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وأن لا نولّى عليكم من تكرهونه ، وأن لا نعاملكم بعاملة المُلْك والجبروت ؛ بل نعاملكم بعاملة النصيح والسكرينة والراحة ، وأن يكون أمر

هذين الحرمين الشريفين شُورَى بين المسلمين ، وألاَّ يَمضى فيهما أمر يضرّ بهما ، أو يشرفهما ، أو بأهلها . إلا ما توافق عليه المسلمون ، وأمضته الشريعة .

فهذا الكتاب شاهد لى وعلى عند الله ، ثم عند جميع المسلمين ، وعلى ماقلته أعلام أيضا على عهد الله وميثاقه . فهذا الذى يلزمنا ، ولا بد إن شاء الله أن نفعل دائما مايسرّ خواطر كم أكثر مما ذكرنا .

نرجو الله أن يهدينا وإياكم لما يحب ويرضى ، ويصلح بنا وبكم البلاد والعباد ، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهديين ، ويمنعنا وإياكم من سوء القتن ، وأن ينصر دينه ، ويُعلّي كلمته ، وأن يُبدل أعداء دينه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

٢٢ صفر ١٣٤٣

عبد العزيز

دخول مكة

ولم يترك الإخوان الفرصة تفلت من أيديهم ، فقد رأوا عرش الحسين ينهار بعد استيلائهم على الطائف . رأوا الملك حسين يتنازل لولده الأمير على عن الملك ، كما رأوا الفوضى أخذت تدب في الحجاز - فزحفوا إلى «مكة» ، فلم يجدوا في طريقهم أحدا يقف دونهم ، فدخلوا بلد الله الحرام مهللين مكبرين ، لا محاربين ولا مقاتلين ، فدانت لهم الرقاب ، وفر إلى جُدّة فزعاء ورعبا ، كثير من سكان مكة ، وقد اختار الإخوان خالد بن لؤى حاكما (أميرا على مكة) وهو من أشرف «الخرمة» . وقد كان ممن حاضد الشريف حسين في ثورته ضد تركيا ، في الحرب العالمية الأولى .

وعندما وصلت إلينا الأخبار عن دخول الإخوان مكة ، وقد كان دخول مكة خارجا عن الخطة المرسومة لهم ، أخبرت الملك عبد العزيز ، أن الواجب يقضى عليه أولا بتنع الإخوان من الهجوم على جُدّة ، خشية أن يقع في جُدّة ماوقع في الطائف ، فتكون العاقبة وخيمة ، وأن الواجب يقضى عليه بأن يسافر حالا إلى الحجاز ، ليشرف بنفسه على الحالة هنالك ، وليعرف الناس بنفسه ، وليطمئن الحجازيين ، ويزيل من نفوسهم الأثر السيئ من مأساة الطائف .

الزحف على الحجاز .

غادر ابن سعود الرياض في (١٣ ربيع الثاني ١٣٤٣ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٢٤) على رأس جيش من الحفّز، من خيرة المحاربين، يبلغ عددهم نحو خمسة آلاف مقاتل: قطعنا الطريق من الرياض إلى مكة في ٢٣ يوما، وكانت تلك الأيام من أسعد الأيام في حياتي . كانت تذكرنا بالحياة الأولى التي كان يحياها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، كنا نقضى أوقاتنا : إما في قراءة القرآن ، أو دراسة البخارى أو مسلم ، أو سيرة ابن هشام ، وكان كل ذلك يتم ونحن نقطع الطريق على ظهور الإبل .

وفي يوم من أيام رحلتنا ، وكنا نأخذ قسطا من الراحة ، أنا وزميلى الدكتور عبد الله المملوحى، إذا برسول من «السلطان ابن سعود» يدعونا إلى خيمته، قلنا: خير، إن شاء الله، لقد وصلت إلينا الصحف من العراق، تنبئ بسقوط وزارة العمال، وتألّف البريطانيين المحافظين للوزارة الجديدة، برياسة «مستربلدوين» وبالطبع هذا لا يعنيننا، ولكن زميلا من زملائنا أخبر «سلطان نجد» بالخبر، وأخبره أن المحافظين سيكون أول عمل من أعمالهم : المحافظة على الأشراف ، وأن تصرّيحناى السابقة بأن الحكومة النجدية مستعدة لتعويض كل من أصابه ضرر في الطائف ، ستوقع نجدا في ارتباك سياسى ومالى . لا يعلم مداه إلا الله ، كما فعلت الحكومة البريطانية مع مصر بعد مقتل السرّدار .

لقد هال السلطان هذا التفسير ، وعظمته بالرغم من كبر عقله ووزنه للأمر، لا يعرف شيئا عن المحافظين أو العمال أو الأحرار . كل ما يعرفه أن البريطانيين هددوه في سنة ١٩١٩ بعد الاستيلاء على «تربة» ، وبعد أن ضرب جيش الشريف الحسين ، وكان يقوده الأمير عبد الله (الملك عبد الله بعد ذلك) ضربة لم تقم له بعدها قائمة ، فهو في الواقع جيش من المرتزقة ، لا تجمعهم عقيدة ، ولا دفاع عن هدف قومى .

أجبنا دعوة السلطان ، فوجدناه واجعا مغموما ، فسألنا عظمته : هل لديكم من

أخبار هامة ؟ فأخبرته : ليس هنالك من أخبار سوى سقوط وزارة العمال ، وقيام وزارة من المحافظين . فقال على الفور : هل للمحافظين تأثير في موقفنا ؟ وهل يؤيدون الأشراف ؟ فقلت له : يا مولاي ، إن الإنجليز في سياستهم الخارجية لا تختلف أحزابهم . إن أحزابهم قد تختلف في شئونهم الداخلية وحدّها . فقال : لقد أخبرني زميلكم (فلان) ^(١) أن المحافظين سيكونون ضدنا . فقلت : إن هذا غير صحيح بالمرّة ، وسرى عظمتكم في المستقبل القريب ، أن المحافظين في موقفهم لا يختلفون عن العمال . إنكم تذكرون أن سعد زغلول باشا كان يعتقد أن «رمزي ماكدنالد» زعيم حزب العمال ، سيحلّ معه قضية مصر ، على فلجان ^(٢) من القهوة ، ولكن «سعد زغلول» وجد «رمزي ماكدنالد» لا يختلف عن «كرزن أويلنر» . إن الذين يضعون السياسة البريطانية دائماً ، والأحزاب على اختلافها تنفذ ما يضعه الموظفون الدائمون . نعم إن وزير الخارجية أو رئيس الحكومة ، قد يضع توجيهها أوشيثاً من التعديل للسياسة المرسومة ، ولكنهم قلما يغيرون تسييراً تاماً ، تلك السياسة التي يضعها الموظفون الدائمون ، فهي سياسة مبنية على دراسة وافية ، من لجان واقفة على سياسة العالم . فقال عظمته : هل أنت متحقق مما تقول ؟ فقلت كل التحقّق .

وحينما قرأت في مجلّات بواذر من الشك والتردد ، قلت له : يا مولاي ، إذا كنت في شك من أمرك ، فخير لك أن ترجع إلى بلدك ؛ وإن كنت واثقاً بالله الذي وعد المؤمنين الظفر والتأييد ، فسر في طريقك ولا تتردد . لا تشغل بالك يا مولاي بهذه الشكوك . إن بريطانيا لا يهيمها إلا المحافظة على رعاياها ومصالحها ، وسيان عندها الشريف حسين أو ابن سعود . لقد كانت لها آمال كبيرة في الملك حسين ، فأندرتك

(١) لقد كان من دأب هذا الزميل بلبلة أفكار السلطان عبد العزيز ، لقد لبّل أمكاره قبل ذلك لنشر الكتاب الأخضر (والكتاب المذكور لا يحوى سوى مراسلات بين الإنجليز والملك عبد العزيز والملك حسين) ، ولبّل أفكاره عندما أبرقت جماعة الخلافة الهندية عن مسألة الطائف ، كما أشرت إلى ذلك آنفاً .

(٢) في « تاج الدروس شرح القاموس : فليج » : الفليج بالكسر : مكيا . قال : قلت ومن هنا يؤخذ قولهم ظفّر الممد لشرب القهوة وغيرها : فنجان . والعامة فتقول : فلجان ، وفتجان ولا يصحان . اهـ .

فى سنة ١٩١٩، أما الآن فقد تغيرت الحال، وخابت جميع آمالها فيه، فسر على بركة الله ولا تتردد، « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ». فقال : توكلنا على الله، ولعنة الله على فلان (زميلنا)، الذى بلبل أفكارى، وأسلىنى إلى الشك والتردد .

وبعد أربعة أيام من هذه الحادثة، وصل إلينا بريد الحجاز، يحمل كتبنا من قناصل الدول جميعا، يعلنون فيها حياد دولهم فى الحرب القائمة فى الحجاز، ويحملون الفريقين مسئولية ما يقع على رعاياهم من ضرر أو تعد، فكان لهذا البريد وقع حسن، وبشارة خير للمستقبل .

ونحقق السلطان (ابن سعود) أن الحوادث تتطور بمجانبه، وأن كل شىء يتوقف على حكمته، وكبح شكيمة الإخوان التجديدين .

وفى مساء ذلك اليوم قرر عظمته إرسالنا إلى مكة كطليعة للدراسة الأحوال فيها، ولإدخال الطمانينة على من بقى من أهلها، فقد فر كثير من أهلها إلى جدة، خوف أن يصيبهم ما أصاب إخوانهم فى الطائف .

وكان وفدنا يتألف من كاتب هذه السطور، والدكتور عبد الله الدموحى، والشيوخ عبد الله آل سليمان (وزير المالية السابق)، وكان يشغل وظيفة السكرتير الخاص لسلطان نجد، وقد وصلنا إلى مكة قبل وصول الركب السلطانى بثلاثة أيام، وقد أمضينا هذه المدة فى الدراسة، والاجتماع بكبار أهل مكة، من علماء وتجار وموظفين وقد ألقيت عدة خطب قبل وصول عظمة السلطان وبعده، أؤكد فيها إصلاح ما أفسد الأشراف، والرجوع إلى العالم الإسلامى، فى تنظيم شئون الحجاز والحرمين الشريفين، ولقد كان لهذه الخطب أثرها الحسن فى أهل الحجاز، وإدخال روح الطمانينة عليهم، كما كان لها أثرها فى مصر والهند وجاوة وغيرها. وقد وصل إلى الكتاب الآتى، من ناظر التكية المصرية، وكان حاضرا أول خطبة ألقيتها على أعيان مكة، وهذا نصه :

حضرة سيدى الأستاذ الفاضل :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فليس من غرضى أن أقول لك فى كتابى هذا : أحسنت كل الإحسان ،
فما أبنته بلسان حان ، فى اجتماع اليوم ، فإن هذا شهد به قبلى ومعى وفى وقت
واحد ، كل الذين شاركونى فى لذة الإنصات إليك ، والإقبال عليك ، لأن كلمة
الحق تؤثر فى كل نفس ، وتحرك كل قلب ، حتى نفس المجرم وقلب الخائن .
ولكننى أردت أن استرعى نظرك وقد جمعنا أواصر واحدة ، إلى شىء واحد ،
هو أن نفعل مالك من قوة ، ونستخدم مالك من نفوذ وتأثير ، لأخذ الناس بالمسنى
وبالرحمة ، قبل أن يأخذوهم بالمدل . فكلهم ضعفاء بائسون ، وليس لهم حول ولا طول
ولا حيلة ، وكلهم فى جنب الله ؛ وقد وقعوا كما تعلمون تحت تأثير ظروف صعبة ، وصدمات
متتالية ، وفى أدوار متعاقبة ، آخذ بعضها برقاب بعض .

هذه كلمتى التى رغبت فى تسجيلها على نفسى أمام الله ، وأنا ضيف راحل ،
وليس لى فى هذه البلاد ناقة ولا جمل ، ولا والد ولا ولد ، ولكن لى ما لكل مسلم ،
وعلى ما على كل مسلم .
والسلام عليكم ورحمة الله .
أول ديسمبر ١٩٢٤
أخوك المخلص
ناظر التكية المصرية
أحمد صابر

لقد كنت أحمل للحجاز وأهله آمالا كبارا أملتها على تربيتى الدينية . كنت أمل أن
يكون للعالم الإسلامى أثر ظاهر فى إصلاح الحجاز ، وخلق نهضة اجتماعية لكانه:
يدوم وحضرهم .

إن الحجاز فقير قليل الموارد ، يميز عن القيام بجميع النواحي الإصلاحية ، التى يتوق
المسلمون إلى تحقيقها فى أحب البلاد إليهم ، والحجاز فى ذلك الوقت (سنة ١٩٢٤) بالرغم

من قداسه ، يقل شأنه عن كثير من المحاضرات الإسلامية ، لا طرق معبدة ، ولا إدارة صحية منظمة ، ولا مياه صحية للشرب ، والبعض يعكر صفو الراحة .

لقد كانت أكبر آمانى أن نبرهن لأوروبا أن بلاد الشرق إذا استقلت ، فإنها تستطيع أن تنهض وتصلح من شأنها ، ولكن شتان بين الأمل والعمل .
لقد كانت مكة وقت دخولنا إليها ، من المدن المتأخرة في تخطيطها وطريقها ، وحياة أهلها ، لقد كانت ولا تزال تحتاج إلى عناية عظيمة ، لما لها من الإجلال والقدسية في نفوس المسلمين ، ولا غرابة ولا عجب إذا رجعت طوائف كثيرة من الحجاج المتعلمين والفقهاء ، غير راضين عما شاهدوه في الحجاز ، مما لم يكونوا يفتظرونه ^(١) .

ولقد وصل عظمة السلطان إلى مكة ، وعسكر في الشهداء ، إحدى الضواحي ، وأمضى نحو أسبوعين في الاجتماع مع أهلى مكة ، وشيوخ قبائلها ، فسحر الجميع بتواضعه وكرمه ، الذى عم القاصى والدانى .

وقد رفض عظمته جميع عروض الصلح التى قدمت إليه : رفض العرض الذى قدّمه الكاتب المشهور «أمين الريحانى» بواسطة الحاج حسين العوينى (وزير الخارجية اللبنانية بعدئذ) ، كما رفض العرض الذى قدمه السيد «طالب النقيب» ، و«فلبى» قبل إسلامه ، وقد أرسلنا من قبل الملك فيصل الأول ملك العراق ، كما رفض بعد ذلك توسط الإنكليز وملك مصر .

(١) هذا ما كان بالأمر ، أما اليوم فقد بدأ إصلاح الطرق وتعميدها ، وتوسعة الحرم المكي والمدني . ونرجو أن يكون ذلك نعمة خير لعهد الإصلاح الذى يشهده العرب والمسلمون .

الحكومة المؤقتة

كان لابد أن يتولى «السلطان عبدالعزيز» قيادة الجيوش بنفسه ، لكي يجمع الإخوان التجديدين المحاصرين لجدة ، وكان لابد أن يترك أحدا من المدنيين بجانب خالد بن لؤى ، أحد زعماء الإخوان ، فرأى أن يسند هذه المهمة إلى وإلى الدكتور عبد الله الدموحى بالتناوب ، ثم رأى بعد ذلك أن يبقى الدكتور عبد الله الدموحى بجانبه ، وأن أفرد أنا بالإدارة المدنية ، أشرف عليها أنا ، أما الإدارة العسكرية ، أو مشاكل الإخوان التجديدين ، فيتولاها خالد بن لؤى .

وكنفت بين آونة وأخرى أزور عظمته فى المعسكر السلطانى «بالرغامة» ، لأطلعه على مايجرى من الأمور ، وأسترشد بإرشاداته ، وقد رأينا من الحكمة إسناد بلدية مكة إلى رجل من خيرة أهلها ، هو المرحوم الشيخ أحمد الشبجى ، يساعده عدد من أعيان أهل مكة ، كإرائنا من الحكمة تأسيس مجلس شورى متواضع ، برئاسة الشيخ عبدالقادر الشبجى ، أمين مفتاح الكعبة ، فكان هذا المجلس التواضع نواة لمجلس الشورى ، الذى كنا نود له كل نمو وازدهار ، وأن يكون خير مساعد للحكومة فى تحمل الأعباء .

وبقى الحال على هذا النمط إلى وقت تسليم جدة ، حين تولى الأمير فيصل الإدارة ، ولقب بالنائب العام ، وعُيِّن ثلاثة من المستشارين لسموه ، وبقيت مساعدا لسموه ، ومستشارا لجلالة الملك عبدالعزيز ، وألف مجلس شورى آخر يحمل محل المجلس الأول . وكنا نرجو أن يتطور المجلس القديم إلى مجلس آخر ، يساعد السلطة التنفيذية ، ويقوم بإرشادها إلى خير السبل : الكفيلة بإرساء قواعد العدل .

على أن المجلس قد أدى كما فصله فى موضعه إن شاء الله : خدمات عظيمة الأهمية فى أكثر النظم الإدارية التى وضعتها الحكومة .

قد كنت في المدة التي بقي فيها الشريف خالد بن لؤي أحد الفاتحين المسكة ، رئيسا
للادارة العسكرية في نزاع مستمر بيني وبينه ، لاختلاف عقليتنا الحضرية والبدوية .
هو يريد مصادرة جميع البيوت ، والاستيلاء على مانيها ، بحجة فرار أهلها إلى
جُدَّة ، وأنا أحاول المحافظة على هذه البيوت ، لأن أهلها لم يفرؤا إلا خوفا على حياتهم ،
وقد نجحتُ في كثير من الأحوال ، وأخفقت في بعض الأحوال الأخرى .

كما كان النزاع دائما على موضوع الدُّخَان : خالد يستعمل الشدة مع الناس ، وأنا
أحاول أخذ الناس بالرفق ، لأن رِطام الناس عن الدخان يحتاج إلى وقت طويل ،
والأخذ بالشدة يُوغر الصدور ، وليس من المقول أن تجبي الحكومة ضريبة على
الدخان ويُضرب الناس على التدخين ، ولكن هذا هو الواقع ، وبالطبع إن الإخوان ،
وهم جماعة من البدو ، لا يدركون هذا .

لقد طال حصار جُدَّة وقرب موسم الحج ، فأراد «الملك عبد العزيز» أن يلفت نظر
العالم الإسلامي إلى أن سبل الحج ميسورة ، وأن هنالك موانئ غير جُدَّة مفتوحة ،
فأرسل النداء الآتي إلى البلاد المختلفة ، وهاك نص النداء :

نداء عام إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

مكة المكرمة ١ شعبان سنة ١٣٤٣ ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، إلى كافة إخواننا
المسلمين ، في أقاصي الأرض وأدانيها .

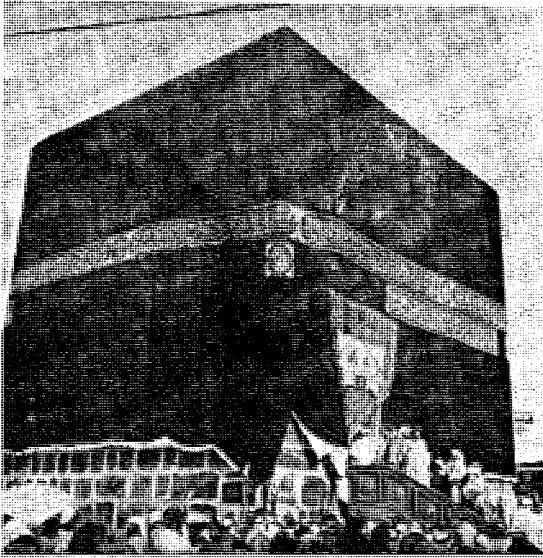
نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ،
ونستفتح بالذي هو خير .

وبعد ، ففتح من الله علينا ، وأمدنا بعنايته في دخول هذه البلاد المقدسة ،
وتفضل علينا ، ومكثنا من طرد الحسين وأولاده ، الفئة الباغية ، من هذه الديار المطهرة .
وبذلك زالت ، والمجد لله ، دولة الظلم والجور ، وحلت الشريعة السمحة محل
الأغراض والأهواء ، و« زرع العدل بين الناس ، سواء في ذلك الصغير والكبير ،
والشريف والوضيع ، فساد النظام في البلدة المطهرة ، وفي سائر أنحاء البلاد ، واستتب
الأمن ، وعمت السكينة والطمانينة سائر الأرجاء ، بصورة لم تُعهد من قبل ، » ذلك
فضل الله يزيته من بشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، وهذا مصداق لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره ، لا يضرهم من خذلهم ،
حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » .

هذه هي الحقيقة الراهنة في البلاد . ولكن الحسين وأولاده وأشياهم ، قعدوا
في الخارج يخلقون الأراجيف ، ويشيعون الأكاذيب عن الموقف الحربي في الحجاز ، وعما
يمكن أن ينزل إليه موسم الحج في هذا العام ، تضليلاً للأفكار ، وتشويهاً للحقائق .
ولما كان من أجل مقاصدنا خدمة الإسلام والعالم الإسلامي ، وهو المبدأ الذي
أخذناه عند الشروع في هذه القضية العظيمة الشأن ، رأيت الواجب يدعوني لأبين
للمسلمين عامة ما يأتي :

١ - أن جندنا قد حصر « على بن الحسين » وجنده وقواه في بلدة جُدَّة ، التي أحاطها
بالأسلاك والحصون ، وصيَّق عليه تضيقاً عظيماً ، وسنخرجه منها في وقت قريب ، إن شاء
الله تعالى .

٢ - أننا نرحب ونبتهج بقدوم وفود حجاج بيت الله الحرام ، من كافة المسلمين ،
في موسم هذه السنة ، وتتكفل بحول الله بتأمين راحتهم ، والحفاظة على جميع حقوقهم ،
وتسهيل أمر سفرهم إلى مكة المكرمة ، من إحدى الموانئ التي ينزلون إليها ، وهي رابغ ،



يوم غسل الكعبة المشرفة برئاسة جلالة الملك المعظم

أواللّيت، أو القنفذة ، وقد أحكم فيها النظام ، واستتب الأمن استتبابا تاما ، منذ دخلتها جيوشنا ، وسنخذ من التدابير في هذه المراكز ، جميع الوسائل التي تكفل تأمين راحة الحجاج ، إن شاء الله تعالى .

٣ - أعلن إخواننا المسلمين كافة ، أنه لم يبق أثر للمشاكل والعراقيل التي كان يضعها الحين ضد المشاريع الخيرية والاقتصادية ، وأن أبواب الحجاز مفتوحة للجميع من يريد القيام بأى عمل خيرى أو اقتصادى ، وأن الحكومة المحلية مستعدة للقيام بجميع التسهيلات الممكنة ، لتنشيط من يريد القيام بهذه المشاريع الخيرية والاقتصادية .

هذا ما أردنا إعلانه للناس كافة ، ليعيط الجميع علما به ، سائلا الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه ، ويهديننا وإياكم إلى سبيل الرشاد ، إنه ولىّ التوفيق ، وهونعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سلطان نجد

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود

وقد لى الدعوة عدد قليل من مسلمى الهند ، جاءوا من طريق «راينج» ، وهذا كان أول حجة لسلطان نجد . وقد أراد «الشريف على» أن يتنهر فرصة انسحاب بعض الجنود من ساحة الحرب إلى مسكة ، لأداء فريضة الحج ، فهاجم على الجنود المخيمة لحماية الطريق إلى مسكة ، هجمة اليائس ، ولما كن الجنود ردت على أعقابهم خاسرا .

الملك حسين ، والملك عبدالعزيز بن سعود

كلاهما قد لاقى ربه ، وأصبح في ذمة التاريخ ، وللتاريخ وحده أن يسجل أعمالهما ، وكلاهما بشر ، يخطيء ويصيب ، ويطمع أو يبتعد .

ليس الخلاف بين الأشراف وآل سعود بجديد ، فهو في الحقيقة يرجع إلى بدء الدعوة الإصلاحية : التي قام بنشرها الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » في نجد ، فورث الملك حسين من أسلافه هذه الكراهية ، كما ورثها من سبته من الأشراف .

أما الملك حسين : ففضلا عن كراهيته التاريخية ، فقد ظهرت مطامعه ومطامحه في أول قدومه للحجاز سنة ١٩٠٨ ، من تدخله في شئون القبائل ، وبعض الحكام الصغار الثائرين على الأتراك ، بسبب سوء سياستهم ، (أغنى الأتراك) .

لقد تجلت هذه الأطماع في ثورته على الأتراك في الحرب العالمية الأولى ، وهي الثورة التي يطلق عليها الهاشميون : « النهضة العربية الكبرى » .

ولقد أخفق فيما كان يهدف إليه من إنشاء مملكة عربية متحدة . يضع تاجها على رأسه ، ولكنه خرج صفر اليدين ، بفقد تاج الحجاز .

أما السبب في هذا الإخفاق ، فهو عدم استعانةه بقيادة الفكر من رجال العرب ، واحتقاره لأمراء العرب المجاورين ، مع أنهم قوة لا يُستهان بها . ولم يُضغ إلا إلى جماعة من المدققين ، الذين يؤمنون على كل رأي يراء ، ويزينون له كل خطأ ، مهما كانت عواقبه ، كما وضع ثقته التي لا تحد في بريطانيا ، معتقدا أنها ستوصله إلى أي هدف يريد الوصول إليه .

يتضح ذلك من البرقية الآتية التي أرسلها لولده فيصل (الملك فيصل فيما بعد) الذي أوفده إلى مؤتمر الصلح بباريس .

حليفنا الوفية بريطانيا ترغب في حضورك نائباً ، تعرب عن مصالح العرب ، وكل ما يكون أساساً لحياتهم ، سواء ما يتعلق بالحدود أو الإدارة ، مما هو معلوم لديك ، في مجتمع سيمتد في باريس في ٢٤ نوفمبر الجاري ، فإنفاذا للرأى عظمتها ، توجه بكل سرعة ممكنة لباريس ، بعد مذاكرتك لفخامة القائد العام ، في كيفية سفرك وطريقته ، وبعد ما تقررون ماترونه لحالات البلاد وإدارتها في مدة غيابك ، الذى لا يتجاوز شهر تقريباً . وحيث إن رابطننا الوحيدة هى العظمة البريطانية ، وأن لاعلاقة ولا مناسبة لنا مع سواها في أساساتنا السياسية ، فكل ملاحظتك وما تراه في الموضوع ، تبديه لنوابها وعظمتها الأماجد ، إن كانوا زملاءك في المجتمع ، أو معتمديها السياسيين ، وما يكتفونك بإياد من قول أو عمل ، إن كان في المجتمع أو في سواه ، تعمل به ، وتجنب كل ما سوى ذلك . هذه درجة ما ذونيتك عما يختص بالمجتمع ، وما سوى ذلك من كل ما يتعلق بالحسيات العالية ، والمجتمعات الأدبية ، والمعاملات الأخلاقية ، ففي نجابتك ما يغنى عن كل بيان ، وإن أمكنك خذ زيدا معك ، وخبر الأهالى بالصلحة والقصد ، والله يتولاك . انتهى .

لقد كانت أول صدمة لمطامعه ، عدم موافقة الحلفاء وجيرانه العرب على ما اتخذوه لنفسه من لقب جديد : (ملك العرب) ، وأجبر أن يكتفى بلقب « ملك الحجاز » ، وهو اللقب الذى استمر بلقب به إلى أن تنازل عن العرش لولده الملك على في ١٣٤٣ = ١٩٢٥ لو أوى الملك حسين حظاً من كبر العقل ، وسعة الحياة ، وبعد النظر ، للعب دوراً عظيماً في السياسة العالمية والعربية . ولكنه كان مغروراً عنيداً .

لم يستمع لنصائح البريطانيين ، في تحسين صلاته مع جيرانه ، وعلى الأخص « ابن سعود » ، وهو يعلم علم اليقين أن قوام جيشه وعتاذه كان بريطانيا ، ولم تسقط قلاع مكة والطائف في حرب الملك حسين مع الأتراك ، في الحرب العظمى الأولى إلا بالمدفعية المصرية . ولم يقف ابن سعود سنة ١٩١٩ عن الزحف على الطائف ومكة ، بعد معركة تربة ، إلا البريطانيون .

فما القوة التي كان يعتمد عليها لتحقيق أحلامه ؟ لاشيء سوى الغرور ، لقد كان الملك حسين مجموع متناقضات ، فيينا هو يتحدى جيرانه ، ويمتنعهم من الحج ، أو يحدّد عددهم ، أو يضع قيودا في طريقهم ، إذا به يقدم استقالته للبريطانيين ، كأنه موظف في حكومتهم .

اقرأ الكتاب الآتي المرسل من العتد البريطاني بحدة ، الميجر مارشال ، والمؤرخ
في (١٩٢١/٩/٢٥)

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية ، والسيادة العظمى ، جلالة الملك المعظم :

بعد بيان ما يجب بيانه من التوقير .

تسلّت خطاب جلالتهكم (رقم ٤٠/١/٢٠) الخاص بالنقود الموجودة بالعراق ، وبما أن هذه النقود هي من أوقاف الحرمين . فإن الأمر لا يتعلق بحكومة جلالة الملك . ولو أن أى مساعدة يمكننى القيام بها لإرسال هذه النقود ، تكون طوع إرادة جلالتهكم . لا يمكننى أن أفهم معنى إشارة جلالتهكم عن تعيين خدّاف في برقيتهكم للعراق ، وبما أن الحجاز مملكة مستقلة ، فإن هذا أيضا لا يتعلق بحكومة جلالة ملك بريطانيا ، على أنى شخصيا سأكون أسفا بعد صداقتنا الطويلة ، إذا قرّرتم جلالتهكم التنازل عن العرش ، ولكن هذا الأمر سيتعلق كلية بجلالتهكم وبالأمة .

وتفضلوا بقبول جزيل أشواقي .

ولقد تكرر هذا الإنذار أو الرغبة من الملك حسين ، ولكن لماذا يقدم هذا الطلب لبريطانيا ؟ إن السرف في ذلك لا يعلمه إلا الملك حسين نفسه ، على أن الملك حسين لم يكن جادا على ما يظهر ، إلا بعد احتلال الإخوان النجديين الطائف ، وتهديدهم لمكة ، فقد تخلى في ذلك الوقت عن الملك ، لتجلبه الملك على . الذى أرسل بدوره البرقية الآتية : لطلب الصلح من الملك عبد العزيز .

صورة البرقية الواردة من جدة :

عظمة السلطان « عبد العزيز بن سعود » . بحرين :

من بعد السلام والاحترام :

أعلم عظمتكم أن أصحاب الحجاز العربى المحب للسلام، ودفع الشقاق بين العرب، نظرا لثقته التامة على المبادئ الموافقة لمبادئه ، قد بدّل شكل حكومته ، وأقامنى مكانه عليه . وبما أن أمانة الملك تودعت لشخصى ، فعلى بعد اليقين : إبناء واجبات هذه الأمانة بكل شرف ، فعليه انتيادا لأواصر الخالق عز وجل ، وحبا باتحادنا ، وكرهية لسفك الدماء بين أمة واحدة ، وحبا لرأى العالم الإسلامى ، والمراجعات الواردة على من الأقطار العربية ، قد قررت أن أتوسل بجميع مايتكّن ، لعقد صلح شريف ، يزيل جميع الموانع والمشاكل الموجودة بين الطرفين ، وللدخول فى عهد جديد ، يؤمن مصلحة المسلمين عامة ، والعرب خاصة . لذلك انسحبت من «مكة» بدون حرب ، لحفظ بيت الله الحرام من الخراب ، ولمنع تكرار فظائع الطائف ، ولانتظار مراجعتى الأولى لعظمتكم فى جدة . وبما أن الجواب لم يأت إلى الآن ، ولم أجد أحدا يرأس جيشكم يمكن للتفاوض معه ، تربعت إلى أن أراجمكم ثانيا بالبرق ، وانثروا مراجعتى هذه أيضا بين جميع المسلمين . وأبلغ عظمتكم أن البلاد قد أصبحت بحالة عسكرية ، تمكّنها من أن تسترجع جميع ماأضاعت بالأمس بإذن الله ، فإذا ماوافقتم على هذا التكليف الأخير ، أرجو لحين المباشرة بالتفاوض : أن تباغوا قائد جيشكم بمكة برفع ممنوعة أداء فريضة الدين ، من قبل الأئمة الثلاثة حالا ، والآن خوفا من مضايقة سكان بلد الكعبة فى المعيشة ، قد أذنت لمن يريد العودة إلى مكة من سكانها المهاجرين ، وسمحت بدوام سير القوافل ، رحمة بالفقراء والمساكين ، وانتظار جواب عظمتكم الأخير ، ولى الأمل بأن تعاملونى على حسن نياتى ، وإلا فستروتنى وشعبى متكلين على الله ، وقائمين بجميع مايرتب إتيانه من واجب الأسلاف ، وحفظ الأمانة ، لمقاومة تعرضات جيشكم للدفاع عن البلاد .

وتخليصها ، ورد الأذى والتعدى عنها ، وتبعة دماء الأبرياء ، ستقع على طائق المنسب .
وهو الفعل لما يريد .

٢٨ ربيع أول ١٣٤٣

أخوكم الملك على

جواب :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى الشريف « على بن الحسين » :
تعلون أن الحرمين الشريفين ليسا ملكا لأحد ، ولكن الأشراف وعلى الأخص
والدكم ، قد اعتبر الحجاز ملكا خاصا . ولقد عانى المسلمون جميعا وأهل نجد خاصة ،
الأمريين من سوء معاملته .

نحن لا نريد إلا تحرير الحجاز للمسلمين . وللهالم الإسلامى ، الكلمة الأخيرة
في أمر الحجاز ومستقبله ، فإن أردت السلامة فاترك الأمر للمسلمين ، والله يستد خطانا ،
ويؤيد دينه ، ويحلى كلمته .
عبد العزيز

٩ ربيع الثانى

انظر إلى الصَّلف الذى كان يحمله الملك حسين ، والذى كان يمايل به
جواره فى نجد ، تجد ذلك واضحا فى كتاب « السير بمخالد ونجدة » ، المندوب السامى بمصر ،
فهو دليل واضح على ما يحمله الملك حسين من غرور . وهذا هو الكتاب

مصر القاهرة فى ٥ نوفمبر ١٩١٨

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية « الحسين بن على » ملك الحجاز ، وشريف مكة
المكرمة ، نصره الله .

لأن بريقتنا المؤرخة فى ١٦ أكتوبر ، والمنقولة إلى مكة المكرمة ، بطريق المعتقد
البريطانى فى مجدة ، من طى تحريره « نمرة ١١/٧/١١ » فى التاريخ ذاته ، تشرفت فيها
بإحاطة جلالتهكم علما بالآتى :

(١) بأن الكتاب الذى تمهدتم بإرساله إلى الأمير ابن سعود : طبقا لاقتراح الحكومة البريطانية ، لم يصل إليه .

و (٢) كما أن الكتاب الذى أرسله إلى جلالتم ، بناء على اقتراح الحكومة البريطانية أيضا ، لم يصل إلى جلالتم . وهذا علناه من المعلومات التى وردت إلى أولياء الأمر فى العراق . بمعنى أن جلالتم رفضتم استلام التحرير المرسل من « الأمير ابن سعود » ، بأسلوب غير دقيق ، ولم تطلعوا على ما جاء فيه .

أما بشأن رد ناظر خارجية مكة المكرمة (نمر ١٥٢ رقم ١٨ أكتوبر) على برقيتنا المشار إليها ، فلم يمكننا أن ندرك منه مآل كتابكم ، الذى بعثتم به إلى الأمير ابن سعود ، ولا تاريخ إرساله من مكة المكرمة . كما أتى لأزال جاهلا الظروف الشوه بها فى تقرير أولياء الأمر فى العراق ، عما يتعلق بأسلوب استقبال جلالتم رسالة « الأمير ابن سعود » : وعليه أرى أنه لا مناص لى من أن أخطبكم مباشرة ، وذلك ليس لكونى أريد التدخل فى أقل الأمور اختصاصا بكم ، إن غرضى الوقوف على جليلة الأمر ، والغرض لتقصود من ذلك .

لقد جاء فى إحدى رسالات جلالتم ما يأتى : (ولا من منافع البلاد حدوث قلاقل واضطرابات بين مكة وسائر مراكز مثل أمثال حضرته) . وهذا كما لا يخفى على جلالتم ، رأى حكومة جلالة ملك بريطانيا ، فإنها نظرا إلى عنايتها بمصالح العرب الجوهريّة ، تغف إزاء اشتعال نيران الحرب فى جزيرة العرب ، موقف القلق المضطرب : خصوصا لكون حدوث ذلك يؤثر على المقررات السياسية ، التى سيُتفق عليها قريبا . ثم إنه يجب ألا يخامر جلالتم أقل ريب : فى وفاء الحكومة البريطانية نحوكم ، التى تحتم عليها عدم اتخاذ جانب « ابن سعود » أو غيره فيما يضر بمصالح جلالتم : غير أن جلالتم لا تجهلون شروط المعاهدة الحالية بين الحكومة البريطانية وابن سعود : الضامنة حقوقه داخل حدود بلاده ، إلا أنها بلغت بصفة رسمية بأنها تنظر إلى كل عمل

يأتى به خارج بلاده بين السخط ، بل رفضت طلبه زيادة الذخائر والمهمات الحربية ،
زد على هذا أنها طلبت منه وقف الحركات العدائية ضد «ابن رشيد» صديق الترك ، التى
كان قد شرع بها ، بناء على طلب الحكومة البريطانية نفسها .

إننى لا أذكر هذا إلا لغرض وقوف جلالكم على حقيقة الحال ، ولكى تقدروا
حق التقدير ، البواعث التى حلت الحكومة البريطانية على الإشارة لجلالكم بالوقوف
عند حد معلوم ، فيما يتعلق بمسألة «الخرمة» وغيرها من شئون القبائل ، والتى سيمم البارى
بحلها بالصبر والثبات .

هذا ونظرا إلى ما سبق ذكره ، وما نكرر وروده فى كتب جلالكم الكريمة ،
يصعب على تصديق الخبر الذى جئنى ، وهو أن جلالكم رغبتم فى قطع العلاقات الودية
مع «ابن سعود» ، مما يكتفى عنه بإرجاعكم رسوله ، ورفضكم كتابه .

إننى أرجو منكم أعظم الرجاء ، أن تجهدوا لمنع كل البواعث الجوهرية ، التى تؤدى
إلى سوء التفاهم مع الأمير المشار إليه ، بشأن سياستكم نحوه ، فإنه وإن كان أقل درجة
من جلالكم ، وأضعف موردا ، لا ينكر أنه ذو تأثير وأهمية فى السياسة العربية .
إننى لا أعتبر أن اتباع جلالكم سياسة كيد ، مما يحيط قدركم ، لا سمح الله ،
وعلى الأخص بعد تقلص ظل الأتراك من جزيرة العرب ، ونجاح النبضة بالأكثر
على يدي جلالكم ، نجاحا باهرا ، اعترف به الصديق والعدو .

فى الختام ، أسأله تعالى أن يطيل عمر الجلالة كماكم مستقلا ، حتى تساعدوا على
إحياء المنصر العربى ، وتجديد حيثيته ، وتمصده بهصالحكم الرشيدة فى حل المشكلات
الكثيرة ، التى لا بد من أن تعترض كل مشروع خطير مثل عمل جلالكم ، هذا الذى
لا تقدر قيمته ، والله يتولاكم .

السير رجالد ونجت

نائب جلالة الملك بمصر

وفي الوقت الذي تلفظ فيه بمملكة الحسين أنفاسها الأخيرة ، ينكر ذلك حسين في الخلافة ، بعد أن تخلى عنها الأتراك ، ويحفزه إلى ذلك بعض منافقي فلسطين وسورية فيجلب بذلك سخط العالم الإسلامي : (وقد نشرنا في ذيل هذا الكتاب بعض الكتاب التي وجدناها في مخططات الملك حسين) ، ولا يقف عند هذا الحد ، لا ينكر في إصلاح حاله مع جيرانه ، وعلى الأخص سلطان نجد ، بل يرنو ببصره إلى الإدريسي ، وإلى اليمن وبعض الحميات ، وقد يكون من المفيد أن ننشر هنا بعض أحلام الملك حسين في هذا الموضوع .

فمن أحلام الملك حسين في ذلك العهد ، رغبته في الاستيلاء على « عسير » والإمارات الشامية باليمن .

ففي اللحظات الأخيرة ، قبيل زوال حكم الأشراف من الحجاز : تنبأت أطماع « الملك حسين » إلى « إمارة الإدارة » في « عسير » : وأراد أن يضمها إلى الحجاز ، قبل أن يسبق إمام اليمن وابن سعود إلى اقتسامها بينهما . وتميدا لذلك وضع مشروع معاهدة بينه وبين الإدارة . ولكن تيار الحوادث كان أسرع من تفكير أصحاب المشروع . إذ هجم الإخوان النجديون المرابطون على الحدود بين الحجاز ونجد ، على الحجاز ، واستولوا على الطائف ومكة . ثم زحف جيش « السلطان عبد العزيز بن سعود » بقيادته من الرياض ، لفتح الحجاز كله . فكانت معارك وأحداث انتهت بزوال ملك الشريف وأولاده من الحجاز ، قبل أن يتحقق حلم الملك حسين . وهذه نصوص تلك المعاهدة ، ننشرها هنا للتاريخ والذكرى .

الإمارة الشافعية

حدود هذه الإمارة :

أول الحدود الداخلية الحد الطبيعي ، الفاصل بين البلاد المأهولة بالزبدية . والمأهولة بالشوافع . وهو المسمى : « نقيل سمارة » . وهو جبل شاقق ، وحد طبيعي من القديم . أما من جهة الإدارة . فأول الحدود هي الحدود الحاضرة ، الفاصلة بين هذه البلدان والبلاد التي يحكمها الإدريسي . وتعتبر من أول « بيت الفقيه » وهو قضاء نخلا للزرائق . وهو الآن موجود تحت حكم الإدريسي في الوقت الحاضر ، وتعد من تهامة . أما من جهة إمارة الحجاج . فالحدود تكون لغاية أول مرحلة من بلاد الحواشب ، كما هي الحدود الحالية الفاصلة بين هذه الحكومة الآن للإمام يحيى ، وبين سلطنة الحجاج . وهي حدود طبيعية لا تتغير . وقد كانت الحكومة العثمانية ارتضتها من القديم حدودا لفصل البلاد الداخلية التي تحكمها ، عن البلاد الموضوعة تحت الحماية البريطانية ، بناء على قرار وتخطيط هيئة الحدود ، وقد قبلها حكومتا بريطانيا والباب العالي . وللحدود علامات ثابتة حتى الآن .

أما من جهة البحر الأحمر فحدودها قضاء « مخا » الذي سيكون مرفأ تجاريا لها ، ومنفذا على البحر ، كما هو الآن ، وجميع هذه الأفضية مع قبيلة الزرائق ، ومرفأ مخا كان مربوطا بمتصرفية « تميز » للمأهولة كلها بالشوافع .

شيء عن حالة البلاد : جميع هذه الأفضية المار ذكرها معموده ، وأبنيتها جيدة ، وفيها مبان رسمية . وتتميز العاصمة : فيها أبنية للمدارس والمستشفيات والشكنات الكبيرة والحدائق ، من رسمية وخصوصية للشعب ، وأهل البلاد يحسنون الرماية ، متدربون على الجندية والأسلحة ، والذخيرة عندهم بكثرة . أما وارد إيرادها من جارك داخلية وخارجية وضرائب وأعشار ، فيبلغ ثلاثة أرباع مليون جنيه في العام . ويكثر في الأهليين

الاستنارة لاسيا أهالى ^{سمر} وزيدومنا وآب وماوية . وفي البلاد حركة تجارية حسنة جدا
وكثير من الطرقات معبد ومناخها جيد بالإجمال ، وجديها تحتوى على البرق .
تدرب الأهلون فى هذه البلاد على النظام والمعاملات المدنية والإدارية . وكلهم
يحترم النظام والعلم ، ولهم تعلق عظيم الشأن بالبيت الماشى الرفيع العباد .
وفى هذه الأفضية كثير من هاجروا إلى الخارج ، مثل أستراليا وكندا والصين
وزنجبار وجاوة وغيرها ، مثل مصر وبور سعيد . وقد جلبوا ثروة كبيرة ، وآبوا
بمقلية حسنة .

أما زراعة هذه البلاد ، فهى حياة اليمن ، فأراضيها خصبة جدا ، وسهولها كبيرة .
وفىها كثير من الأدغال والمواشى . وليس للبلاد إحصاء رسمى ثابت للآن . ولكنه
على وجه التقريب لا يقل عن مليونين . وفى البلاد آثار قديمة ، وعاديات مهمة جدا .
وفى بعض جبالها الفحم الحجري ومنايع للبتول ، كما ثبت ذلك بتقارير الباحثين من
الأجانب . حتى إنه يشاع أن فى بعض جهاتها مناجم للذهب .

مواد مشروع الماعدة

- ١ — تشكل إمارة شامية تتكون مدينة « تميز » عاصمة لها ، وتؤلف هذه الإمارة من الأقضية والنواحي التي كانت تابعة على زمن الحكومة التركية ، ومرتبطة بمدينة تميز ، والتي كانت تؤلف منها التصرفية المذكورة .
- ٢ — تتبع الإمارات والقبائل والعشائر الآتي ذكرها ، بصورة قطعية ، وترتبط بارتباط تام بالإمارة الجديدة ، وهي الإمارات الآتية :
ياغغ العليا . يافع السفلى . الضالع . قبيلة علوى . صبيحة .
- ٣ — تكون حدود هذه الإمارة ، كما هو محدد بالذكرة المرفقة بهذه البنود .
- ٤ — تتبع سلطنة لحج ، وحضرموت ، وإمارة أبين شقرة . وإمارة العوالق ، وما جاورها من الإمارات والمشيخات ، في جميع أمورها السياسية ومعاملاتها ... هذه الإمارة ، بدلا من الحكومة الحامية .
- ٥ — تشكل سلطنة لحج في المستقبل من البلدان التابعة لها في الوقت الحاضر ، ومن إمارة شقرة أبين ، وإمارة العوالق وما جاورها من القبائل والعشائر والمشيخات ، وترتبط هذه الإمارات بما فيها إمارة الحواشب وقبيلة قطيب وقبيلة الضابر ، بهذه السلطنة .
- ٦ — تكون حدود سلطنة لحج كما هي في الوقت الحاضر ، من جهة إمارة الحواشب ، وتمتد إلى حدود سلطنة حضرموت ، وهي الحدود الطبيعية المعروفة من القديم .
- ٨ — يحترم استقلال سلطنة لحج وحضرموت ، ويشكل مجلس خاص ، كما سيأتي بيانه ، للنظر في الشؤون الهامة المحلية ، والتسكون بين الإمارات المذكورة .

- ٨ — يعرض تعيين السلطان على الإماراتين المذكورتين، مجلس الحلف العربي ، ويصدق على هذا التعيين جلالة ملك العرب ، ويصدر بذلك مرسوم ملكي .
- ٩ — تعين إمارة الشافعية قاضي القضاة على كل من الإماراتين لحج وحضرموت ، ويصدق على هذا التعيين جلالة ملك العرب .
- ١٠ — توحد تسمية الجارك في هذه الإمارات لحج وحضرموت والإمارة الجديدة .
- ١١ — تشترك هاتان الإمارتان لحج وحضرموت في مجلس الحلف العربي ، وترسل وفودها مع وفد الإمارة الشافعية الجديدة .
- ١٢ — تعترف هاتان الإمارتان لحج وحضرموت ، بجلالة ملك الحجاز ملكا على العرب كافة ، ويتابع جلالاته في المستقبل بمقام الخلافة الاسلامية ، إذا أقرها الحلف العربي .
- ١٣ — تتعهد الإمارتان المذكورتان بتنفيذ جميع القرارات والخطط التي رسمها أمير الإمارة الجديدة ، فيما يتعلق بنهضة البلاد ورفقها .
- ١٤ — يقرر مبدأ اقتصادي عام بين الإمارات المذكورة ، يكون كدستور للتعاون على كل ما من شأنه إنهاض البلاد اقتصاديا .
- ١٥ — توافق وتنعهد إمارة لحج والإمارة الجديدة ، على قبول مدالكة الحديدية الحالية في عدن ولحج ، إلى داخلية بلادها ، وتتولى شركة ذات أسهم إدارة الخط المذكور ، وتكون الشروط اقتصادية بحجة في صالح البلاد ، وليس لها علاقة بالاستعمار أو النفوذ الأجنبي مطلقا ، وأن يكون للإمارات الثلاث وللأهلين سهام مناسبة في هذه الشركة .
- ١٦ — يُعترف بالعلم العربي الحالي علما عربيا عاما ، وتأنى الرايات الخاضرة .
- (٦ - أربوعه ماما)

١٧ — توحيد العملة والمسكوكات ، وتضرب باسم جلالة ملك العرب ، حسبما يقرر فيما بعد .

١٨ — لا يجوز لكلتا الإماراتيّن حلّج وحضر موت مخابرة أمير من أمراء الجزيرة ، في شأن من الشؤون السياسية ، أو فيما يتعلق بإدارة البلاد ، ويكون المرجع في مثل هذه الأمور أمير الإمارة الجديدة ، فإذا وقع اختلاف بينهم وبينه ، ترفع المسألة للأعتاب الهاشمية ، أو مجلس الحلف العربي في المستقبل .

١٩ — توحيد الجندية والتعليم والزينة الوطنية والاقتصاد العام .

٢٠ — تقرأ خطبة الجمعة في مساجد الإماراتيّن باسم جلالة ملك العرب ، في مدن وأمصار هذه الإمارات كافة .

٢١ — يكون تغيّر (علن) كما في الحاضر ، مدينه تجارية ، ومركز الإقامة للتدريب السامي البريطاني ، وتحمل مشكلة عدن وما جاورها مثل الشيخ عثمان ، في مجلس الحلف العربي .

٢٢ — تنفق الإمارة الجديدة مع مملكة الإدريسي ، وتوحد الحندية بينها ، وكذلك الاقتصاديات .

٢٣ — يؤلف مجلس خاص يسمى فيما بعد ، وبشكل من هيئات رسمية معينة من قبل إمارة حلّج وحضر موت ، ويرسل إلى عاصمة الإمارة الجديدة فنظر في الأمور المحلية ، والمشاكل والعلاقات الخارجية ، عن صلاحية مجلس الحلف العربي ، ويعتد اجتماعاً سنوياً ، مدته تقرر فيما بعد .

٢٤ — على الإمارة الجديدة والإمارتيّن حلّج وحضر موت ، تنفيذ قرارات مجلس الحلف العربي .

٢٥ — يحق للإمارة الجديدة قبول قناصل الدول الأجنبية التجارية فقط ، في تميز ومُخا .



الملك الراحل والسير برسي كوكس عام ١٣٣٤ هـ = ١٩١٥ م

٢٦ - توافق الإمارات الثلاث على حصر الوراثة في عائلة الأمير الجديد .

٢٧ - يوحد البريد ، وتستعمل طوابع الحجاز .

لقد كانت هذه الأطماع التي لاحد لها، سببا في سقوط الملك حسين، والقضاء عليه ؛
ويصدق عليه قول الشاعر العربي القديم :

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه^(١)
وقول علي رضي الله عنه : ما هلك أمرؤ عرف قدر نفسه .

الملك عبد العزيز وبريطانيا

كان الملك عبدالعزيز حتى سنة ١٩١٥ في عزلة تامة عن العالم الخارجي ؛ فكان كل هم القضاء على خصمه العنيد ابن رشيد ، ولكن استرداده للأحساء والقطيف ، جعله يشرف على الخليج العربي ، ويتصل بالبريطانيين الذين حاولوا دون محاولة الأتراك استرداد الأحساء .

وقد حاول أكثر من مرة أن يقف البريطانيون في سبيل مساعدة الأتراك لابن رشيد ، وإمداده بالسلح والعتاد ، فلم ينجح في ذلك ، فقد كانت سياسة الحكومة البريطانية قبل الحرب العالمية الأولى ، البعد عن التدخل في شئون الجزيرة العربية .

وفي ٢ يناير ١٩١٥ عقد الملك أول معاهدة مع بريطانيا ، وهي معاهدة تضعه تحت الحماية البريطانية كسائر أمراء الخليج ، فكانت كل اتصالاته برئيس الخليج العربي الذي كان يقم عادة في (بوشهر) على الساحل الفارسي .

وبعد استيلائه على مسكة ، ومحاصرته جدة والمدينة وغيرها من المدن الحجازية ، أرسلت إليه الحكومة البريطانية الجنرال كليتون ، لحل المسائل المعلقة ، التي أخفق

(١) المراد بالجاهل في البيت : الأحمق .

مؤتمر الكويت في حلها . لقد كان يشغل بال الملك عبد العزيز « قريبات الملح » التي احتلها قوات الأردن سنة ١٩٢٣ ، والأردن تحت الانتداب البريطاني ، فأى اشتباك مع قواتها قد يوقعه في مشا كل مع بريطانيا ، وهو ما يتحاشاه .

لقد كان جلالة منشأنا من إيفاد كليتون سنة ١٩٢٥ لأنه معروف بصداقته للأشراف ، ولكنني هذأت خاطره ، بأن البريطانيين لا يهتمهم إلا مصالحهم ، والصداقة الشخصية مهما قويت لا تؤثر على المصالح الأساسية ، والأوروبيون عامة لا يميلون إلا لمصالح بلادهم ، والصداقة الشخصية يُضَحِّي بها في سبيل الوصول إلى الغاية التي يرمون إليها .

وبالفعل توصلنا بعد مفاوضات استمرت أسبوعين ، إلى عقد معاهدة « حِراء » التي حُدِّثت بموجبها الحدود بين نجد وشرق الأردن .

وقد استعادت نجد « قريبات الملح » التي استولى عليها الأردن بدون حق ، كما اتفق على وضع ترتيبات خاصة للقبائل النجدية والعراقية .

وبعد إنهاء المفاوضات رجع الملك عبد العزيز إلى « مكة » ؛ وبقيت أنا والشيوخ يوسف ياسين مع كليتون ، حتى أراقه إلى قرب جدة المحاصرة .

وفي تلك الليلة جرى بيني وبين كليتون حديث طويل استمله بقوله : إني أكاد لأصدق نفسي أننا وصلنا إلى تفاهم ، فعندما علمت أنك هنا كنت أعتقد أننا مُخَفِّقون ، فإنك في القائمة السوداء ، عدولنا في كل مكان تطرقه ، ولكنني عجبت من سلوكك في المفاوضات ، ودفاعك عن مصالح الملك ، وسعيك للتوفيق دائماً . كما لاحظنا من اختلاطنا معك طوال هذه المدة ، أنك رجل لطيف المعشر ، ودع الخلق ، ولا أدرى كيف وضعوك في القائمة السوداء ؟

فقلت له : إني مصري كما تعلم ، وأنتم محتلون لبلادنا ، ومن واجب كل مصري

التخلص من احتلالكم . تصور أن الألمان احتلوا بلادكم ، أفلا تعملون أضعاف ما يعمله المصريون للتخلص من احتلال الألمان ؟

لقد سمعت عنك وأنت ضابط في السودان ، وسمعت عنك أيام الحرب ، سمعت أنك رجل حر ، تميل إلى الحرية ، ولذلك أكرمتك حينما تركت وظيفتك في وزارة الداخلية المصرية كستشار ، بعد الاتفاق الذي تم بينكم وبين ثروت باشا .

فأنا في مصر وطني قد أكون متطرفا أو معتدلا ، أما هنا فأنا أمين على ما يكله إلى الملك «عبد العزيز» ، لا أنظر إلا لمصلحته فقط ، وإن مصلحته تقضى أن يكون صديقا لكم ، فأنتم محيطون به من كل جانب .

لقد قرأت جميع المكاتبات ، واطلمت على الدور الذي قامت به الحكومة البريطانية ، للتقريب بين الملك عبد العزيز والملك حسين ، وهو دور يقدره لكم التاريخ .

لقد كان الملك عبد العزيز يعتقد أن المفاوضات سيكون مآلها الإخفاق ، لأنكم غيرتم بصدائقكم للأشراف ، واسكني خالفت جلالته في هذا الشأن ، لأن المصالح البريطانية هي أساس تعاملكم ، والصدقة الشخصية لا يمكن أن تتقدم على مصالحكم ، وقد برهنت المفاوضات على صدق ظني .

فغيب على هذا الحديث بوجوب عقد معاهدة جديدة ، تحل محل معاهدة الحماية القديمة ، لأن الظروف قد تغيرت ، فالملك عبد العزيز سيدين له الحجاز قريبا ، فتوات الأشراف تذوب مريعا ، والعالم الإسلامي قابل غزو الحجاز واستخلاصه من الأشراف بفرح واعتباط ، وسرور لا يعادله سرور ، وأنتم تعرفون هذا أكثر منا ، فأنتم متصلون بالعالم الخارجي أكثر منا ، فمن الخير لكم أن يكون الملك عبد العزيز صديقا مستقلا . فأجاب كليتون بأنه يوافقني على كثير من آرائي ، وسينقلها إلى حكومته ، وقد

رفع كليتون بالفعل تقريراً إلى حكومته بما حدث ، واقتنعت الحكومة البريطانية بوجود إحلال معاهدة جديدة ، محل المعاهدة القديمة ، التي لا تتفق مع تطور الحالة السياسية للحجاز .

وقد اعترفت الحكومة البريطانية بعد استسلام جدة وباقي المدن الحجازية ، بأبن سعود ملكاً على الحجاز ، ودعت الأمير فيصل لزيارة لندن في صيف سنة ١٩٢٦ ، وقد صحبه في هذه الزيارة الدكتور عبد الله الدملوجي ، ومستر جوردان وكيل القنصل البريطاني .

وفي يوم من أيام أكتوبر ١٩٢٦ أخبرني جلالة الملك ، بأن الحكومة البريطانية قد اعترفت القيام بتفاوضات جديدة ، لعقد معاهدة صداقة ، تحل محل معاهدة «المُقَرَّر» ؛ وأن مستر جوردان سيكون المندوب البريطاني في هذه المفاوضات ، وسيساعده الأستاذ جورج أنطونيوس ، وقد قام بمساعدة كليتون في الترجمة إلى العربية ، وتحضير المذكرات مترجمة إلى اللغة العربية .

فقلت له يا جلالة الملك ، وهل تتولون المفاوضات أنتم كالعادة ؟ فقال : طبعاً . فقلت : إن هذا خطأ لأنكم لا أرضاه . لقد كان يتولى المفاوضات معكم رجال لهم منزلتهم في الحكومة البريطانية ، من خدمة طويلة ، وتجارب عظيمة ، كان يفاوضكم السيد «برسي كوكس» ، والجنرال كلايتون ، فإذا حدث ؟ إن هذا خطأ كبير من زميلنا الدملوجي ، ويجب تصحيح الوضع . فقال جلالة : ولكنني قبلت ، وكلهم إنكليز على كل حال . فقلت : إن هذا غير صحيح ، والمفاوض وإن كان يحمل تعليمات من حكومته ، ولكن لشخصيته ومركزه في حكومته أثر لا ينكر ، ثم قلت لجلالته : إن ولأني وحي لجلالتكم يفرض علي ألا أشارك في هذه المفاوضات . التي سيكتب لها الإخفاق . فجوردان شاب لم يشغل من المناصب السياسية ما يؤهله لمثل هذه المفاوضات .

فأجاب جلالة بعبارة : هل تُحقق المفاوضات لأني لا تريد الاشتراك فيها ؟ فقلت

لجلالته على النور: لم يبلغ بى الضرر هذا المبلغ . ثم استأذنت جلالته فى السفر إلى الكويت ، لمعالجة بعض مشا كل البادية . فأذن لى جلالته بذلك .

وقد صدق حدسى ، فإن المفاوضات التى كانت تُجرى فى وادى العقيق ، قرب المدينة المنورة ، قد بامت بالخفية ، لضيق عقل المفاوض البريطانى . وقد اشترك فى هذه المفاوضات لأول مرة ، الزميل الراحل فؤاد حمزة ، فقد قدمه السيد شكرى القوتلى لجلالة الملك عبد العزيز ، باعتباره من الشبان المجاهدين ، ولكن فؤاد حمزة أخيراً كان حرباً على شكرى القوتلى ، وعونا للفرنسيين فى سنة ١٩٤٥ .

وقد أوفدت الحكومة البريطانية الجنرال كلايتون بعد ذلك فى أثناء سنة ١٩٢٧ ، فبعد مفاوضات استمرت نحو أسبوعين ، تم الاتفاق على المعاهدة التى سُميت فى ذلك الوقت بمعاهدة جُدة . أما المسائل التى كانت موضع الخلاف فهى :

أولاً — محاكمة الأجانب .

ثانياً — مسألة الرقيق .

ثالثاً — مسألة معان والعقبة .

فأما المسألة الأولى فقد تنازلات عنها الحكومة البريطانية ، بعد أن اقتنعت بأن البلاد المقدسة يجب ألا يكون للأجانب أى تدخل فى شئونها ، ويمكن حل أى مسألة تتعلق بالأجانب ، بالوسائل السياسية .

أما مسائل الرقيق ومعان والعقبة ، فقد حذفت من المعاهدة ، وتبذلت بشأنها كتب خاصة ؛ وبذلك نجح الجنرال كلايتون فيما أخفق فيه مستر جوردان .

على أن الجنرال قد أخفق فيما حاوله من حل المسائل المعلقة فى ذلك الوقت بين العراق ونجد . كانت العقدة هى عدم استعداد العراق لتسليم الغزاة من العشائر ، إذا لجثوا إليها ، مع اتفاق الفريقين على اعتبار الغزو جريمة يعاقب عليها القائمون بها ، سواء كان القائم بها فرداً أو جماعة ، وكان ابن سعود يظهر استعداده لمعاقبة المجرمين ، على

شرط أن يتعهد العراق بتسليمهم إذا لجئوا إلى أراضيهم . وقد كثرت غارات «الدویش» على بادية العراق ، في غضون السنوات الأربع ، من سنة ١٩٢٥ - سنة ١٩٢٩ ، وقد استمر الدویش القناعم ، والملك عبد العزيز كان ينصحه وينهاه ، ولكن جلالة لم يحاول تأديبه ، لأن ذلك قد يؤدي إلى فتنة داخلية ، كما حدث بالفعل . وقد كان قلم المحابر البريطانية يتوقع هذا ، فقد شلت كما شل غيري من بعض ضباط المحابر في بغداد والبصرة ومصر وسواها من المدن العربية ، وكان السؤال : هل يستطيع ابن سعود أن يغلب على عشائر مطير وعُتيبة والمجنان ، إن هذه العشائر هي أقوى عشائر جزيرة العرب ؛ وهم يقطنون شرق الجزيرة وغربها ووسطها .

لقد كان جوابي : نعم . سيتغلب عليهم مجتمعين . ولكن لن يكون ذلك بسهولة . إن ابن سعود حاكم حضري يدين له الحضرة بالولاء والخدمة . وقد ازدهرت التجارة في أيامه ، بسبب الأمن الذي ساد الجزيرة . إنه كحاكم حضري يعالج المشاكل بالأنانية والصبر والحكمة . أما البدوي فنظره لا يتعدى البعير والشاة : وابن سعود يحترم أموال الناس وممتلكاتهم . أما البدو فبدأ بهم القتل والنهب ، وقد أثبتت الحوادث صدق حدسي ..

في هذه الفترة التي كثرت فيها الغارات على بادية العراق ، رأت الحكومة العراقية ، وكانت تحت الانتداب البريطاني ، أن تقوم ببناء سلسلة مخافر على الحدود . اعتبر الملك عبد العزيز هذه المخافر حصونا أمامية في الصحراء ، لتكون مراكز لغزو بلاده في المستقبل .

فكان أمام المملكة العربية السعودية مشكلتان :

الأولى : وجوب إزالة هذه المخافر أو الحصون . والثانية وقف غارات الدویش على الحدود . وكلا الأمرين مرتبط بالآخر .

وفي خريف ١٩٢٧ هجم الدویش على أحد المخافر ؛ وقتل من فيه من الحامية

فحال هذا العمل دون إرسال ممثل للعراق إلى الكويت ؛ للاجتماع معنا لحل
مشاكل المتهربين

لقد وصلت إلى الكويت في الموعد المحدد ، فأخبرني الوكيل السياسي
بالكويت (ميجر مور) أن الحكومة العراقية لاتنوي إرسال مندوب عنها ، بسبب
الحوادث الأخيرة ، وإذا رأيت المرور ببغداد في طريقك للقاهرة ، فالمندوب السامي بها
(السير هنري دويس) يسره أن يراك . فرأيت أن من حسن النسيان الاجتماع به ،
ولا سيما أن هنالك بعض مسائل أخرى تختص بالرعايا السعوديين المقيمين في
البصرة والزيبر .

وصلت إلى بغداد يوم ١٢ رجب ١٣٤٦ الموافق ٥ يناير ١٩٢٨ . وفي ثاني يوم
زرت (المكتب هالت) السكرتير الشرق ، وقدمني (للميجر برودلين) المستشار لدار
المندوب السامي ، وقد دله بيني وبينه حديث طويل عن :

(١) النجديين المقيمين بالعراق .

(٢) الحالة الحاضرة على الحدود ، وبناء الخافر .

وفي (١٤ رجب ١٣٤٦ = ٧ يناير ١٩٢٨) قابلت المندوب السامي البريطاني
وهو (السير هنري دويس) فدار بيني وبينه حديث طويل .

السير هنري دويس بعد هجوم الدويش على الحفر ، وقتل رجاله ، طلب من وزارة
المستعمرات أن تفرض حصارا على بلاد ابن سمود ، حتى يقوم بتأديب المعتدين ، ودفع
تعويضات لأهل المقتولين . ولما سكتت وزارة المستعمرات ، لم توافق على هذا الاقتراح .
فأقترحت اقتراحا آخر ، وهو أن تقوم الطائرات بإلقاء منشورات على البادية ، كي يعتمدوا
عن الحدود العراقية ، تبسافة لانتقل عن ٤٠٠ ميل . فإن لم يمتثلوا أجبرناهم بإلقاء القنابل
عليهم . وقد وافقت وزارة المستعمرات على هذا الاقتراح ، ومنقوم بالعمل بعد خمسة
أيام .

قلت يافخامة المندوب :

أولاً - هل تعتقد أن البدو جميعاً يعرفون القراءة ؟ إن الأمية تغلب عليهم . وهل تعتقد أن البدو في الصحراء يعرفون الأميال بالضبط ، أو على سبيل التقريب ؟ لقد قرأت بعض كتب في البادية مضى على تاريخ كتابتها نحو ثلاثة أشهر أو أكثر ، لأن صاحب الكتاب لم يصادف أحداً في الصحراء يقرأ له كتابه . فالنتيجة المحتومة هي إلقاء القنابل على بدونا في أرضنا ، وسيترب على هذا استفزاز العاشر ، بدلا من هدوئهم ، سينثرون عليكم ، وستقوم كل قبيلة بمساعدة الأخرى ، التي سيقع عليها الاعتداء ، ومادامنا لم نتفق على تسليم المجرمين من رجال البادية ، فإن ابن سعود لا يستطيع أن يقوم بتأديب أحد ، لا الدويش ولا غيره .

ثانياً - يجب أن تحيطوا ابن سعود علماً بما تحاربون القيام به ، والمدة التي أخبرتنى بها فخامتكم قصيرة ، يجب أن تمتد المدة إلى عشرة أيام على الأقل . ومع ذلك فإنتم لا حق لكم أن تتصلوا برعاياتنا رأساً ، ولا حق لطائراتكم في الطيران فوق أراضينا ؟ فأننا باسم جلالة الملك ، أقدم لكم احتجاجي على هذا التصرف ، وأرجو منكم أن تحيطوا الحكومة البريطانية بهذا الاحتجاج .

فأجاب السير هنري دويس : إنك في بغداد ليست لك أية صفة تخولك الاحتجاج . فأجبت : إذا كان الأمر كما ذكرتم ، فلماذا اقترحتم فخامتكم زيارتي إياكم ؟ وعلى كل حال فإننا لانعدم وسيلة لإبصال احتجاجنا إلى لندن ، والمستقبل كئيب يظهار خطأ هذه الخطوة التي ستخطونها .

ثم قال : إن هذه المخاطر لم تبين إلا بعد درس طويل مع وزارة المستعمرات ، ولا يمكن هدمها أبداً ، وهي بعيدة عن حدودكم بنحو ثمانين ميلاً .

قلت : إذا كنتم تُصيرون على رأيكم في بقائنا ، ونحن نصر على رأينا في وجوب هدمها ، أفلا يكون من المستحسن ، اختيار هيئة للتحكيم ، وعلى كل حال فهو اقتراح شخصي . فقال : سأعرض هذا الاقتراح على الحكومة في لندن ، وأنت من جانبك تعرضه

على جلالة الملك ، فإذا وافقت الحكومتان على التحكيم ، يمكن البحث في المحكّمين .
وقد انتهى الاجتماع عند ذلك .

وفي (١٥ رجب الموافق ٨ يناير) غادرت بغداد إلى القاهرة . وفي اليوم التالي اجتمعت باللورد لويد المندوب السامي بمصر ، فأخبرته بما دار بيني وبين المندوب السامي في العراق ، ورجوت منه أن يحيط لندن علما بالأمر . فقال : أنا لأشك أن المندوب السامي في العراق سيرسل تقريراً مفصلاً بمحدثك معه ، وسأرسل أنا بصورة خاصة لوزارة الخارجية البريطانية ، لأن العراق خارج عن منطقة عملي .

لقد بدأت الطائرات أولاً بإلقاء النشورات ، فاستغرب الناس ذلك ، ثم بدأت بإلقاء القنابل على أطراف الحدود ، فهدمت بعض البيوت وبعض المساجد في الجهات الجنوبية . ولكن الناس لم يصبهم ذعر ، بل على العكس قامت العشار على جميع الحدود العراقية بناراتها الثارية ، وأسقطت بعض الطائرات .

وقد استلمت برقية من جلالة الملك عبد العزيز من طريق البحرين ، بتاريخ ٢٤ فبراير ، تنبئني بمخطورة الحالة ، ونص البرقية :

الحالة في نجد مضطربة ، لأن اليهود نقضت من قبل العراق . الطائرات ضربت الحدود في الشرق والغرب ، الإنسانية لم تحترم ، الحالة خطيرة جداً ، والهمة مبذولة لتسكين الأحوال ، والنتيجة مجهولة .

وقد جرت عدة اتصالات بيني وبين المندوب السامي في مصر في هذا الموضوع ، بعضها بطريق مباشر ، وبعضها بواسطة مستشارت المستشار الشرقي في الدار ، كما أن الحكومة البريطانية كانت تكتب لأمك عبد العزيز في هذا الموضوع نفسه ، بواسطة رأس الخليج ، لأنها أقرب الطرق للرياض .

الحكومة البريطانية تطلب من الملك عبد العزيز تهدئة الحالة ، وتأديب رجال البادية ، وابن سعود يصّر على هدم الخافر ، والاتفاق على تسليم الجرمين إذا لجأوا إلى العراق .

وفي (٢٠ رمضان ١٣٥٦ الموافق ١٢ مارس) أخبرني مستشارت أن الحكومة البريطانية وضعت المسائل المختلف عليها ومطالبكم موضع العناية ، وهي تبثها بدقة ، وهي ترى أن أفضل وسيلة لحلها هو عقد مؤتمر في جدة ، يكون فيه السير جلبرت كلايتون ، المندوب المفوض عن الحكومة البريطانية . وقد تقرر بعد ذلك عقد المؤتمر في الأسبوع الأول من مايو ، ووافق جلالة الملك على ذلك ، وخرج من الرياض إلى البادية ، واجتمع برؤساء العشائر ، وأمرهم بالهدوء والتزام السكنية ، ريثما يجتمع مع البريطانيين ، ويتفق معهم على ما يتفق مع مصلحتنا .

وفي هذه الفترة علمت بصورة سرية ، بأن المندوب السامي سيحال إلى التقاعد من أول مايو ، وأن السير جلبرت كلايتون سيعين مندوبا ساميا في العراق ، خلفا للسير هنري دويس ، كما أجرى بعض تنقلات تناولت بعض موظفي الاستخبارات ، فكان هذا نصرا للسياسة الحكيمة ، التي اتبعتها جلالة الملك عبد العزيز ، رحمه الله .

وقد وافق العراق على ذلك بعد اجتماع المرحومين الملك عبد العزيز ، والملك فيصل في الخليج العربي ، وتوطدت العلاقات بين البلدين بعد هذا الاجتماع ، وتم هذا بعد تسليم الحكومة البريطانية الثائر المعروف « فيصل الدويش » ، شيخ مطير ومن معه من رؤساء العشائر الأخرى ، وقد دعمت الحكومة البريطانية صداقتها بهذا التسليم مع ابن سعود ، ولكن هذا لا يعني أنه لم يحدث أزمات حادة بين الحكومتين ، ولكن في كل أزمة وقعت ، كان جلالاته يعالجها بحكمة و بعد نظره ، حتى يخرج منها رافع الرأس .

أزمة مع رئيس الخليج الكولونيل يسكو

كان «الكولونيل يسكو» المفاوض البريطاني، الذي تولى تسليم الدويش ورفقائه، بعد مفاوضة دامت أسبوعين ، وبعد أن تعهد الملك عبد العزيز أنه لا يقتله ، ولكن لا بأس من اعتقاله ، بعد أن قام بثورته الشائنة على إمامه الذي حاطه برعايته ، وقدمه على كثير من رؤساء العشائر ، ولكن النفوس الخبيثة تأبى إلا أن تسيء إلى من أحسن إليهما .

وبعد أن انتهت المفاوضات بما حقق رغبة الفريقين ، من دفع تعويضات لمن أصابهم ضرر من عشائر الكويت والعراق ، وتسليم الدويش ومن معه إلى ابن سعود ، كان الاجتماع ناجحاً . وقد انصرف «الكولونيل يسكو» مسروراً من نجاحه وتوفيقه لحل هذه المعضلة ، كما وُفق في تمهيد السبيل لاجتماع الملكين عبد العزيز بن سعود والملك فيصل .

لقد انتهى اجتماع الملكين بالتعارف ، والتفاهم على مختلف الشئون العربية ، وكان مقرراً أن يرجع جلالة الملك عبدالعزيز إلى «رأس تنورة» ، ولكن الجو كان عاصفاً ، فأخبرنا قبطان الباخرة ، أنه لا يمكنه إنزالنا في رأس تنورة ، وهو يقترح إنزالنا في البحرين ، فوافق جلالة الملك عبد العزيز على ذلك ، ولم يكن يسمعه غير ذلك .

ومن فورنا أمر جلالتنا بإرسال برقيات إلى شيوخ البحرين ، وإلى الشيخ عيسى بن علي شيخ البحرين ، وكان قد نُحى عن المشيخة ، لتقدمه في السن ، وكان لا يزال حياً ، وبعد نصف ساعة أخبرني قبطان الباخرة ، أن رئيس الخليج (الكولونيل يسكو) لا يوافق على نزول الملك إلى البحرين ، لأنه يجب أن يقابل بما يليق بجلالته من حفاوة واستقبال ، وليس هنالك متسع من الوقت ، فائننا عشرة ساعة غير كافية لمثل ذلك ، فلما عرضت الأمر على جلالة الملك ، تكدر كثيراً وقال : أخبرهم أنني لم

أطلب النزول إلى البحرين ، ولم أكن أرغب ، ولكن العاصفة أرغمتنا على ذلك ، ومع ذلك ففتح سفنزل في الزوارق البخارية ، ونسبر رأساً إلى بلادنا .

وفي الصباح ألفت الباخرة مراسيها في مياه البحرين ، وخرج شيوخ البحرين وأعيانها للسلام على الملك عبد العزيز ، وأصروا على نزوله إلى البلد ، فناداني جلالتة ، وسألني رأيي في هذا الموضوع ، فقلت له على الفور : هؤلاء أهل البلاد وأصحابها ، يدعونكم لزيارة بلدكم ، والإجابة مستحبة ، وعار عليهم أن تصلوا إلى هنا ، وتنتظروا الزوارق التي ستسير محاذية لشواطئ البحرين ، ولا تجميعوا دعوتهم . فقال جلالتة : توكلنا على الله . ثم نزل من الباخرة ، وهنا لك على الساحل ، وجدنا الجموع الفقيرة محتشدة للسلام على الملك عبد العزيز ، ولو كان هنالك ترتيب سابق ، ما اجتمع الناس بهذه الكثرة ، ولكن المحبة جمعتهم . وقد زار جلالتة البحرين زيارة رسمية في سنة ١٩٣٩ : فلم يكن استقباله بها أروع ولا أكبر من ذلك الاستقبال المفاجيء . وما أنسى فلا أنسى كلمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة : يا عبد العزيز : لقد أخبروني في الليل أنك لن تنزل إلى بلدك البحرين ، فلم أصدق ذلك ، وقد حاولوا إحباط عزمي اليوم صباحاً ، ولكنني كنت متمثلاً بقيتنا بأنني سأراك اليوم ، وستقر عيني بك . لقد كان هذا نجل أمنيته من زمان طويل ، وإني لا آسف على موتى بعد الآن ، فقد امتلأ قلبي بسرور وغبطة لا يعد لها سرور .

فأجابه الملك عبد العزيز : لقد حاولوا إحباط عزمي عن النزول ، ولكن يأتي الله إلا ما أراد ، ولا راد لأمره . لقد أراد الله أن أنزل إلى البحرين ، وأن تقر عيني برؤيتك ، فالحمد لله على ذلك .

ولقد ترك تصرف «الكولونيل بيسكو» أثراً سيئاً في نفس جلالة الملك عبد العزيز ، وقد رفض أن يقابله بعد ذلك ، ولكن الحكومة البريطانية اعتذرت عن تصرفه ، وأمرت أن يعتذر لجلالتة عند مقابله له ، ففعل .



المرحوم الشيخ حمد شيخ البحرين



جلالة الملك الراحل والكولونيل بيسكو عام ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٠ م

أزمة أخرى مع الوزير البريطاني السير « أندرو رايان »

كان « السير أندرو رايان » أول وزير مفوض للحكومة البريطانية في سنة ١٩٣٠ وقد سبق له أن أمضى مدة طويلة في استانبول ، حذق خلالها الدسائس التي كانت تحاك ضد الشرق والمسلمين . وفي اجتماع له مع جلالة الملك عبد العزيز ، وكان البحث يدور حول تسليم بعض المتجننين من عصابة الدويش ، الذين التجشوا إلى العراق ، وتسليم القسط الثاني من النقود ، التي تعهد بدفعها جلالة الملك عبد العزيز تعويضا عن النهوبات الخاصة بالعراق والكويت ، والتي سبق لفصيل الدويش أن نهبها في غاراته على العشائر الخاضعة لكل من الكويت والعراق ، فقال جلالة الملك عبد العزيز في أثناء حديثه ، وكان (السير أندرو رايان) يتكلم كثيرا عن الملك فيصل الأول ملك العراق ، فقال له الملك عبد العزيز : إنني لا أعرف فيصلا ولا غيره ، أنتم الذين تفاوضتم وانفقتم معي ، فلا أعرف غيركم . فاجابه (السير أندرو رايان) بمجرفة خالية من كل أدب ، إذا كنت لا تعرف الملك فيصلا الذي أتكلم أنا الآن باسمه ، فأنت تعيش في عالم من الخيال . قطع الملك الحديث ، وأجل الجلسة إلى وقت آخر ، وقال لنا : لولا أنني أخشى المشاكل لقطعت رأس اللعمون . ويظهر أن هذا الرجل لا يعرف طبيعة العرب ، كما أنه لا يعرف الأدب .

وفي سنة ١٩٣١ في حديث له مع جلالة الملك ، لإرسال مندوب من قبل المملكة العربية السعودية إلى حدود الأردن ، للتعاون مع مندوب الأردن ، للمحافظة على الحدود ، وتبادل المعلومات ، لوقف حركات البادية من الجانبين ، وكانت الحكومة العربية السعودية في ذلك الوقت تموزها السيارات الكافية للقيام بهذه الرحلة ، من جدة إلى حدود الأردن ، في أرض وعرة ، ليس فيها أى طريق معبد ، فكانت تعمل جهد طاقتها لإصلاح ما لديها من السيارات القديمة الموجودة لديها ، ولكن (السير أندرو رايان)

الذى يجهل حالة المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت ، والأزمة المالية التي كانت تعانيها ، ظن أن التأخير الذي حدث إنما هو مؤامرة يدبرها الملك ضد عشائر الأردن ، وقد صارع الملك بذلك ، فغضب جلالته غضبا شديدا لهذه الإهانات المتكررة ، وقدمت باسمه احتجاجا للحكومة البريطانية ، كان من نتيجته تعيين الوزير المفوض البريطاني ، وامتنع الملك بعد ذلك مدة طويلة عن إجراء أى حديث مع الوزير البريطاني ، بناء على نصيحة قدمتها لجلالته ، مؤداهما ألا يتفاوض بنفسه .

وفي سنة ١٩٣٢ حدث بين المملكة العربية السعودية وبين بريطانيا أزمة حادة بسبب الرقيق ، ولم تكن في الحقيقة أول أزمة من هذا النوع ، فقد كانت المعاهدة البريطانية السعودية تقضى بتحرير الرقيق الذى يلجأ إلى القنصلية أو المفوضية البريطانية ، وقد كان هذا جاريا أيام الأشرف والأترك . أما الأزمة الأخيرة فكانت تختص بأحد العبيد الذى أهدى لجلالة الملك ، ولكن لسبب ما ، ولعله سوء معاملة العبيد القدماء له ، لجأ إلى الهرب ، ثم ألجأ إلى المفوضية البريطانية .

وقد طلبت الحكومة العربية السعودية إعادة ، فأبّت المفوضية تسليمه ، وأحضرت سفينة حربية إلى جدة ، خشية أن تحاول الحكومة العربية انتزاعه بالقوة ، وقد كان من رأيي في كل هذه المسائل الخاصة بالرقيق ، أن تكون الحكومة العربية أكثر تساهلا ، وأميل إلى تحرير العبيد من الحكومة البريطانية ، وفي مسائل الرقيق لا يوجد نصير للحكومة العربية ، لا في الشرق ولا في الغرب . وهذه المسألة على الخصوص عند ما برقت إلى الحكومة العربية في هذا الموضوع ، اقترحت أن يقال : إن هذا العبد لا يخص جلالة الملك ، ولا نعرفه ، فقد يكون مدعيا صفة العبودية ، لغرض في نفسه .

ولكن الحكومة العربية رفضت هذا الاقتراح ، وبدلا من أن تنهى المسألة عند هذا الحد ، تلقت البرقية الآتية ، بتاريخ ٥ فبراير سنة ١٩٣٢ ، من الأمير فيصل بوصفه وزيرا للخارجية : « أبلغوا ترجمة المذكرة الآتية حرفيا إلى

(السير جون سيمون) وزير الخارجية : عهد إلى صاحب السمو الملكي وزير الخارجية ، بأن أبلغ حكومة ماليكم ، أنه بالرغم من الغاية النبيلة التي دعت حكومتنا إلى تبادل التمثيل السياسي المعتاد بينهما ، فإن حكومتى تأسف من أن (السير أندرو رايان) شرع منذ قدومه إلى الحجاز ، في وضع العراقيل في سبيل العلاقات الحسنة بين البلاد ، وفي المجازفة في كثير من الأمور التي تؤثر على علاقات الجانبين . وقد بلغ به الأمر أنه في عدة مرات تجاوز حده في التصرف مع شخص جلالة الملك نفسه ، وفي التسكلم مع جلالاته بلهجة غير مألوفة ، فإنه في أثناء حديثه مع جلالة الملك ، بعد تقديم أوراق اعتماده ببيضة أيام ، اتهم جلالة الملك ، بحضور بعض وزرائه ، أنه يعيش في عالم الأوهام والخيال . وفي حديثه معه في مارس الماضي ، بشأن الموقف على الحدود في شرقي الأردن ، اتهم جلالاته بأنه شخصياً يعكر صفو السلام على الحدود ، ويشجع الغزو والقلق . وفي حديثه مع وكيل الخارجية عن قضية الرقيق قال : إنه يحمد الله أن المستر (هوب جيل) كان معه في الجلسة ، ليشهد على ما يدور من الحديث ، خوفاً من أنه في حالة موته ، تزور على لسانه أشياء لم يقلها ، كما تزور الآن على لسان كلايتون المتوفى . وقد كان صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز وحكومته يفضون الطرف عن إساءته ، ومقابله بالإساءة ، إكراماً لخاطر حكومته ، ولكن الآن لم يعد بالإمكان الصبر أكثر مما مضى ، والسير «أندرو» لم يخدم حسن العلاقات ، بل إنه على العكس لم يزد العلاقات الحسنة إلا تباعداً بين الفريقين ، وأصبحنا في شك من حقيقة الموقف ، وهل هو يعمل كل ذلك من نفسه أو بموافقة حكومته ؟ إن آخر أعمال المذكور المسيئة ، قضية عبد الجلالة الملك ، التي التجأ إلى المفوضية ، فأبلغته وزارة الخارجية : أن العبد من عبيد صاحب الجلالة ، الذي يجب عدم التجاؤه بموجب الاتفاق الذي حصل بين صاحب الجلالة وبين الحكومة البريطانية ، ولكن السير أندرو تجاوز عن ذلك ، وداس كرامة كلمة «الملك» ، وأهان

السلطات المحلية ، وحقراً للحكومة جباراً ، بأن استعصر البارجة الحربية «بيزانس» ، ونقل العبد إليها ، وأساء بذلك إلى كرامة الحكومة ، بحقراً لسلطاتها ، وفي الحقيقة أنه لولا الأوامر الملكية التي وصلت في آخر لحظة ، بعدم استعمال القوة ، في منع إركاب القيد المذكور ، لكانت نشأت عن تهور السير أندرو رايان حادثة خطيرة ، لا يمكن التكهّن بمعرفة نتائجها .

والظاهر أن السير «أندرو» استعد لإحداث الفتنة داخل مدينة جدة : ليحقق الغرض الذي يريده ، ثم لإحداث مشكلات عويصة بين الحكومتين . إن حكومة صاحب الجلالة الملك ، تتحجج على تصرف السير «أندرو رايان» غير اللائق بكرامتها ، وترى أن بقاء واسطة بينهما وبين الحكومة البريطانية ، لا يكون منه إلا تفاقم المشاكل بين الجانبين ، وهذا على كل حال ، لا يرضى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ، ولا الحكومة البريطانية ، وليس من مصالحها الاستمرار فيه . إن حكومة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز تنتظر الجواب السريع الحاسم ، لكيلا يتسع الخلاف ، وتتورط الحكومتان في مشاكل ، بسبب السير أندروهما في غنى عنها .

لم يكن من رأي تقديم هذه المذكرة للحكومة البريطانية ، لأنها تتضمن بعض المسائل التي سبق حلها مع الحكومة البريطانية ، ولم تكن هناك مسألة أخرى أثارته هذه المذكرة ، إلا مسألة العبد «نجيت» الأخيرة ، وقد كنت أفضل أن يترك الموضوع برأيه إلى فرصة أخرى ، يكون فيها أحد الأمراء في لندن ، وتثار طريقة معالجة السير أندرو رايان للمشاكل ، وروح العجرفة الذي يصاحبه دائماً في أحاديثه مع المشايخ السعوديين ، ولكن الحكومة أصرت على تقديم المذكرة كما هي ، فرأيت أن أفضل طريقة لمعالجة هذا الموضوع الشائك : أن أسافر إلى جنيف ، لحضور مؤتمر تخفيض السلاح ، وكنت مثلاً للحكومة ، وأن يقوم القائم بالأعمال بتقديم المذكرة في أثناء غيابي ، ففعل ، فكان

لهذه المذكرة أسوأ الأثر في وزارة الخارجية البريطانية ، فبعد رجوعي من جنيف ، أخبرني وكيل وزارة الخارجية البريطانية (السير لانسلوت أوليفانت) أن الحكومة البريطانية أصيبت بصدمة لم تكن تتوقعها من الحكومة العربية السعودية ، وأنها قد استدعت (السير أندرو رايان) إلى لندن ، وقد كان في عُمان يعمل لحل بعض المشاكل بين حكومة شرق الأردن والمملكة العربية السعودية ، وأن الحكومة البريطانية لن تجيب عن المذكرة بالسرعة التي طلبتها الحكومة العربية السعودية .

وبعد بضعة أيام تسلمت المذكرة الآتي نصها في ٢١ مارس سنة ١٩٣٢ .

سيدى :

١ - استلمت عند عودتي من جنيف مذكرة رقم ٨ فبراير ، وفيها بلغتموني حسب التعليمات التي تلقيتموها من حكومتكم ، شكواي من موقف وزير صاحب الجلالة الحالي بالجهاز ونجد ، منذ وصوله إلى جدة في سنة ١٩٣٠ .

٢ - والسير أندرو رايان لما له من خبرة ثلاثين سنة بوظائف الحكومة ، ولما استحقه طول خدمته من رضا واحترام تام ، من وزراء الخارجية المختلفين ، اختير لمنصب وزير صاحب الجلالة بمجدة ، لكونه أنسب موظف لتوثيق العلاقات السعيدة الموجودة إلى ذلك الحين ، بين حكومة صاحب الجلالة ، وحكومة الملك عبدالعزيز ، ففي هذه الظروف لا أخفى عليكم دهشتي من أن حكومتكم رأت من اللائق أن تبغوني الادعاءات الدرجة في مذكرة تم ، ضد هذا الموظف الموثوق به من قبل حكومة صاحب الجلالة .

٣ - وقد حظيت الآن باستلام ملاحظات (السير أندرو رايان) على التهم المختلفة المقدمة ضده ، وأرجو منكم أن تسمحوا لي بالرد عليها واحدة فواحدة .

(١) إنه لا يذكّر أنه قال في أى وقت كان : إن جلالة الملك عبد العزيز يعيش

في عالم الأوهام والخيال . وهو يقول : إن استعمال مثل هذا الكلام يتنافى كلية مع موقف الاحترام ، الذي يحافظ عليه دائما ، حتى عند المناقشة مع صاحب الجلالة في أصعب المسائل .

(٢) السير أندرو رايان يبين أنه عند مناقش في مسألة حدود شرق الأردن مع الملك في ٢ مارس من السنة الماضية ، حسب تعليمات وزير الخارجية ، أشار إلى الاعتقاد الشائع على جانبي الحدود ، من أن الثارات من جة الحجاز ونجد ، برضا صاحب الجلالة ، وهو إنما ذكر ذلك كدليل على خطورة الموقف ، وأكد أنه لا يشرك حكومته ولا نفسه في الرأي الشائع على الحدود بخصوص موقف الملك .

(٣) والسير أندرو رايان يعترف أنه في حديث له مع فؤاد بك حجة في ٢ يناير الماضي ، عبر عن سروره لحضور شاهد في شخص السرد (هوب جيل) ، وهو إنما قال ذلك ، لأن فؤاد بك حجة كان قد انترض على تصرفه في إيوائه بالمقوضية شخصا اسمه هارون ، ادعى أنه عبد ، مع أنه أحد الرعايا البريطانيين ، ثم بعد ذلك أنكر أنه وقف ذلك الموقف الذي لا مبرر له . والسير أندرو رايان يؤكد أنه لم ينهم في وقت من الأوقات حكومة الحجاز بتزوير أي شيء ، ونسبته إلى المرحوم السير جلبرت كلايتون .

(٤) وآخر تهمة ضد السير أندرو رايان تتعلق بتصرفه في مسألة البسد المحرر « بنجيت » ، وهو يلاحظ أنه في بدء محادثاته في هذا الموضوع ، بين بوضوح لفؤاد بك حجة ، أنه إذا كانت الحكومة الحجازية لا ترى سبيلا للموافقة على تحرير « بنجيت » ، وإعادةه إلى وطنه ، فليس أمامه إلا أن يحيل الأمر على ، لإصدار تعليمات ، وأن التصرف الذي اتخذته في النهاية ، بعد ما بذل كل جهد لإنهاء المسألة وديا ، كان طبقا للتعليمات التي تلقاها مني .

(٥) وعلاوة على ذلك ، أريد أن أسجل أن (السير أندرو رايان) بهذه

المناسبة، لم يرق بأى عمل فى المسألة ، إلا بتعليمات مباشرة منى شخصيا ، آتحمّل أنا جميع تبعاتها .

(٦) وإنى أقبل هذه الإيضاحات من (السير أندرو رايان) باستعداد أكبر ، لكونها تتفق اتفاقا تاما مع التقارير التى أرسلها فى وقتها ، إلى المستر هندرسون وإلى ، بخصوص جميع هذه المسائل ، كلما ظهر له أن الحوادث من الأهمية بحيث ينبغى تدوينها . ويجب أن أعتبر التهمة العامة بأنه يسمى لتسوية العلاقات بين الحكومتين ، والتهمة التى هى أسوأ أثرا حتى من هذه ، ألا وهى أنه قد اتخذ كفرض له إحداث الفتنة فى مدينة جدة ، غير قائمتين على برهان .

(٧) وفى هذه الظروف أثق أن حكومتكم سترى من اللياقة سحب هذه المذكرة ، التى يظهر أنها كتبت عن خطأ ، وفى الحقيقة يمكننى أن أزيد على ذلك ، أنى أوئل بشدة ، أن تؤخذ هذه الخطوة الودية ، لأنه فى حالة عدم ذلك ، أكون مع أعظم الأسف مضطرا لأن أزيد على ماتقدم ، أنه إذا لم يستأنف (السير أندرو رايان) عمله ، كوزير صاحب الجلالة فى جدة ، فإن حكومة صاحب الجلالة ، لا يمكنها أن تعين محله أى وزير آخر ، فى خدمة صاحب الجلالة .

ولى الشرف أن أكون ياسيدى مع فائق الاحترام

خادمكم المطيع

جون سيمون

لقد أثارت هذه المذكرة شكوك الملك عبد العزيز ، واعتقد أن صداقته مع بريطانيا اعتراها شىء من الضعف ، وهو يعمل ألف حساب لخصومه من الهاشميين فى العراق والأردن ، فأرسل إلى برقية مطولة ، تكاد تنطق بالجوارح السائد فى البلاد العربية السعودية . ولقد علمت أن سخطه على محور المذكرة فؤاد حمزة — الذى كان يشغل فى ذلك الوقت وكالة الخارجية ، كان شديدا ، ولكنى كنت أرى أن سحب المذكرة (بالرغم من أنى لم أكن

راضيا عنها، وعن سحبها) يضعنى فى موضع لا أرضاه لنفسى ، وفى الوقت نفسه لا أريد أن أتنحى عن واجبى ، فى إزالة ما هنالك من جفاء بين الحكومتين ، فرأيت أن أزور وكيل الخارجية ، وهو صديق قديم ، وتكلمت معه كلاما طويلا ، يختص بالذكر المقدمة من « السير جون سيمون » ، عن شدة لمبجتها ، وهو عالم نكثن ننتظره ، والآن أصبحت فى مركز يخولنى أن أنهى الموضوع ، بطريقة سيقبلها جلالة الملك عبد العزيز ، وأرجو أن تكون مقبولة عندكم ، وإنى لا أحب كثرة المراجعات والجلد . وقد وضعت صيغة جوابية ، سأعرضها عليه (أى على وكيل الخارجية) وأرجو أن تكون فاصلة فى الموضوع .

فقال : إن هذا غريب ، فلم يسبق لى فى خدماتى الطويلة ، أن أبدى رأى فى مذكرة ، قبل أن تعرض علينا ، وأخشى أن أبدى رأى فى شئ . ربما لا يوافق عليه السير « جون سيمون » ، والرجل ، كما تعلم ، شديد فى الرقّ هو وزوجته ، ولزوجته كتاب فى موضوع (الرقّ فى جزيرة العرب) .

فقلت له : لقد اطلعت على الكتاب ، ورددت على بعض فصوله ، قبل أن يتولى السير « جون سيمون » وزارة الخارجية ، ولكنى لا أختلف معه فى كراهيتى للرق ، وأنه بصورته الحاضرة لا يتفق مع أصول الإسلام ، الذى دعا إلى التحرير فى كثير من آيات القرآن ، ثم عرضت عليه المذكرة ، فقرأها ، واقترح إدخال جملة أو جملتين ، وقال : سأعرضها على السير « جون سيمون » ، وأرجو أن تضع هذه المذكرة حدا للموضوع كله . وفى اليوم الثانى أخبرنى وكيل الخارجية أن السير « جون سيمون » سيعتبر المذكرة منبهة للموضوع .

وفى بإبلى نص المذكرة :

فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٥٠ الموافق ٥ مارس سنة ١٩٣٢ .

حضرة صاحب المعالى وزير الخارجية البريطانية :

بعد التحية :

تلقيت مذكرة رقم ٢١ مارس ، وأرى من واجبى إزالة لما حصل من سوء التفاهم ، أن أضع أمامكم البيانات الآتية :

(١) إن مذكرة حكومتى رقم ٨ فبراير ، لم يقصد منها إلا زيادة توثيق العلاقات الحسنة مع الحكومة البريطانية ، وأنها من قبيل ما يجب على الصديق المخلص فى صداقته لصديقه ، لإزالة كل ما يحشى من تعكيره لصفو هذه الصداقة .

(٢) إن تاريخ علاقات جلالة الملك ابن سعود بالحكومة البريطانية ، مقم بالبراهين التى تثبت صحة ما تقدم ، وأن حرص جلالة الملك على تقوية علاقته مع الحكومة البريطانية ، هو الذى دفعه للإلحاح فى تبادل الوزراء المفوضين بين البلدين ، قبل التفكير فى ذلك مع أية دولة أخرى ، وحتى الآن ليس للحكومة صاحب الجلالة وزير مفوض فى غير بريطانيا .

(٣) إن الحكومة البريطانية تذكر ولا شك ، ما كان من التعاضد والتعاون بين صاحب الجلالة وبين رجال الحكومة البريطانية السابقين ، وقد كان يقع شئ من سوء التفاهم فى بعض الأحيان ، ولكن نظرا لحسن الود من الجانبين : كان سوء التفاهم الواقع ينسب ويزول أثره ، ولا توجد حكومة بذلنا من أجل ودهاء وحسن العلاقات بها ، مثل ما بذلنا مع الحكومة البريطانية : ومواقف جلالة الملك السابقة وصداقته ، كلها معروفة للحكومة البريطانية .

(٤) أما بخصوص السير أندرو رايان ، فقد عهد إلى أن أؤكد للحكومة البريطانية

بأنه ليس لنا أى غرض فى شخصه ، وليس بيننا وبينه أى عداوة شخصية ، وليس بين
حكومتى وبينه إلا ما أخبرنا به حكومة بريطانيا ، وإن ما جاء بمذكرتنا هو كما قدمنا
من باب شكوى الصديق لصديقه فحسب ، وعودة السير أندرو كممثل لدى حكومتنا ،
أمر يرجع لحكومة بريطانيا نفسها ، ونحن لا نمانع فيه ونقبله ، وليس لنا مقعد إلا
ثلاثة أمور : الأول : حفظ شرفنا . والثانى : حفظ استقلالنا . والثالث : توثيق
العلاقات الحسنة مع الحكومة البريطانية .

فأما وقد عُلِمَ موقف حكومتى من البيانات المتقدمة ، فحكومتى تثق أنه عند
عودة السير أندرو إلى وطنيته ، لا تكون العلاقات بين البلدين ودية كما كانت إلى
آن فحسب ، بل تصبح أكثر توثقا لقائدة الطرفين .
وتفضلوا يا صاحب المعالي بقبول خالص احتراماتى .

وزير الحجاز ونجد النفوس

وبهذا الكتاب انتهت الأزمة التى حدثت فى الحقيقة بسبب فرار أحد العميد إلى
النفوسية البريطانية ، ولكن بالرغم من انتهائها ، قد تركت أثرا سيئا فى الحكومة العربية
السعودية ، وفى نفس السير أندرو رايان .

• • •

وفى مايو من سنة ١٩٣٢ وصل سمو الأمير « فيصل » إلى لندن فى زيارة خاصة ، وقد
سمى فى أثناء إقامته فى عقد قرض من الحكومة البريطانية ، أو من أحد البنوك
البريطانية ، فلم ينجح . كما بذل عِدَّة محاولات لدى شركات البترول البريطانية ،
لإقناعها بشراء امتياز البترول فى منطقة الأحساء ، وهى المنطقة التى يستثمرها الأمريكيون
الآن ، فلم يوفق أيضا .

وكانت الأزمة المالية فى البلاد العربية السعودية ، تكاد تأخذ بالخطاق ، وقامت فى
تلك الفترة أيضا ثورة « ابن رقاد » فى شمال الحجاز ، بتحرىض من الشريف عبد الله ،



جلالة الملك الراحل عام ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٨ م

وتأييد الحديو عباس الثاني لها بالمال ، فكانت ضغتنا على إبالة .

ولكن عزم الملك عبد العزيز وحزمه ، قد تغلبا على هذه الثورة ، وما كادت البلاد تنففس ، حتى وقعت ثورة أخرى في بلاد الأدراسة ، وبعدها بقليل نشبت الحرب بين اليمن وبين البلاد العربية . وقد تغلب الملك عبد العزيز بعقله الكبير ، وبصيرته النافذة على خصومه . وخرج من هذه الفتن والثورات ظافرا منتصرا .

غير أن هذه الثورات والحروب قد أصابت البلاد بأزمة مالية ، أثرت في اقتصاديات البلاد ، يضاف إلى ذلك بعض تصرفات شاذة من وزارة المالية ، كان لها أثرها السيء في الأسواق المالية .

وقد لوحظ في السنوات السبع من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٨ ابتعاد كثير عن السياسة البريطانية ، خلافا للسياسة التقليدية للملك عبد العزيز .

يرجع هذا للسياسة التي اتبعها الزميل فؤاد حمزة ، فقد ظهر مياه بوضوح إلى «موسوليني» وسياسة إيطاليا ، وقد تكررت زيارته لإيطاليا ، ويقول بعض الإيطاليين الذين زاروا البلاد العربية السعودية : إن فؤاد حمزة أخبر «موسوليني» أنه يتمتع بنفوذ في البلاد العربية السعودية ، لا يقل عن نفوذ موسوليني في إيطاليا .

حقاً أن فؤاد حمزة كان يتمتع بثقة لدى الملك عبد العزيز ، وكان لآرائه وزن كبير ، أما في البلاد فلم يكن له أو لسواه أى نفوذ ، والوزراء والمستشارون لا يستمدون نفوذهم إلا من رضا الملك عبد العزيز .

ولقد أهتمت الحكومة البريطانية الزميل فؤاد حمزة ، بأنه تناول مبالغ كبيرة من إيطاليا ، وكان هذا على أثر حديث بيني وبين المستر «جورج رندل» رئيس القسم الشرقى في وزارة الخارجية البريطانية . كان الحديث على أثر كثرة تنقلات نوري السعيد إلى القدس ، فأراد الملك عبد العزيز أن يوفد فؤاد حمزة إلى القدس ، لاستطلاع رأى السيد

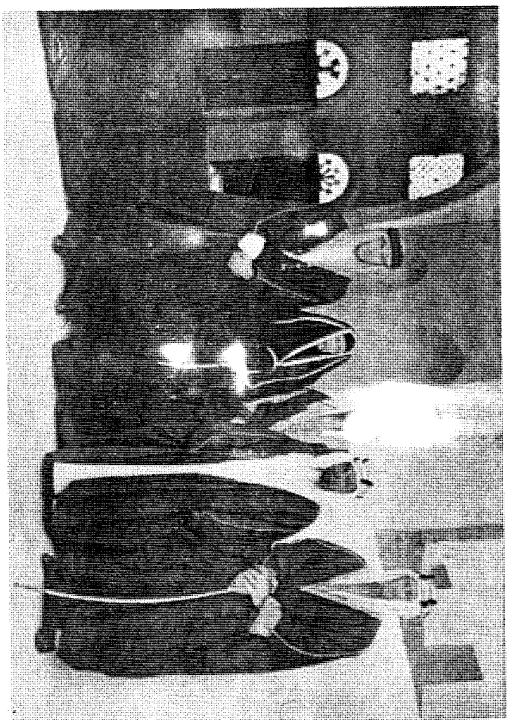
«أمين الحسيني» في أثناء ثورة فلسطين، ولكن الحكومة البريطانية رفضت السماح لفؤاد حمزة أكثر من مرة ، وحين ألححت : لماذا يُسمح لنوري ، ولا يسمح لفؤاد حمزة ؟ فأخبرني مستر «رندل» بالسبب .

وفي اليوم التالي دعاني السير «لانسوت إليفانت» إلى وزارة الخارجية ، وأخبرني بأنه ليس من عادتنا التدخل في شئون الغير، ولكن بما أن مستر «رندل» قد زل في إخبارك، فأنا أؤيده، وإذا أراد جلالة الملك تفصيلاً أكثر، فالسير «ريد بولارد» الوزير البريطاني سيقدر جلالتك بالتفاصيل .

ومن الغريب أن مسألة فؤاد حمزة قد انتشرت في الشرق الأدنى ، فقبل أن أبدأ بإخبار جلالة الملك بما سمعت ، أخبرني هو بالموضوع ، فقلع عن السيد حسين العويني والشيخ كامل القصاب .

وقد زار مستر «رندل» البلاد العربية السعودية في شتاء ١٩٣٧ هو وزوجته . وقد أشار من طرف خفي إلى موضوع فؤاد حمزة، وأن وضعه أصبح خطراً على العلاقات، الودية وبدأت العلاقات تتحسن بعد هذه الزيارة ، وبعد زيارة «الإيرل أف أتلون» خال «الملك جورج» ، وزوجته الأميرة «أليس» في شتاء ١٩٣٨ وقد تجلّى ذلك ببيع كمية كبيرة من الأسلحة بثمان اسمي، ولكن الملك عبدالعزيز قد أخطأ بتعيين فؤاد حمزة في الوفد الذي يرأسه الأمير «فيصل» في مؤتمر فلسطين، الذي عقد سنة ١٩٣٩ .

فقد اعترضت على تعيينه ، بالنظر إلى سخط زعماء فلسطين عليه، وقد علمت فيما بعد أن الحكومة البريطانية أيضاً اعترضت على هذا التعيين، وما أهمته الحكومة البريطانية به قبل سنتين . وقد قدمت استقالتي من منصبى احتجاجاً على هذا التعيين ، قبل أن أعرف احتجاج الحكومة البريطانية ، ولكن انتهت الأزمة بسحب الاستقالة ، وقبول فؤاد حمزة ، على شرط ألا يكون له دور رئيسي في المفاوضات .



الإيرل اف الثون (خال الملك جورج) والأميرة اليس زوجته وابن أخيهما والمؤلف
في زيارتهم للمملكة العربية السعودية عام ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٨ م



حلالة الملك الراحل عام ١٣٥٩ هـ = ١٩٣٩ م

وقد أرسل إلى جلالة بالبرقية الآتية :

إن ما ذكرته عن إخلاصك ، فهذا لا يخامرنا فيه شك . أما محبتك ومقامك عندي ، فهذا أمر أنت أعرف به ، وأما الزلل فلا معصوم إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يحصل إلا سوء تفاهم بسيط ، ومقامك عندي وغلاك فأنت تحبّه ، وقد انتهت الأزمة مع الحكومة البريطانية بسبب اختيار فؤاد . ونحن نذكر مسعاك في إنهاء الموضوع ، وهو ليس بكثير عليك ، بارك الله فيك ، ووفقك لما فيه الخير .

وقد عين فؤاد حمزة بعد ذلك في سنة ١٩٣٩ وزيراً مفوضاً في باريس ، إرضاء لبريطانيا ، فعادت العلاقات الودية إلى سابق عهدها .

وفي أوائل سنة ١٩٤٠ سافرت إلى الحجاز كمادني . لقضاء فصل الشتاء فيه ، فملت من بعض أصدقائي أن جلالة الملك عبدالعزيز قد قرر نقل من لندن ، لأني عكّرت عليه سياسة بريطانيا ، فجميع ما يطالبه من التدبّر البريطاني ، كان يقابل بالاعتذار ، وإني شخصياً لا أعلم ماذا طلب من بريطانيا؟ وهل ماطلبه كان قبل إعلان الحرب أو بعده .

° ° °

الدكتور جروبا : لقد طلب «هتلر» من صديقه «موسوليني» أن يتوسط لدى جلالة الملك عبد العزيز ، في قبول الدكتور «جروبا» الوزير المفوض في الحجاز ، ليكمل مركزه في جدة ، بعد أن أغلقت المفوضية الألمانية في بغداد ، وتعهد موسوليني بإرسال طائرة خاصة تحمله إلى جدة .

لقد وصلت إلى جدة يوم الاثنين ٦ الحجة (١٥ يناير ١٩٤٠) وأخبرني الوزير البريطاني بها عن قلقه من وجود الدكتور «جروبا» بمكة ، وأن وجوده سيكون سبباً لخلق المشاكل ، فليس لألمانيا مصالح في البلاد العربية السعودية ، فأجبت : سأدرس الموضوع ، وسأشير على الجهات المختصة بما يتفق مع المصلحة .

لقد استشار جلالة البريطانيين ، فأخبروه شفويّاً برأيهم ، وهو أنهم لا يرحبون بقدوم الدكتور «جروبا» ، ولكن جلالة حائر فيما يصنع .

لقد جمع جلالة الملك مستشاريه : سمو الأمير « فيصل » وعبدالله السليمان ، والشيخ يوسف ياسين ، وخالد القرقى ، وبشير السعداوى ، وأنا ، ودار البحث حول موضوع الدكتور « جروبا » ، فكان الجميع لسانا واحدا : نحن محايدون ، ولا حق للبريطانيين فى التدخل فى هذا الأمر .

لننظر إلى تركيا : إن الحلفاء يتملقونها ويمدونها بالمال ، ولم يجرؤ أحد أن يقول لها شيئا ، ثم التفت إلى جلالتة وقال : وأنت ماتقول ؟

قلت : إن رأى الجماعة صحيح من وجهة نظر القانون الدولى ، وإمكن هل لى أن أسأل : لماذا استشار جلاتكم البريطانيين ؟ ولماذا أطلعتمهم جلاتكم على الموضوع قبل البت فيه ؟ لا بد أن السبب فى ذلك هو مايشعر به جلاتكم من الصداقة نحو البريطانيين ، وما يربط مصالحكم بهم ، وأن جلاتكم فى هذه الظروف الحرجة ، تفضلون الإبقاء على صداقتهم . وإذا كان الأمر كذلك ، فنحن ننظر إلى هذا الموضوع من هذه الناحية ، أى ناحية المصلحة والمستقبل فقط .

١ — لماذا لم يطلب الدكتور « جروبا » القدوم إلى جدة بعد إخراجه من بغداد مباشرة ؟

٢ — إن الدكتور « جروبا » لم يؤسس هنا مفوضية ، ولم يترك أى موظف يقوم بالأعمال فى أثناء غيابه . لاشك أنه يقصد بقدمه إلى الحجاز إنشاء مركز للدعاية ضد الحلفاء .

٣ — إن بلاد الحجاز بلاد إسلامية ، تقضى مصالحها بالحفاظة على الصداقة مع الحلفاء ، ولا أستبعد أن يعدد الحلفاء للتضييق علينا ، إذا وجدوا بلادنا أصبحت مسرحا للدعاية ضدهم . فالفائدة التى سنجننها من المحور ، قاطعتنى الشيخ يوسف ياسين ، وقال : إن هذا الموقف سيحط شأننا كدولة مستقلة . فأجبت : إن المسئلة مسألة مصلحة ، إن

هناك مسائل معلقة مع الإنكليز ومع العراق والكويت ، فكيف تريدون حلها إذا لم نملك طريق المودة . إن الحرب طويلة ، والسفن الإنكليزية هي التي تنقل لكم حاجاتكم الضرورية ، يجب أن نكون بعيدي النظر .
فقال جلالة الملك : اترك يوسف وكلامه ، وأخبرنا برأيك .

قلت : الرأي عندى يامولاي ، أن ترسل عبدالله السليمان إلى السفير الإيطالي ، ليرسل باسمكم رسالة خاصة إلى موسوليني ، تبلغونه فيها تحياتكم ، وتمتدرون بعدم إمكان قبول الدكتور «جروبا» في الوقت الحاضر ، فبريطانيا يحيط بنا أعوانها من كل جانب . ونخشى أن يصيبنا ضرر منها ، ولكن إذا تميزان الحرب ، فستعيدون النظر في الموضوع . وترسلون الشيخ يوسف للوزير البريطاني ، لإخباره بهذا الرأي ، وتمهد الطريق معه لحل المسائل المالية المعلقة . فقال جلالة : يجب أن تذهب أنت إلى الوزير البريطاني غدا . وعبد الله السليمان إلى الإيطالي .

وفي يوم السبت ٢٠ يناير (١١ الحجة) قابلت جلالة قبل سفرى إلى جدة ، فقال : إني أحمد الله على وصولك إلينا ، في وقت نحن في أشد الحاجة فيه إليك . يعلم الله أنى كنت أنكر في نفس الحل ، ولكننى كنت أفضل أن يأتى الحل من أحد مستشارى ، وفقك الله .

وصلت جدة ضحى اليوم ، وتحدثت مع الوزير البريطانى ، وأخبرته برأى جلالة الملك ، وأن جلالة سيخبره بنفسه بعد بضعة أيام .

ثم تحدثت معه طويلا في الموضوعات المالية ، وفي حالة الحجاز ، وما ينتظر من تدهور الحالة الاقتصادية ، وأن مساعدة الحجاز سيكون لها أثرها الحسن في نفوس المسلمين . ولقد أعانت الحكومة البريطانية الحجاز في الحرب الأولى ، قبل إعلان الحسين الحرب على الأتراك ، كما أعانت بعد ذلك بالمواد الغذائية ، وبالسماح بالحج لقسم من الجيش الهندى ، كمكافأة لهم على بسالهم .

وقد تمكن الوزير المفوض بعد مراجعة حكومته ، من الحصول على مبلغ ٤٠٠ ألف جنيه مساعدة لحكومة الحجاز وأهلها الذين أصابهم ضرر ، بسبب قلة الحجاج ، وقد زاد هذا المبلغ تدريجيا ، حتى وصل إلى أربعة ملايين جنيه ، وقد اشتركت الولايات المتحدة بعد ذلك بمساعدة البلاد العربية السعودية بالسيارات ، والمواد الغذائية ، والذهب وغيره . ولكن الشيء الذي يؤسف له ، أن هذه الإعانات قد لعبت بها الأيدي وأساءت استعمالها ، فكثير من موظفي المالية ، ومن اتصل بهم من التجار ، قد استغلها استغلالا ياباه الدين والشرف والكرامة ، فالذهب كان يُتجر به في الهند والقاهرة ، وبعض القضايا التي اطلعت عليها بسبب وظيفتي ، كان يخجل منها الجبين ، وجملة الملك المرحوم برى منها كلها ، ولكن خطاه أنه وضع الأمانة في غير موضعها ، وقد استغل هؤلاء ثقتهم به ، ودفاعه أحيانا عنهم ، فخانوا الأمانة ، وأسرفوا في الخيانة ، وما كان يجوز أن يسكت عنهم ، ولكن العرب دأبوا على الصنع والمغو والإغضاء ، بل العطف على من اتصل بهم بالخدمة أو النسب ، وكثيرا ما يتجاوز التمسب إلى العناد ، وجل من لا يخطئ ، والكمال لله وحده .

لقد توطدت العلاقات مع البريطانيين في أثناء الحرب ، بفضل حكمة الملك عبد العزيز ، ونفاذ بصيرته ، بالرغم من المحاولات والناورات التي كان يقوم بها فؤاد حمزة من جنيف .

كانت سنة ١٩٤١ من أحلك السنين على بريطانيا : انسحاب في كل ميدان ، انسحاب من اليونان ، ومن كريت ، وانسحاب من بنى غازى إلى مرسى مطروح ، وقيام رشيد على بثورته . لقد استدعاني مستر إيدن إلى وزارة الخارجية ، وسألني : إنا نتق بتديرك للأمر ، وبتجاربك ، ومعرفتك بالعقيلة العربية ، فهل تظن الملك عبد العزيز يقف ضدنا ؟ وهل تعتقد أن أحدا يؤثر عليه في الرياض أو أوروبا ؟ فأجبتة بما يلي : لو أن الملك عبد العزيز كان أوربيا فربما وقف منكم موقف موسوليني ، ولكن الملك رجل عربي

وشرقي ، للصداقة عند قوة كبيرة ، إذا لم يستطع أن يساعد أصدقاءه في وقت الشدة ، فمن المستحيل أن يطمئنهم في ظهورهم . ولا أعتقد أنه في مثل هذه الظروف يمكن أن يغير موقفه أحد ، من قريب أو بعيد : فالرجل يصرّف أموره بعقله . وأحب أن أخبرك بهذه المناسبة : وإن كان ذلك يمينا ، ولكنه الحقيقة ، أن جلالة الملك عبدالعزيز ، هو كل شيء في مملكته ، وكل مانع من ألقاب ، نعى ألقاب جوفاً كالطبل ، وقد أثبتت الحوادث حدسي .

وعلمت فيما بعد أن فؤاد حزة اجتمع مع الدكتور «جروبا» في جنيف ، وحمل فؤاد حزة رسالة من هنري يحرض جلالة فيبسا على القيام بحركة ضد الإنكليز ، وأن هتلر سيجعل منه ملكاً على العرب جميعهم . فأجاب الملك عبد العزيز ببرقية شديدة اللمعة ، وأمره بالرجوع إلى فيبسا ، ثم ناله بعد ذلك إلى أنقرة ، إرضاء للبريطانيين .

مشكلة الحدود

في سنة ١٩٢٢ حددت الحدود بين الكويت ونجد ، كما حددت الحدود بين العراق ونجد ، وفي سنة ١٩٢٥ حددت الحدود بين نجد وشرقي الأردن ، وفي سنة ١٩٢٧ حددت الحدود بين الحجاز وشرقي الأردن ، كما عقدت معاهدة الصداقة بين بريطانيا والملكة السعودية ، التي حلت محل معاهدة الحماية ، التي عقدت سنة ١٩١٥ ، أما حدود المملكة من الجهة الشرقية والشرقية الجنوبية ، فلم يجر بشأنها أي بحث ، ولم يُتَربَّسَ أي نزاع .

لقد نص في المادة الأولى في معاهدة سنة ١٩١٥ :

أن الحكومة البريطانية تعترف وتقبل أن نجد والأحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها ، التي تعين هنا ، والمرافئ التابعة على سواحل خليج العجم ، كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير «ابن سعود» وآبائه من قبل ، وهي تعترف بابن سعود حاكماً مستقلاً على هذه الأراضي ، ورئيساً مطلقاً على جميع القبائل الموجودة فيها .

وفي المادة السادسة :

يتعهد « ابن سعود » كما تعهد والده من قبل ، بأن يمتنع عن كل تجاوز وتدخل في أرض الكويت والبحرين ، وأراضى مشايخ قطر وعمان وسواحلها ، وكل المشايخ الموجودين تحت حماية إنجلترا والذين لهم معاهدات معها .

وتنص المادة السابعة والأخيرة :

الحكومة البريطانية و« ابن سعود » يتفقان فيما بعد بماهدة ، على التفاصيل التي تتعلق بهذه المعاهدة .

وفي سنة ١٩٢٧ عقدت معاهدة صداقة جوار بين الحكومة البريطانية وبين الحكومة العربية السعودية ، وقد نصّ في المادة السادسة منها على مايلي :

يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقها ، بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العُماني ، الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

ولم تُذكر مسألة الحدود الخاصة بمشايخ قطر والساحل العُماني . كما أن معاهدات الحماية التي عقدتها الحكومة البريطانية مع هؤلاء المشايخ ، لم تعرض للحدود . والسبب في ذلك أن الحكومة البريطانية لم تكن تهتم إلا بتأمين الملاحة في الخليج العربي ، كما يدل على ذلك الوثائق الرسمية العديدة . إن المملكة العربية السعودية الحالية ، ما هي إلا امتداد لحكم « آل سعود » ، الذي كان له الفضل الأكبر في إحياء الروح الدينية الصحيح ، ومحاربة البدع والخرافات ، التي انتشرت في بلاد المسلمين ، وبين المسلمين ، وقد قضت عليها قضاء مبرما في « جزيرة العرب » ، كما أن هذه الدولة في جميع أدوارها ، كان لها الفضل الأكبر في تأمين الطرق ، وسيادة الأمن في البادية والحاضرة ، وذلك بفضل اتباع تعاليم الإسلام ، وتنفيذ أوامره بلا هوادة وبلا محاباة ، وأن المشايخ المشمولين بالحماية

البريطانية لم يتعد نفوذهم بلادهم الساحلية ، ولم يتعد نفوذهم إلى الداخل أكثر من بضعة أميال .

أول مرة أثارَت فيها الحكومة البريطانية موضوع الحدود الشرقية ، والشرقية الجنوبية ، كان في سنة ١٩٣٤ أى بعد مضي سبع سنوات من معاهدات جُدَّة ، وبعد مضي سنة من منح امتياز البترول الشركة الأمريكية . ولقد جرت مفاوضات ومراسلات بين الحكومتين : مرة في جدَّة ، وأخرى في لندن ، لم تسفر عن نتيجة .

وآخر مفاوضات في هذا الموضوع قام بها صاحب السمو الملكي الأمير « فيصل » ، كان في صيف سنة ١٩٥١ ثم استؤنفت المفاوضات مرة أخرى في الدمام ، في أوائل سنة ١٩٥٢ ، كان البتُّون فيها شاسعا بين الطرفين المتفاوضين . وفي آخر جلسة من جلسات المؤتمر صرح « السير روبرت هاى » المقيم البريطانى في الخليج ، بأن الموضوع لا يمكن حله بهذه الطريقة ، وأن الأفضل إحالته لتحكيم ، ومن هنا نبئت فكرة التحكيم ، وعند انتهاء المؤتمرين بالخبيّة ، تعهد الفريقان بأن لا يقوموا بأى نشاط في المناطق المختلف عليها ، وألا يشجعا شركات الزيت في القيام بأى بحث أو تنقيب .

غير أنه حدث ما لم يكن في الحسبان ، فإن بعض أسراء ومشايخ « البُرَيْمى » ، طلبوا من جلالة الملك عبد العزيز إرسال أمير وقاض ، يقوم بالفصل في القضايا والمخاصمات التى تقع بين الناس . فأرسل جلالتهم تركى بن عَطِيَّشان ومعه أربعون نفرا ، مابين جندى وكاتب وطباخ ، فأثار هذا التصرف حفيظة الإنكليز ، واحتجوا على هذا التصرف ، وعدَّوه خرقا للعهد الذى قطعه الفريقان . ولقد تطورت الأمور بعد ذلك بين مدّ وجزر . لقد اقترحت الحكومة البريطانية أكثر من مرة سحب ابن عَطِيَّشان ، وإبقاء الحالة على ما كانت عليه ، ولكن الحكومة العربية السعودية رفضت .

وأخيرا اتفق الفريقان على أن يبدل بالجنود خمسة عشر شُرطيا ، وعلى أن تشكل هيئة تحكيم ، للفصل في هذه القضية .

لقد توفي الملك عبد العزيز في ٩ نوفمبر ١٩٥٣ تاركا المشكلة كما كانت ، ولكن بعد أن اتفق الفريقان على أسس التحكيم ، وأن يستبدل بالجنود خمسة عشر شُرطيا لكل فريق ، ليحلوا محل قوات الفريقين . وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر ذى القعدة ١٣٧٣ الموافق ٣٠ يوليو ١٩٥٤ وقع الاتفاقية بالنيابة عن الحكومة العربية السعودية سمو الأمير (فصل) وعن بريطانيا (مستر ج . س . بلهام) السفير البريطاني بجدة .

وفي سبتمبر ١٩٥٥ أمرت الحكومة البريطانية (السير ريدر بولارد) بالانحساب من هيئة التحكيم ، بدعوى اتهام الحكومة العربية السعودية بأنها خالفت اتفاقية التحكيم برشوة بعض الحكام والسكان ، مع أن هذا الادعاء كان مقدما للمحكمة ، وللمحكمة وحدها حق الفصل في هذا الموضوع وسواء . وفي أكتوبر سنة ١٩٥٥ احتلت الجنود البريطانية منطقة « البريمي » ، وتلاهذا الاحتلال بيان من السير «أطوفى إيدن» رئيس الوزارة البريطانية كله مسطرة ومغالطة ، فقد بُرّر هذا الاحتلال بمثل ما يبرّر به كل قوى معتز بقوته ، حقه في الاعتداء على الغير .

لقد كنا نظن أن بريطانيا في القرن العشرين (عصر الأمم المتحدة) . وعصر الوعي والحضارة ، واتصال الأمم بعضها ببعض ، غير بريطانيا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، ولكن بريطانيا في عصر (إيدن) كانت هي بريطانيا في عصر (فيكتوريا) . إن عصر القوة لن يدوم ، ولا يدوم إلا عصر الأخوة والتعاون . وقد رأيت الحكومة العربية السعودية سحب سفيرها من لندن احتجاجا على هذا الاعتداء الصارخ ، ورفض جلالة الملك قبول السفير الجديد . وبعد بضعة أشهر وصلت بعثة من بريطانيا ، يرأسها مستر «باركر» مساعد وزير الدولة البريطاني لشئون الخارجية ، ولكن هذه البعثة بامت بالخطية : ما عدا قبول

السفير البريطاني الجديد الذى قدم أوراق إعتماده . أما مسألة (البريى) فقد أبى الوفد البريطانى أن يبيعها ، وقد رفض أن يشار إليها فى البلاغ الرسمى ، فرفضت الحكومة العربية السعودية إصدار أى بلاغ لا يشار فيه إلى قضية (البريى) .

وفى أكتوبر سنة ١٩٥٦ بعد الاعتداء على بور سعيد ، رأت الحكومة العربية السعودية قطع علاقاتها مع الحكومة البريطانية ، تضامنا مع شقيقتها مصر . وقد جرت عدة محاولات فى بريطانيا وأمريكا وسويسرا بادت كلها باخية ، وبدلا من أن يعدد البريطانيون لإصلاح خطتهم ، احتلوا خور العديد فى صيف ١٩٥٨ ، وبنوا بها مراكز ادعوا أنها مراكز للشرطة ، لفض النزاع بين صيادى الأحماك ، وهو ادعاء غريب ، فخور العديد لم يبن به بيت منذ أكثر من سبعين سنة ، والغريب أن احتلال هذه المنطقة كان باسم (أبو ظبى) ، تلك القرية الساحلية الصغيرة التى لا يتجاوز سكانها بضعة آلاف نسمة ، والمنطقة المختلف عليها يدها وحضرها ، تدين بالأمن الذى سادها للمرحوم « عبد الله بن جلى » ، وولده أمير المنطقة الشرقية الحالى ، الأمير « سعود ابن جلى » .

وإن شيخ (أبو ظبى) نفسه ، الذى تحاول الحكومة البريطانية أن تضم إلى أراضيه أراض يعجز عن حمايتها ، بل عن حماية نفسه فى بلده ؛ يعرف هذه الحقائق كل من عرف الخليج وشيوخه ، وكل من وقف على تاريخ الخليج وصلته بنجد فى الثتى سنة الماضية . أصالح الله حال العرب والمسلمين ، وبصرم بمصالحهم ؛ إن خيرهم فى تعاونهم ، وقوتهم فى اجتماعهم ، والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل .

لقد كان ابن سعود صديقا وفييا لبريطانيا ، لم تززع صداقته أحداث الزمان ، بل بقى ثابتا كالطود ، ولا سيما فى الأيام السود التى مرت على بريطانيا فى الحرب الثانية ، ولكن بريطانيا لم تراع هذه الصداقة ، ولم تترك مجالا لأصدقاء الفريقين لتقريب شقة

الخلافاً ، وصداقة الدولة السعودية خير ألف مرة من صداقة شيخ (أبو ظبي) ، ولعلنا نجد من بعض رجال بريطانيا ، أمثال كوكس ، ولانسليت أوليفانت ، وكلايتون ، وجورج رندل ، ممن حباهم الله بعد النظر والحكمة ، من يعالج مشكلة الحدود ، فقد تغلب هؤلاء على مشاكل كان يُظن أنها مستعصية ، وغير قابلة للحل .

ولقد طلبت الحكومة العربية السعودية من سكرتير هيئة الأمم المتحدة (ستر همرشولد) أن يبذل جهده لتقريب شقة الخلاف بين الفريقين المختلفين ، وهما من أعضاء الأمم المتحدة ، حتى يسود السلام والأمن في هذه المنطقة ، ونرجو أن تكفل مساعيها بالنجاح ، وتعود صلات المودة بين الحكومة العربية السعودية وبريطانيا ، تلك المودة التي كان يرعاها ويحافظ عليها الملك الراحل ، عبد العزيز العظيم ، والتي حاول الملك سعود أن يسير فيها على خطا والده ، ولكن ستر «إيذن» بتصرفه غير الحكيم : قضى على الأسس المتينة التي قوتها السنون ، كما قضى على الثمر الطيب الذي لبريطانيا في الشرق الأوسط ، بالاشتراك مع إسرائيل عدو العرب والمسلمين ، في الاعتداء على بور سعيد .

العلاقات الخارجية

الملكمة العربية السعودية والعراق

لم تكن هنالك حدود بالمعنى الدولى المتعارف ، بين نجد والعراق ، فعشائر نجد يرتادون بادية العراق إذا قل المطر في ديارهم ، وكذلك العشائر الساكنة في العراق ترتاد بادية نجد ، وتمتاز من مدن العراق المتاخمة لها . وفي الحقيقة إن أكثر العشائر المعروفة اليوم في العراق ، هي عشائر نجدية ، رحلت إلى العراق وسورية ونجد كعزّة ، وبعضها يسكن العراق وشمال نجد كشمّر .

والحدود النجدية تمتد أو تقصر بقوة الحاكم ، وامتداد سيطرته . يقول المرحوم الملك « عبدالعزيز » : إن السير « برسى كوكس » في أول اجتماع معه في المُقير ، حاول أن يغريه بإعلان الحرب على الأتراك ، وأن بريطانيا تساعد بالمال والسلاح ، ولكنه اعتذر عن ذلك ، بأنه مادام « ابن رشيد » في نجد ، فإنه لا يستطيع أن يقوم بدور فعال ، ولكن الشريف حينئذ يمكن أن يقوم بهذا العمل ، ولا سيما أن أبناءه عليّاً وفيصلاً وعبد الله ، كانوا متصلين بالعالم الخارجى ، وسأ كفيمكم أنا « ابن رشيد » ، فإنه سينضم إلى الأتراك لاحتالة ، فوافق السير « برسى كوكس » على ذلك ، ويقول المرحوم الملك « عبد العزيز » : إن « كوكس » قد أعطاني القمر بيد ، والشمس بيد أخرى .

ولذلك كانت دهبته عظيمة عند اطلاعه على معاهدة الحُمرة ، وهي المعاهدة التي

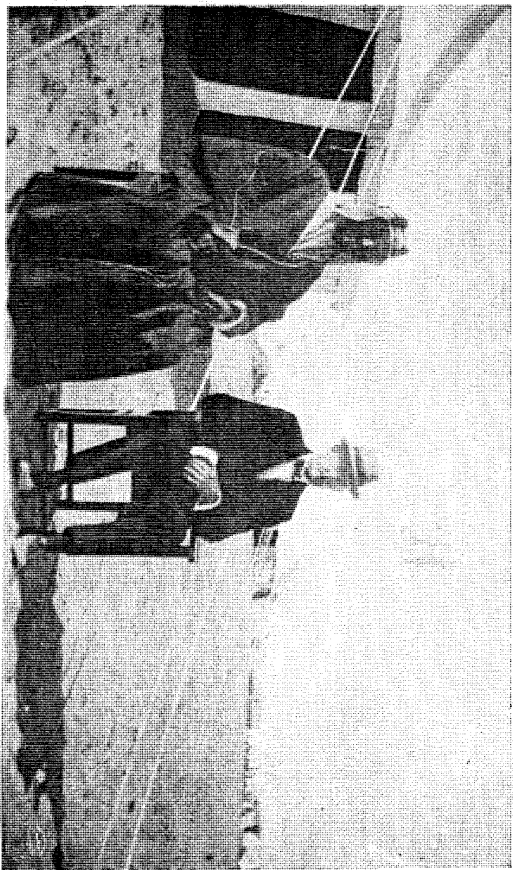
قام بالمفاوضة فيها الدكتور عبد الله الدملوجي وأحمد الننيان .

لقد كان السلطان «عبد العزيز» يعتقد أن حدوده تمتد إلى الفرات ، لأن الفرات هو الحد الطبيعي للبادية ، ولذا غضب على مندوبيه ، وأخبر الحكومة البريطانية بأنه لا يوافق على هذه المعاهدة ، وأنه يعتبرها نقضا لما تعهد له به السير «برسي كوكس» .

بإزاء ذلك رأت الحكومة البريطانية أن توفد إليه السير «برسي كوكس» . فوصل إلى العقير في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، ومعه من العراق صبيح بك نشأت وزير المواصلات والأشغال العامة ، وفهد بن هذال شيخ عترة ، إحدى العشائر التي كان يطالب بها ابن سعود ، وبعد مفاوضات طويلة ، وضع الفريقان ملحقين لاتفاقية المحمرة ، فيها بعض التعديل ، وأخذ ببعض وجهات نظر ابن سعود ، وقد سمي هذان الملحقان ببروتوكولي العقير ، أمضيا في ٢ ديسمبر ١٩٢٢ .

أمضى ابن سعود هذين الملحقين ، إرضاء للإنكليز ، لأنه لا يريد أن يخسر صداقتهم ، وقد ازداد الأشراف قوة بتعيين فيصل ملكا على العراق ، وعبد الله أميراً للأردن .

وفي نفس هذا المؤتمر حددت الحدود بين الكويت ، ونجد أيضا ، وقد أَرْضَى البريطانيون «ابن سعود» بضم قرية إلى حدود نجد ، وقد كان يطالب بها شيخ الكويت . وقد نشرت هذه المعاهدات مع غيرها من المعاهدات في كتيب طبع بمكة . غير أن الأمن لم يستقر في شرق الجزيرة ، فقبائل مطير على الأخص ، بقيادة (فيصل اللويش) ، استمرت في غاراتها على بادية العراق والكويت ، واستمرت المغامرات الكثيرة التي كان يرجع بها إلى دياره ، فاستقر ذلك عشائر العراق أيضا ، إلى الاعتداء على بادية نجد ، وأخذ النهب والسلب ، طريقه من الجانبين . وقد رأت الحكومة العراقية أن تبنى مخافر على حدودها ، إتقاء لشر البادية ، فاعتبر ابن سعود هذه المخافر



جلالة الملك الراحل والسير برسي كوكس في العقير (الخليج العربي) الميناء السعودي عام ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م

حصونا شيدت للاعتداء على نجد ، وكيف يحسن الملك عبد العزيز الظن بالعراق وعلى رأسها فيصل بن الحسين ؟

والذا أمطر ابن سعود الحكومة البريطانية وإبلا من الاحتجاجات ، من طريق البحرين وبغداد ، ومصر ، وكنت أقوم بهذه السفارة ، منتقلا من الكويت إلى بغداد ، إلى مصر ، ولكن بدون جدوى . ولقد حاول السير « برسي كوكس » أن يجتمع الملكان : (فيصل وعبد العزيز) ولكنه لم يوفق .

والحقيقة التي لامراء فيها ، أن العراق كان يرفض تسليم الغزاة إذا لجأوا إليه ، مع اتفاق الفريقين على أن الغزو جريمة يجب أن يعاقب القائمون بها ، والكتب المتبادلة بين الملك عبد العزيز والسلطات البريطانية ، تبين مقدار ما كان يشعر به من قلق .
وبتسليم (فيصل الدويش) في سنة ١٩٣٠ واجتماع الملك « عبد العزيز » مع الملك « فيصل » على إحدى البوارج الإنكليزية ، قد خفت حدة التوتر ، وأصبح الملكان يتبادلان الرسائل الودية والهدايا ، من وقت لآخر .

وفي سنة ١٩٣١ عقدت معاهدة صداقة وحسن جوار بين الفريقين ، كما عقدت اتفاقية لتحكيم بين الحكومتين ، واتفاقية لتسليم المجرمين أيضا ، وهي التي كانت تهتم بها الحكومة العربية السعودية ، وكانت الأسس قد وضعت في مؤتمر الملكين ، انتهى عُقد في السنة السابقة .

وهذه المعاهدات قد صُنِّت الجويين البلدين المتجاورين . ولقد حاول الملك عبد العزيز أن يقوى روابطه بالعراق ، فأمرني بالمرور بالعراق ، والبقاء به مدة تسمح لي بالإتصال برجال العراق البارزين ، حاكمين أو غير حاكمين .

كان يرأس الحكومة في ذلك الوقت « السيد علي جودت الأيوبي » ، ونوري السعيد كان على رأس وزارة الدفاع .

دار البحث بيني وبين رجال العراق على المسائل الآتية :

توحيد السلاح .

توحيد البريد .

لقد كان هنالك اتفاق على أسس : وتركت التفاصيل إلى لجان تؤلف من الفريقين .

ولكن لم تؤلف لجان ، ولم يتم شيء ، وقد صدق المرحوم « بس الماشي » إذ قال : إن كلامنا كثير ، وعملنا قليل ، لا نتخذ بكل ما نسمع ، إن آمالنا عظيمة ، وأعمالنا قليلة . وقامت ثورة ١٩٣٦ بقيادة « بكير صدقي » ، وانتهت بمقتل « جعفر العسكري » وزير الدفاع ، وسقوط الوزارة العراقية ، وفرار أعضائها . وقد أراد بكير صدقي إزالة بعض الجفاء مع جاره الملك عبد العزيز ، فدعت الوزارة الجديدة ولي عهد المملكة العربية الأمير سعود (الملك سعود) فزار العراق في ربيع ١٩٣٧ ، وقوبل بحفاوة بالغة من « الملك غازي » ، ومن وزرائه ، ومن الشعب العراقي .

وقد تركت هذه الزيارة أثرا حسنا في نفس الملك عبد العزيز وولي عهده ، وقد رافقت سمو الأمير « سعود » في هذه الزيارة .

وقد استدعت الحكومة العربية السعودية وزيرها المتفوض « إبراهيم بن معمر » ، لأنه لم يكن موقفه ديا مع الحكومة القائمة في ذلك الوقت ، وقد سبق أن اشتكت إحدى الحكومات السابقة منه ، ولكنني سويت الموضوع مع « نوري السعيد » في أثناء زيارته للندن .

لقد كان مقتل « جعفر العسكري » صدمة عنيفة « لنوري السعيد » ، وكان يتهم الملك غازيا وبكير صدقي بقتله ، وكان يقسم أغلظ الأيمان أنه لن تنام له عين حتى يأخذ بثأر جعفر منهما ، وقد كتب للملك « عبد العزيز » يعرض عليه الاتحاد بين العراق ونجد على



الأمير سعود (الملك الحالي) عام ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م



الأمير سعود (الملك الحالي) والملك غازي (ملك العراق) عام ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٧ م

أن يكون الأمير «فيصل» نائباً له في بغداد ، وعلى أن تكون الإدارة في العراق ممتدة عن إدارة نجد . ولكن الملك «عبد العزيز» لم يُلقَ بالأشكال هذه المقترحة ، لأنه يعلم علم اليقين ، أن وراء العراق الإنكليز ، وما داموا لم يفتحوه بأمر خطير كهذا ، فإنه لا يشغل باله بالتفكير في موضوع خطير مثله .

وفي الوقت نفسه لا يرى من الحكمة أن تسوء علاقته بالحكومة العراقية ، بسبب مشروع خيالي . ويجدر بالذكر أن جلالة الملك «عبد العزيز» كان يفرح نوري بعبقته ، ومساعدته في محنته ، كما كان يفرح بعبق ومساعدة كثيراً من زعماء العرب السوريين والبنانيين .

على أن العلاقة بين العراق والمملكة العربية ، كان يسودها التوتر بين حين وآخر ، بسبب حركات العشائر .

وفي غضون سنة ١٩٣٩ وأوائل سنة ١٩٤٠ فر عدد كبير من قبيلة شمر إلى العراق ، وكان الملك «عبد العزيز» يحسب ألف حساب لشمر ، فهم جماعة «آل رشيد» حكام نجد الشمالية السابقين ، والذين لا يزالون يحملون باسترجاع سيادتهم على المناطق الشمالية . وهو يعلم أن الأشراف في العراق يحتضنون شمر ، كي يستعملوا أداة في الوقت المناسب . لقد كثرت المراجعات مع الحكومة العراقية ، وكان الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية في بغداد السيد «حمزة غوث» ، ويظهر أنه لم تكن علاقته طيبة مع نوري السعيد ، ونوري في ذلك الوقت كان رئيس الحكومة العراقية ووزير الخارجية .

فرأى جلالة الملك «عبد العزيز» أن يوفدني إلى العراق ، بعد أن آتممت معاهدة الكويت والمملكة العربية السعودية .

وصلت إلى بغداد في مارس ١٩٤٠ ، فدعاني نوري السعيد إلى الضياء ، ووجدت منه روحاً ودياً طيباً ، ورجا مني أن أتعاون معه لحل المسائل المتعلقة مع الحكومة العربية ، ولكنني لم أجد ترجاباً ولا تعاوناً صادقا من وزير السعودية المفوض ، فالبرقيات يتأخر وصولها

إلى ، فرأيت أن أستقل بالعمل ، بالرغم من أن ذلك قد يكون اعتداء على حق المندوب السعودي .

وجدت أن أفضل طريقة أن أقابل نوري في بيته صباحا ، وهو يقابلني في الفندق ليلا ، فاتفقنا معا على أن نساfer إلى حيث يوجد جلالة الملك ، وفي ثلاثة أيام يمكننا أن نحل جميع المسائل الملقة ، وهذا خير من الجدل ، ومن البرقيات الكثيرة التي أرسلها كل يوم . ولكن في صباح بعض الأيام ، أخبرني بأنه لا يستطيع أن يسافر إلى نجد ، ويترك رشيد عالي هنا ، لأن رشيد عالي ألماني ، ويخشى أن يفسد الجوفى أثناء غيابه ، ورشيد عالي كان يشغل رئاسة الديوان ، وسمعت من السفارة الإنجليزية ما يؤيد ذلك . لقد تحققت أن هذه خطوة جديدة للمدول عن رأيه الذي اتفقنا عليه ، ولكنني لم أياأس ، فاتصلت برشيد عالي في مكتبه ، وفي بيته ، وأقنعتة بالسفر معنا ، ليكون خير وسيط ومعين ، لحل المسائل الملقة ، ولإزالة الجفوة بين البيتين الحاكمين ، فقبل بعد استشارة الرسمى الأمير عبد الإله .

وقد دهش نوري والإنكليز معا ، من تمكني من إقناع رشيد عالي ، وهنا طرأت مشكلة أخرى ، وهي أن نوري يصمر على السفر بطائرة بريطانية ، لأنه لا يثق بالطائرات العراقية .

فسميت إلى البريطانيين في بغداد ، وقد كان بيني وبين القائم بالأعمال صداقة قديمة ، حينما كان في وزارة الخارجية بلندن ، فوعدونا بطيارة ستصل قريبا من القاهرة . وقبل أن تصل الطائرة استقالت وزارة نوري السعيد ، وألف رشيد عالي الوزارة الجديدة ، وتولى نوري وزارة الخارجية ، وقد أخبرني نوري قبل وصول الطائرة ، أنه لن يسافر مع رشيد عالي ، ولكنه مستعد للسفر وحده بمجرد وصول الطائرة .

فاستعنت بالجبرال « طه الهاشمي » ، وكان يشغل وزارة الدفاع ، وهو صديق لرشيد

عالى ، وقلت له : إن أخانا رشيدا في إمكانه أن يساعدنا الآن أكثر من قبل ، فهو يشغل وزارة الداخلية ، بجانب رئاسة الحكومة ، وأن أشغاله الآن كثيرة ، وأعلم أنه بعد العدة لمواجهة مجلس الأمة ، وليس من المصلحة أن أصر على سفره الآن ، والقرص كثيرة للاجتماع بجلالة الملك «عبد العزيز» .

وفي اليوم الثاني أخبرني السيد «طه الهاشمي» : أن السيد رشيد عالي يشكرني ، وأنه كان ينوى الاعتذار عن السفر : للأسباب التي ذكرتها ، وهو سيمطى نوري سلطة غير محدودة ، وتفويضا كاملا لحل المسائل الملقة ، وأن من مصلحة العراق أن يشعر جلالة الملك أن العراق لا مصلحة له في إيواء شمر أو غيرها من القبائل .

وبعد بضعة أيام وصلت طائرة بريطانية من طائرات نقل الجنود ، فسافرنا عليها من بغداد إلى مطار الشَّيْبَةِ ، ثم إلى البحرين : حيث تغدينا مع الشيخ عبد الله ابن عيسى آل خليفة ، ثم نزلنا في الصحراء ، في مكان يدعى روضة التُّهَات .

وبعد ثلاثة أيام في مفاوضات كان يسودها روح المودة ، حُلَّتْ جميع المسائل الملقة ، حلولا رضى الفريقان عنها . ولقد سرَّ جلالة الملك عبد العزيز سرورا لا يقدر من زيارة نوري السعيد ، كما سر من حل المسائل التي كانت تشغل باله ، ولقد قال لى رحمه الله وهو يقدم لى ساعة ذهبية فاخرة ، وسيفا وخنجرا ، وصُرة من النقود الذهبية : يا حافظ ، والله لو كان عندي أكبر نيشان أو أكبر لقب لمنحتك إياه ، ولكن هذا ما عندنا نقدمه لك .

فأجبت : يا جلالة الملك . هنالك شيء أكبر مما ذكرت ، وبما منحتني . قال : ماهو ؟ قلت : رضا الله ثم رضاك .

فقال : أما رضاى فإله يعلم أى راض عنك : وأما رضا الله فنسأل الله أن يرضى

عنتك وعن الجميع . سم قال : إن السيد حمزة قد عزلته عن العراق ، لأنه ليس بكفء ، لأنه كان ينقل إلى أخبارا تحمقت من كذبتها ، ويظهر أن نوري في أثناء أحاديثه الخاصة مع جلالة الملك ، قد لزمه وشكا من سلوكه غير الودى فى العراق .
وفىا بلى نص المذكرة الذى نشر بعد انتهاء المناقشات :

مصر فى ٥ ربيع الأول ١٣٥٩ الموافق ١٣ أبريل ١٩٤٠

مذكرة

تشرف المفوضية بإهداء تحياتها إلى المفوضية العربية السعودية ببلندن ، وتقدم إليها نسخة من محضر الاتفاقية ، الذى أسفرت عنه المباحثات التى جرت بين ٢٦ - ٢٨ صفر ١٣٥٩ - الموافق ٤ - ٦ أبريل ١٩٤٠ ، ووقعه ممثلا المملكة العربية السعودية والمملكة العراقية . وقد أذيع فى صحف مصر والعراق يوم ٣ ربيع الأول ١٣٥٩ الموافق ١١ أبريل ١٩٤٠ .

والمفوضية تشرف بتقديمه للإحاطة والنشر ، حسب الأمر العالى من الرياض -
مصر فى ٥ ربيع الأول ١٣٥٩ الموافق ١٣ أبريل ١٩٤٠

أصدرت الحكومتان السعودية والعراقية البلاغ الرسمى الآتى :

فى أثناء الزيارة التى قام بها الوفد العراقى برئاسة صاحب الفخامة السيد نورى السعيد ، وزير خارجية الحكومة العراقية ، بين (٢٦ - ٢٨ صفر ١٣٥٩ الموافق ٤ - ٦ أبريل ١٩٤٠) دارت بين الفريقين مباحثات متتابة ، تتعلق برغبة حكومتيهما الصادقة ، فى تعزيز وتوسيع الروابط الودية والأخوية ، الموجودة بفضل الله تعالى بين المملكتين الشقيقتين ، وتبذلت فى أثناء تلك المباحثات وجهات النظر ، والآراء المتعلقة بسياسة الفريقين الخارجية ، وظهر على صورة جليلة ، أن سياستهما مستمدة

من روح الإخاء والتعاون والتفاهم ، المثبتة في معاهدة الأخوة والتحالف المنعقدة بينهما في (١٠ المحرم سنة ١٣٥٥ - الموافق ٢ نيسان ١٩٣٦) ومن الرغبة في جمع شمل الأمة العربية ، وتوحيد كلمتها ، وحل القضايا المعلقة بين المملكتين بروح المودة والصداقة ، وتنظيم التعاون العام بين سلطاتهما ، المنصوص عليها في معاهدة الصداقة وحسن الحوار المنعقدة في (٢٠ ذى القعدة ١٣٤٩ الموافق ٧ نيسان ١٩٣١) .

وتأييدا لما تقدم ، وتحقيقا لتعزيز صلات المملكتين الودية ، وتوسيع نطاق تعاونهما في خدمة العرب ، فقد تم الاتفاق على حل قضايا عاشر الحدود المعلقة بينهما ، على الأسس التالية :

أولا :

(أ) يعين كل من الفريقين موظفي حدود في مناطق الحدود . التي تكثر فيها الحوادث الخلة بالأمن ، والتي يُضيق عليها فيما بعد .

(ب) يخول موظفو الحدود للشار إليهم في الفقرة (أ) سلطة تامة في الأمور التالية :

- ١ - معالجة وحسم كافة القضايا المتعلقة بالأمن على حدود المملكتين ، ضمن منطقة عمقها ٣٠ كيلومترا ، على جانبي كل من خط الحدود .
- ٢ - اتخاذ التدابير للتفتيش للحيلولة دون قيام أى شخص من رعايا الفريقين ، بأى عمل من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بين المملكتين (ومن ضمن ذلك القيام بالدعاية ضد أحد الفريقين) .

٣ - معالجة قضايا الإبل المفقودة أو المسروقة ، على صورة سرية ، ومنح كافة التسهيلات الممكنة للأشخاص المختصين ، الذين يبحثون عنها : من

رعاة وقصاصين وغيرهم ، سواء أكانت تلك الإبل عائدة للحكومة أم للأهالي .

٤ - التعاون على تبليغ رعايا الفريقين أوامر حكومتهم .

ثانيا :
١

(أ) يبعد إلى الحدود النجدية ، ويتمنع من الإقامة والرعى في الأراضي العراقية ، الواقعة على حدود المملكتين ، أفراد عشيرة شمر نجد ، الذين نزحوا إلى العراق في خلال الخمس السنوات الأخيرة . ويستثنى من ذلك الأشخاص الذين توافق الحكومة العربية السعودية تحريرا على بقائهم في المنطقة المذكورة ، للرعى والامتياز .

ويمنع بعد هذا نزوح أفراد العشيرة المذكورة ، على صورة وفتية أو دائمة ، من نجد إلى هذه المنطقة ، إلا بموافقة الحكومة العربية السعودية على ذلك تحريرا .

(ب) يمنع أفراد عشيرة الظفير ، الدهامشة ، ممن يختارون تابعة للمملكة العربية السعودية ، من الإقامة والرعى في المنطقة المذكورة ، إلا بموافقة الحكومة العراقية على ذلك تحريرا .

نورى السعيد

فصيل

وزير خارجية المملكة العراقية

وزير خارجية المملكة العربية السعودية

على أن مشاكل شَرَّ لم تقف عند هذا الحد ، بل كانت دائماً تخلق جوا مشوبا بالشك ، ولـكن عقلاء الجانبين كانوا يتغلبون على جميع الصعوبات .

ولرغبة الملك «عبدالعزیز» فی صناء الجو مع جيرانه ، كانت لاتفوته فرصة للجمالة . ففي يوم تولى الملك « فيصل الثاني » ملك العراق سلطانه ، وكذلك حسين ملك الأردن ، أرسل ولي عهده إلى العراق ، وأحد أبنائه إلى الأردن ، ومع ذلك لم يحامل العراق العائلة السعودية يوم وفاة الملك العظيم «عبدالعزیز» ، وقد جاملت جميع البلاد العربية المملكة العربية السعودية ، وكان أول من قام بالتعزية الحكومة المصرية ، قام الرئيس «عبد الناصر» على رأس وفد ، لتقديم التعزية للملك سعود ؛ فكانت مجاملة كريمة .

إننا نكتب للتاريخ ؛ وقد أصبح أكثر من ذكرناهم في ذمة التاريخ ، أصلح الله العرب ؛ وأرشدنهم إلى خير بلادهم ؛ فزعم في تضامنهم ، وقوتهم في تعاونهم ؛ ولن ينال منهم عدوهم ماداموا بالحق متمسكين ؛ (ولينظرَنَّ الله من ينصره ؛ إن الله لقوى عزيز) .

نجد وشرقي الأردن

لم يكن لشرقي الأردن كيان مستقل ، قبل وصول الأمير «عبد الله» إليها في سنة ١٩٢٠ ؛ بل كانت تلك المنطقة قطعة من سورية ؛ وكان الملك حسين يعتبر سرورية والعراق قسما من إمبراطوريته . ولما احتل الفرنسيون سورية ، وطردوا الملك فيصل منها ؛ أرسل ولده عبد الله إلى تلك المنطقة ، لتحرير سورية ؛ ولذلك انضم إلى الأمير «عبد الله» عدد غير قليل من أحرار العرب ؛ وبالطبع لم يكن في إمكان الملك حسين ؛ ولا الأمير عبد الله تحرير سورية ؛ ولذلك بقى الأمير في «عمّان» ؛ وأسس لنفسه إمارة ، ثم ملكة ؛ بعدما رأى شقيقه «فيصلا» يتبوأ عرش العراق ؛ الذي كان يعتقد أنه نصيبه من التركة التركية .

لندورث «عبدالله» من والده وأسلافه كراعية «آل سعود»؛ والملك «عبدالعزیز» بخاصة. لقد ذاق عبد الله مرارة الهزيمة في تربة سنة ١٩١٩، تلك الهزيمة التي كسرت العمود انتفري للجيش الهاشمي.

وقبل الأمير «عبدالله» الانتداب البريطاني الذي فرض على فلسطين، ووضع بجانبه مستشار إنكليزي؛ ليراقب الحالة السياسية والاقتصادية في تلك المنطقة، وقد يكون للإنكليز فضل كبير في منع النفوذ اليهودي من الوصول إلى شرق الأردن، فلم يسمحوا ببيع الأراضي لليهود؛ كما سمحوا بها في فلسطين.

وكان أول احتكاك بين أمير شرق الأردن و«ابن سعود»؛ هو اعتداء الأمير «عبدالله» على «قريات الملح» وقريات الملح كانت دائماً تتبع الجوف، ولم يسمع أن الأتراك احتلوا هذه المنطقة من قبل.

وضاق «ابن سعود» ذرعاً بهذا الاعتداء، فهو يخشى إذا حاول استردادها بالقوة؛ أن يصطدم مع الإنكليز؛ وهو لا يريد أن يزداد أعداؤه، أو يزداد الأشراف قوة بمساعدة الإنكليز لهم.

واحتج على تصرف عبد الله بالكتابة والقول؛ حين اجتمع مع السير «برسي كوكس» في ديسمبر ١٩٢٢.

ولقد ثارت ثائرة الإخوان النجديين لهذا الاعتداء، لا سيما عترة، فانخذوها ذريعة؛ فسكثرت غاراتهم على أعراب شرق الأردن؛ وربما كانت أكبر غارة لهم تلك الغارة التي أشرفوا فيها على عَمَّان، ولولا الطائرات والدبابات البريطانية؛ لتمكنوا من احتلال عَمَّان.

ولكن الشيء الذي يؤسف له؛ أن غارات الإخوان النجديين لا تخلو من قسوة على الأبرياء، من قتل ونهب للأموال.

غير أن حكمة ابن سعود ، قد تغلبت أخيرا على طيش عبدالله ، ففي ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ تمكن من استردادها ، بعد مفاوضات طويلة مع الجنرال كليتون ، وفي نفس الوقت حددت الحدود بين نجد وشرقي الأردن .

وفي ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ حددت الحدود بين الحجاز وشرقي الأردن ، بصورة مؤقتة ، على أن حالة الأمن على حدود البلدين كانت دائما مدار نزاع ، فعشائر البلدين كانت تنتهز الفرص للاعتداء على الأخرى .

وقد اضطرت الحكومتان في سنة ١٩٣١ إلى قبول حكم بريطاني ، للنظر في دعاوى الفريقين ، وقد رأت وزارة الخارجية البريطانية ، أن يتنازل كل فريق عن دعاويه ، بالنظر إلى صعوبة التحقيق ، والتحقق من صحة ادعاء كل فريق .

ورأى الفريقان بعد ذلك ، أن اضطراب الأمن على الحدود لا يفيد إلا أولئك الجرمين ، فعمدت معاهدة صداقة وحسن جوار في يوليو سنة ١٩٣٣ ، وتلتها معاهدة تحكيم على نمط معاهدة التحكيم العراقية ، ثم عدد من الملحقات في تبعية العشائر ، وفي العقوبات التي يجب أن تلحق بالجرمين ، ولأول مرة تعترف الحكومة العربية السعودية بعوائد البادية في الدية ، فتتص على أن الدية عشر نياق ، بين الشنية والرابع ، مالم تقض العادة بفسير ذلك .

وقد وضعت الترتيبات التي وضعت بعد ذلك ، حدا لعقوبات البادية . وبعد أن أعلن الأمير عبد الله نفسه ملكا على الأردن ، تبادل الفريقان التمثيل السياسي بينهما .

إن نجاح الحكومتين في كبح جماح البادية كان عظيما ، ولكن الملك عبدالله كان كثيرا ما يتعرض لشخص الملك عبد العزيز ، بالقول والكتابة ، فرماه في مذكراته بالكفر ، ووصفه بأنه نهاب سلاب ، مع شهادة جمهرة المسلمين بأن البلاد المقدسة لم تتمتع بالأمن

والعدل ، مثلما تمتعت بهما أيام الملك عبد العزيز ، ولكن الملك ، عبد العزيز لم يشأ أن ينال من الملك عبد الله ، مع كثرة ماله من وثائق تحط شأن الملك عبد الله ، لأن الملك عبد الله زعيم عربي ، والنيل من كرامته وشرفه النيل من العرب ، وإضعاف لشأنهم . ولقد أبى أدب مستر جرايغر المشرف على الترجمة الإنكليزية لمذكرات الملك عبد الله ، أن يقر السباب والنيل من كرامة ملك عظيم مثل الملك عبد العزيز . ولكن المستر فلي في كتابه : خمسون عاما من حكم الملك عبد العزيز ، أبى إلا أن ينقل في كتابه هذا عن الأصل العربي لمذكرات الملك عبد الله ^(١) ، سياب الملك عبد الله ، في أخيه الملك عبد العزيز ، واعتبر ذلك من الأمانة في النقل .

وبهذه المناسبة نذكر من الخلق العظيم ، والرجولة التي يتمتع بها الملك عبد العزيز ، أن أحد الأشراف جاء بهنثه باغتيال الملك عبد الله ، فنهزه وطرده من مجلسه ، ووصفه بالخسة والنذالة ، وقال : هل أشمت بموت عبد الله ؟ وهل يشمت عاقل بموت الناس ؟ لا يشمت إلا الجبان الرعديد ، إن اغتيال الناس مهما كان سببه ليس من الرجولة ، ولا من البطولة ، بل هو نوع من الخبل ، ولا يشجع عليه إلا رجل تنقصه الشجاعة والرجولة .

سلطان نجد والملك فؤاد

لقد كانت آمالي أن أرى الحجاز ومصر متعاونين ، جنباً إلى جنب ، فصر تستطيع أن تمتد الحجاز بالمعلمين والأطباء والخبراء الماليين والإداريين وغيرهم ، وإذا قامت مصر بهذا الواجب ، فإنها تسد خيراً للإسلام والبلاد المقدسة . لقد كان أهل نجد ، ولا سيما أهل العارض ، يحملون مصر والمصريين تبعاً لحملة إبراهيم باشا ، وتدمير الدرعية ، عاصمة

(١) مع أن الناشر الإنكليزي لمذكرات الملك عبد الله ، تنف من نقل هذا الإسفاف الذي لا يليق أن يصدر من أمير ينتسب إلى الدعوة الهاشمية .

آل سمود الأولى ، ولكن مصر تبرا من هذه الجريمة التي أملتها مطامع محمد على ، وحقد الأتراك ، وجهاهم بالإسلام ، والمصريون براء من آثام محمد على ، فأحييت أن أبرهن عمليا أن مصر لا تتحمل أوزار حكامها السابقين .

أردنا أن نبدأ عهدا جديدا من الإخاء بين سلطان نجد وملك مصر ، فأرسلنا برقية من الرياض بطريق البحرين ، لتهنئة ملك مصر بعهد الشورى ، بمناسبة افتتاح أول برلمان مصرى فى سنة ١٩٢٤ ، ثم أرسلنا من مكة رسولا خاصا إلى مصر ، فى أوائل سنة ١٩٢٥ هو المرحوم الدكتور عبد الهادى خليل ، طبيب التكية المصرية ، حملناه تحية سلطان نجد وقامح مكة ، ورجونا من ملك مصر أن ينظر إلى الحجاز وهو يعانى مايعانى من الضيق ، نظرة كريمة ، فيرسل إلى أهله شيئا من أوقاف الحرمين ، لإعانة المستحقين من أهلها ، ولكن الرسول رجع يحمل أطيب الأمنيات والتحيات المباركات . كما أوفد ملك مصر الشيخ المراغى وعبد الوهاب طلعت إلى سلطان نجد ، للتوسط فى الصلح بين سلطان نجد والملك على ، ولقد رأى عظمة السلطان أن يوفدى إلى مصر ، للاتفاق معها على تسهيل وسائل الحج من طريق رابغ ، لأن الشريف على بن الحسين كان لا يزال بجدة ، فسافرت إلى مصر من طريق رابغ ، فوصلت إليها فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٥ ، وقد استولت الجنود النجدية على المدينة قبل وصولى إلى مصر ، فكان ذلك فاتحة خير ، وبشير سرور .

وصلت إلى مصر فقابلت الملك فؤادا فى ١٩ ديسمبر ، وأبلغته ما حملنى سلطان نجد من أطيب الأمنيات والآمال لمصر وملك مصر ، وأنه يمد يده للتعاون مع أخيه ملك مصر ، وأنه إذا كان ملك مصر يرغب فى تحمل أعباء الخلافة ، فسلطان نجد يسره أن يرى ملك مصر خليفة للمسلمين ، إذا وافق المسلمون على ذلك ، وهو أول من يوافق على ذلك كزعيم من زعماء المسلمين .

فارتاح الملك فؤاد لذلك ، وقال : إني لأرغب في الخلافة ، فقد عرضها على سعد باشا ، ولكنني رفضت ، ثم أشار إلى جميع ملوك وسلاطين المسلمين ، وغز كل واحد منهم بما يبعده عن الخلافة ، إما لنشيعه كشاذ إيران وإمام البين ، وإمالأته وحابي ، أي متطرف ، فكان ذلك إشارة خفية إلى أنه أحق الملوك المسلمين بالخلافة .

وقد قدمت إلى ملك مصر الكتاب الذي زودني بإياه السلطان عبد العزيز ، والذي أعطاني بموجب الصلاحيه اللازمة للمفاوضة مع الحكومة المصرية ، في كل ما يتعلق بشئون الحج ، وتسهيل وسائله . وقد انتهت المقابلة بعد أن أكد لي جلالتـه بأنه سيخبر رئيس الحكومة ووزير الداخلية لتسهيل مهمتي ، وكان يرأس الحكومة المصرية في ذلك الوقت أحمد زيور باشا ، فقابلته وقابلت وكيل الداخلية ومدير الإدارة العام مراد محسن باشا ، ووجدت منهم جميعا روحا طيبة ، ولكن مع بعض التردد ، لأن « رابع » لم يسبق للحجاج استعمالها ميناء للحج .

وفي ٢٠ ديسمبر وصلتني هذه البرقية من عظمة السلطان :

مصر حافظ

جدة سلمت بدون قتال في يوم السبت ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ - ٢٠ ديسمبر

الإمام عبد العزيز

. ١٩٢٥

وفي ٢٢ ديسمبر وصلتني البرقية التالية ، وكانت جوابا على تهنئي الخاصة ، وتهنئة عدد كبير من كبار المصريين .

مصر حافظ كو تنتال

نشكركم والشعب المصرى على تهنائكم . ونسأله تعالى المعونة والتوفيق لما فيه الخير والصلاح للعباد والبلاد . الأحوال مطمئنة ، والأمور منتظمة فوق ما تؤملون .

سلطان نجد عبد العزيز

وفى ٨ يناير ١٩٢٦ وصلت إلى البرقية الآتية :

الشيخ حافظ وهبة . مصر — كوتننتال

مندوب ملك الحجاز وسلطان نجد

لقد أجمع الحجازيون ، وبايعوا جلالة الإمام ملكا على الحجاز ، وسلطانا على نجد وتوابعها ، على سنة الله ورسوله والخلفاء الراشدين ، ببيعة شرعية تحت الكعبة . وقد بلغنا ممثلى الحكومات بمجدة رسميا ، وقبلنا تبريكهم . كافة البلاد بسرور وفرح عام . الوفود تتوارد من أقصى البلاد ، لتهنئة صاحب الجلالة الملك بمكة . التفصيل بالبريد .

عبد الله الدملوجى

نائب صاحب الجلالة بمجدة

لقد كان لهذا الإعلان أثر غير حسن فى القصر الملكى بمصر ، وعدوا هذا نقضا للعهد الذى تعهد به الملك عبد العزيز ، ولذلك شعرت بمحرج عظيم ، فأرسلت البرقية الآتية :

جلالة الملك . 'جدة .

أهنيء جلالتكم ببايعة الشعب الحجازى لكم . لقد سألنى ملك مصر وغيره من رجال السياسة بعد ذبوع منشوركم ، عن تنظيم الحالة فى الحجاز على مسئوليتكم : هل ألغيتم بتاتا فكرة المؤتمر ، أو لاتزالون على عهدكم الأول ؟ وما المسائل التى سيعهد إلى المؤتمر فى النظر فيها ؟ أرجو الجواب بالتفصيل ، تنويرا للأفكار ، إني مجتهد فى المحافظة على اكتساب رأى العام المصرى وحكومته ، منتظر الرد : مسافر بعد أسبوع :

حافظ

١٠ يناير ١٩٢٦

وقد أتت البرقية السابقة الكتاب الآتى ، وهو كما يرى القارىء الكريم لا يخلو من شدة ، أملتها على حرارة الشباب ، ولكن الملك عبد العزيز قابل هذا الكتاب والبرقية

السابقة بصدر واسع ، ولم يُلقَ بالا ، لما فيها من الشدة ، لأنه كان يعلم تمام العلم عظيم إخلاصى له ، وحرصى العظيم على سمعته فى الخارج .

وهذا نص الكتاب :

من حافظ وربة ، إلى صاحب الشوكة والعظمة ، الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فأرجو لكم دوام التوفيق والنجاح ، وأفيدكم بأن روتر اليوم نشر تائفرافا بأنكم ناديتم بأنفسكم ملكا على الحجاز ، فإن كان هذا الأمر صحيحا ، فقد غشكم من أشار عليكم بذلك ، لأن هذه المسألة أثارَت الرأى العام فى الخارج ضدكم ، هذا من جهة ، ومن الأخرى إنه لا ينطبق مع اليهود التى قطعتموها على أنفسكم أمام العالم الإسلامى ، وملوك المسلمين ، فى تشكيل حكومة الحجاز ، ولو تريتم قليلا لحين انعقاد المؤتمر الإسلامى ، وتقديره مصير البلاد ، لكان خيرا وأبقى ، والنتيجة كانت لكم على كل حال . ويظهر أن هنالك أيديا أثية حسنت فى نظركم هذا الأمر ، حتى تقضى على فكرة المؤتمر الإسلامى ، وتقضى فى الوقت نفسه على سمعتكم فى الخارج .

لقد دهشت جدا من هذا الانقلاب ، ودهشت بالأكثر من عدم إخبارى بشيء مطلقا يتعلق بهذا الأمر ، مع وجودى فى مهمة رسمية ، وفى بلاد متدينة ، يسأل الناس فيها عن كل شيء ، أفلا يصح أن أخبر بمثل هذا الانقلاب العظيم ؟ هل يصح أن قصل العجم فى جُدة يرسل إلى السفير هنا هذا الخبر ، وأنتم لا تخبروننى بشيء ؟ إن هذه المعاملة لأرضاهها لنفسى أبدا ، ولا أَرْضَى أن تعاملوا بها أحدا ، وعلى كل حال فأنا متوجه إليكم فى تاريخ ٢١ فى الشهر الإفرنجى ، وإذا وصلت أطلعكم على كل شيء ، وقد سحبت لكم اليوم تائفرافا بذلك ، ومنتظر الجواب على ذلك تفصيلا ، لنحيط علما بأصل الموضوع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حافظ

وقد أجاب جلالة عن البرقية السابقة بالبرقية الآتية :

مصر كوتنتال — حافظ وهبة :

ج — إعلان أهل الحجاز ملكيتنا على الحجاز صحيح ، وقد أمرنا عبد الله أفندي ليرى لكم من جدة بعض ما يلزم . أما اليهود المتكررة منا للعالم الإسلامي فلم نخالفها ، وقد دعونا العالم الإسلامي دعوات عامة ودعوات خاصة متكررة ، فلم يصلنا جواب من أحد ، في تلبية دعوتنا ، ومع ذلك إننا على استعداد لقبول آراء العالم الإسلامي في كل شأن له مساس براحة الحجاج والزوار ورفاهيتهم ، وإجراء أعمال الخير في الحجاز .

أما السرعة في أمر النداء بملكيتنا على الحجاز ، فكنت أود من صميم قلبي أن لو تأخر ذلك ، ولكن الجثونا إلى ذلك مضطرين ، فإن أهل الحجاز قاموا قومة رجل واحد ، يلزموننا قبول البيعة ، فطلبنا منهم التريث ، إلى أن يجمع المسلمون أمرهم ، فأجابونا : إنك أعطيتنا الحرية في اختيار حكم لنا ، وهذا حق لنا لا يشاركنا فيه أحد ، ونحن لا نبني بك بديلا ، ومع ذلك توقفت قليلا عن الجواب ، فبلغ أهل نجد توقفي ، فقامت قيامتهم على ، وأعلنوني أن حربهم في الحجاز ، لم تكن إلا لحفظ استقلال الحجاز ، ومنع أي تدخل أجنبي فيه ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وليعمل في هذه الديار بشرع الله وسنة رسوله ، ولتأمين الطرق ، ومنع الإلحاد في الحجاز ، وهذا ما وعدتنا إيائه ، وإن توقفت عن قبول البيعة يجعلنا نعتقد أنك لم تقا تل إلا لأغراض ، ولا تسعى لاستقلال الحجاز ، وإنك إذا لم تقبل البيعة ، فقد فعلت معصية ، ولا طاعة مخلوق في معصية الخالق .

فلما هذا الموقف الحرج ، الذي يتوقف عليه أمن الحجاز الحاضر ، واستقرار الأمر فيه ، لم أجد بُدّا من تلبية الدعوة ، فقبلت البيعة متوكلا على الله . وإنني لأزال على عهدي ، من رعاية ما للمسلمين من الحقوق المشروعة في هذه الديار المقدسة .

والله ولي التوفيق .

ملك الحجاز ، وسلطان نجد

عبد العزيز

ولقد صار حتى الملك فؤاد في زيارتي الأخيرة للوداع في ١٨ يناير ١٩٢٦ ، بأن إعلان
السلطان عبد العزيز نفسه ملكاً على الحجاز ، يعد نقضاً لكتابه الذي أرسله إلى مع
الشيخ مصطفى المراغي ، وناقضاً لكلامك الأول . وإني لأحملك أنت أية مسئولية ،
لأنك كنت بعيداً عن هذه الحركة .

وزاد الأمر تعقيداً ، أننا كنا وعدنا شيخ الأزهر ، الشيخ محمداً أبا الفضل الجيزاوي
إرسال مندوب لحضور المؤتمر الإسلامي ، للنظر في أمر الخلافة التي ألغوها الأتراك ،
وعندما وصلت الدعوة الآتية من شيخ الأزهر ، لم يرسل الملك مندوبين من قبله
لشهود هذا المؤتمر .

المؤتمر الإسلامي العام للخلافة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله محمد أبي الفضل ، شيخ الجامع الأزهر الشريف ، ورئيس المؤتمر الإسلامي
العام للخلافة بمصر .

إلى حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، حفظه الله تعالى :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد : فإني أحمد الله إلى جلالته ، وأضرب إليه أن يقيم بكم عماد الدين ، ويوحد
بكم كلمة المسلمين . وأصلى وأسلم على سيدنا محمد ، الذي أرسله الله بالحنيفية السمحة ،
وعلى آله وصحبه القُرَّ الميامين .

وأنتشف بأن أعرض على مسامع جلالته الكريمة ، أن المجلس الإداري
للمؤتمر الإسلامي العام للخلافة بمصر ، قرر في يوم الأربعاء ٢٠ رجب سنة ١٣٤٤ ، أن
توجه الدعوة العامة والخاصة إلى الأمم الإسلامية ، ليحضر ممثلوها المؤتمر ، في أول

ذى القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ ، وقرر المجلس أيضا ، كما كُتِبَ في محضر الجلسة : أن تخاطب في ذلك ملوك المسلمين ، وسلاطينهم ، وأمرأؤهم ، وشعوبهم ، وبقية شعوب المسلمين ، تعميما للدعوة الدينية ، حتى لا يكون بعض الشعوب في ناحية ، وحكامها في ناحية أخرى . وعملا بهذا القرار أرسلنا الدعوة إلى ملوك المسلمين وطوائفهم وشعوبهم ، وإلى سلاطين المسلمين وطوائفهم وشعوبهم ، وإلى أمراء المسلمين وطوائفهم وشعوبهم ، وإلى بقية الشعوب الإسلامية ، وتعميما للدعوة الدينية أيضا أرسلناها إلى جرائد العالم الإسلامي ، وابتغينا فيما عملنا وجه الله تعالى ، ونشر الدعوة على الطريقة المثلى . ومن ثمَّ يتبين لجلالتكم وجه إرسالنا الدعوة إلى بعض الأفراد الذين في ملكتكم السعيدة ، فإذا كان في هذه الاعتبارات مالا يوافق رغبات جلالته ، فشنيعنا في ذلك حسن النية ، ونبالة المقصد الديني ، ولا نرغب إلا في الاحتفاظ بخالص مودتكم ، والاعتضاد بجلالتكم ومكاتبتكم السامية في المسلمين ، حتى يتم لهم التعاون على البر والتقوى ، والتناصر في علاج الشئون الدينية العامة ؛ فإن يد الله على الجماعة .

هذا ، وقد سمحت مكارمكم السنية ، كما في خطابكم الملكي المؤرخ في ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٤ ، بأن نتشرف بإخبار جلالته عن ابتداء وصول الوفود الإسلامية إلى مصر ، ليتحرك وفدكم الكريم إليها في أقرب وقت .

ولى الشرف أن أنهى إلى جلالته أن مندوبى الأمم الإسلامية في المؤتمر ، أخذوا يفدون إلى القاهرة في شهر رمضان الحاضر .

ونسأل الله جل شأنه أن ينصر بكم الدين ، ويؤلف بين قلوب المسلمين ، حتى يقوموا بما فرض الله عليهم من خدمة الإسلام وإعلاء شأنه .

وإني أنتهز فرصة التشرف بخطاب جلالته ، فأرفع إلى جلالته التهنئة بعيد .

تالظر المبارك ، أعاده الله على جلالكم ، وعلى شعبكم العظيم ، وجميع المسلمين ،
بالمز والهناء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن سوء الحظ أن شيخ الأزهر أرسل منشورات مماثلة ، لبعض أعيان
مكة ، فعدّ الملك عبد العزيز هذا التصرف حاطاً كرامته ، فقرر عدم إرسال رسول
من قبله .

وقد رأيت أن أكتب لفضيلة الشيخ حسين والى ، وقد كان أستاذاً لنا فى الأزهر
ومدرسة القضاء الشرعى ، ولكن كتابة الشيخ حسين والى ، ردّا على رسالتى
إليه ، لم تثن عزم الملك عبد العزيز عما قرره .

وفىما بلى نص رسالة الشيخ حسين والى :

فى ٢٤ رمضان سنة ١٣٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من حسين والى إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل ، الشيخ حافظ وهبة ، أدام
الله علاه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد: فإنى أحمد الله إليكم ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد المبعوث بمكارم
الأخلاق ، وعلى آله وصحبه أعلام الهدى .

ولقد تشرفت بتلقى كتابكم الخاص ، المؤرخ فى ٦ رمضان ١٣٤٤ أعاده الله على
فضيلتكم بالخير والسرور ، وشكرت لفضيلتكم عنايتكم بأمر المؤتمر الإسلامى العام
للخلافة ، ومحافظتكم على جمع كلمة المسلمين ، وعلى دوام المودة بين علماء مصر وحضرة
صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، وعلمنا بما أشرتكم إليه فى كتابكم ،

فبعضنا إلى جلالته كتابا تبجرون صورته ملحقة بهذا الخطاب ، وباطلاع فضيلتكم عليها ، تعلمون وجهة النظر مفصلة ، ولا أراكم بعد الاطلاع عليها إلا راضين ، ومقتنعين بحسن النية . فجزاكم الله عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء .

وأنتهز فرصة مسكاتبتكم في هذا الوقت ، فأهنتكم التهنئة الصادقة بعيد الفطر المبارك . أعاده الله على فضيلتكم في خير وعلا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
من أخيكم المخلص
حسين والي
٢٤ رمضان ١٣٤٤

لقد عقد مؤتمر الخلافة في مصر ، وقد حضره مندوبون من بعض الأقطار الإسلامية ، ولم يرسل الحجاز مندوبين من قبله .

لقد كان الاتجاه طبعا هو تهئية الجو لمبايعة الملك فؤاد بالخلافة ، ولكن عقلاء مصر وزعماء المسلمين في الأقطار الأخرى ، لم يكونوا مقتنعين بكفاءة الملك فؤاد ، وقدرته على تحمل أعباء الخلافة ، فالبلاد المصرية لا تزال محتلة بالجنود البريطانية ، والملك فؤاد نفسه ارتقى عرش مصر بمساعدة الإنكليز ، فلم يكن من السهل إقناع المؤتمر بما يريد به بعض علماء مصر .

والملك عبد العزيز من هذه الناحية ، كان أوسع أفقا ، وأبعد نظرا من الملك فؤاد ، فقد رفض أكثر من مرة ما كان يعرضه عليه بعض زعماء مسلمي الهند ، لأنه يعتقد أن زعامة المسلمين وحمايتهم ينوء بها كاهنه .

هذا ما كان من أمر المؤتمر الإسلامي للخلافة في مصر ، فقد أجل بعد إخفاقه في الوصول إلى الغاية التي عقد من أجلها ، إلى أجل غير مسمى .

أما من جهة المؤتمر الإسلامي ، الذي وعد الملك عبد العزيز بالرجوع إليه قبل الزحف على الحجاز ، فقد عدل عنه . ولكن بتأثير الكتب التي كانت ترد على جلالته

وعلى أحيانا، رضى أن يعقد المؤتمر في مكة؛ بعد انقضاء مؤتمر مصر، لأن وقت الحج هو أليق وقت لاجتماع المسلمين .

أرسلت الدعوات إلى جميع الحكومات الإسلامية، وإلى زعماء البلاد الإسلامية التي يكثر بها المسلمون، كالهند وجاوة .

فلجى الجميع الدعوة إلا مصر، ظنا من الملك فؤاد أن مؤتمر مكة سيعالج ما أخفق فيه مؤتمر القاهرة، مع أن الدعوة كانت صريحة، ولكن مصر عدلت بعد ذلك؛ فأرسلت مندوبين بعد سقوط وزارة زيور، وقيام الحكومة الائتلافية برئاسة عدلى باشا . كان الوفد المصرى برئاسة المرحوم الشيخ الظواهرى، الذى حاول إثارة بعض المسائل المختلف عليها، ولكن جميع المحاولات قوبلت بسعة صدر، ولم تثر أية عاصفة بين علماء مصر وعلماء نجد، وقد حدد مؤتمر مكة الغاية التي دُعُوا من أجلها بالكلمة الآتية، وقد قمت بإلقائها بالنيابة عن الملك عبد العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه .

أما بعد : فإني أحيبكم، وأرحب بكم، وأشكر لكم إجابتكم الدعوة إلى هذا المؤتمر .

أيها المسلمون الغيّر، لعل اجتماعكم هذا فى شكله وفى موضوعه، أول اجتماع فى تاريخ الإسلام، ونسأله تعالى أن يكون سنة حسنة، تتكرر فى كل عام، عملا بقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)، وبإطلاق قوله عز وجل : (وَاتَّقُوا اللَّهَ يَنْتَظِرْكُمْ بِمَعْرِفٍ) .

إنكم تعلمون أنه لم يكن فى العصور الماضية أدنى قيمة لما يسمى فى عرف هذا العصر بالرأى العام الإسلامى، ولا بالرأى العام الحلقى، بحيث يرجع إليه الحكم للتشاور

فبما يجب من الإصلاح في مهد الإسلام ، ومشرق نوره الذي عمّ الأنعام ، وقد تولى أمر الحجاز دول كثيرة ، كان من خلفائها وسلاطينها من عُنُوا ضررًا من العناية ببعض شئونه ، ومنهم من أراد أن يحسن فأساء بجعله ، ومنهم من لم يبال بأمره البتة ، فتركوا الأمراء المتولين لإدارته بالنقل ، يُلجِدون في الحرم ، ويفسدون في الأرض ، ويظلمون السكان والحجاج ، ماشاءت لهم مظالمهم وأهوازهم .

وقد تفاقم البغي والعدوان بعد زوال سيادة الدول العثمانية عن هذه البلاد ، وخلص أمرها إلى الشريف حسين بن علي ، آخر أولئك الأمراء ، فاضطرب العالم الإسلامي كله من استبداده وظلمه ، ومن عجزه عن توطيد الأمن في البلاد ، ومن جعلها تحت السيطرة الأجنبية غير الإسلامية ، كما هو منصوص في مقررات نهضته الرسمية ، وفيما نشره في جريدة القبلة . ولدينا ماترك من أوراقه الخاصة بخطه ، ما هو أدل مما ذكر ، على جعل نفسه عاملاً موظفاً لبعض الدول الأجنبية . وقد كنا معشر النجديين جيران الحجاز ، عرضة لبغيه ، وإيذائه لنا في ديننا ودنيانا ، من رمى بالكفر ، ومنع من أداء فريضة الحج ، وإغراء بعض رعايانا بالخروج علينا ، وغير ذلك مما لا يحل لبسطه في هذا الخطاب ؛ فلما بلغ السيل الزبى ، وثبت بالتشاور بين أهل الحل والعقد عندنا ، أنه يجب علينا شرعاً إنقاذ مهد الإسلام من بغيه وظلمه ، عزمنا على ذلك ، وتوكلنا على الله في تنفيذه ، وبذلنا أموالنا وأنفسنا في سبيله ، فأيدنا الله بنصره ، وطهرنا البلاد المقدسة من بغيه وبغى ولده ، كما عاهدنا الله ووعدنا المسلمين .

وكان ما وعدنا به ، وشرعنا في تنفيذه ، الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي ؛ وقد بينا في كتاب الدعوة إليه خطتنا ، ورأينا الشخص في حكومة الحجاز المستقبلية ، ومنه الاستفتاء في اختيار حاكم الحجاز بشروط ، منها (كما في المادة الثانية) : أن حكومة الحجاز يجب أن تكون مستقلة في داخليتها فقط ، والتصريح في سائر الشروط أو الأسس بسلبها حق الاستقلال السياسي ، والاستقلال الاقتصادي ، والاستقلال الحربي . وغوى

هذا أننا نحفظ بهذا كله أنفسنا ، ويكون الاستقلال الإدارى المذكور تحت إشراف العالم الإسلامى ، ليطمئن بصفة قولنا : إننا لا نقصد بإتخاذ الحجاز تملكه والتسلط عليه ، بالمعنى الذى كان معهودا فيه .

وإنما لم أعد بمنحه الاستقلال المطلق ، لما أعلم وتعلمون ، من أنه ليس فيه قوة جنسية خاصة هيئة شورى شعبية ، يمكن أن يحفظ بها الأمن العام ، وينفذ ما تصدره الحكومة من الأحكام ، وتحول دون استبداد الأفراد ، واستعانتهم بالأجانب على حفظ سلطتهم فى البلاد .

ولما انتهت حالة الحرب ، بإلقاء مقاليد البلاد إلينا ، رأى جمهور أهل البصرة فيها ، أنه ليس من مصلحتهم انتظار عقد مؤتمر إسلامى ، للنظر فى أسرار حكومتهم على تلك الأسس الختمة ، المينة فى كتاب الدعوة إلى المؤتمر ، لأنهم ليسوا على يقين من عقده ، ولا على ثقة من كون من عساهم يحضرونه ، أعلم بمصلحتهم من أنفسهم ، وأرسلوا إلينا وفدا كاشفتنا بأنهم يرون أن المصلحة الختمة ، أن يحفظوا لبلادهم ما ناله من الاستقلال الدولى ، بشكل ملكى ، بأن يبايعونا ، فرددنا طلبهم ، واعتذرنا لهم ، ولكن شايعهم على ذلك أهل الحل والعقد من أهل نجد ، الذين هم المدة فى تطهير البلاد من الحكم السابق الجائر ، وهم المدة لحفظ الأمن فى البلاد ، الذى يتوقف عليه كل عمل وكل إصلاح فيها ، كما يتوقف عليه إقامة ركن الإسلام ، الذى لولاه لم يكن لأحد من المسلمين شأن يذكر فيها . فاضطرت إلى قبول التبعة ، ولم أرى عنها أية مندوحة ، لأننا آل سعود ، لسنا ملوكا مستبدين ، ولا حكاما شخصيين ، بل نحن فى بلادنا مقيدون بأحكام الشرع ، ورأى أهل الحل والعقد ، ولم تكن تلك الدعوة الشخصية إلى عقد المؤتمر بعذر شرعى يبيح لى مخالفتهم ، وإذا أنا خالفناهم بغير حجة شرعية يقبلونها ، فإنهم لا يطيعوننى ، وفى ذلك من الفساد مالا يخفى .

وقد يايعنى جمهور الحضّر ، ورؤساء قبائل البادية ، وهؤلاء يعدّون من أهل الحل والمعد ، لأن قبائلهم تتبعهم سلا وحربا .

على أننى رأيت أن قبول البيعة ، والعمل مع أهل البلاد بمقتضاها ، لا بمقتضى القلب والقوة ، لا يعنى من الاستفادة من رأى أهل العلم والبصيرة من العالم الإسلامى ، لذلك وجهت الدعوة الثانية إلى عقد هذا المؤتمر ، وجعلت موضوعها أعم وأوسع من موضوع الدعوة السابقة .

أيها الإخوان ، إنكم تشاهدون بأعينكم ، وتسمعون بأذانكم ممن سبقكم إلى هذه الديار ، للحج والزيارة ، أن الأمن العام فى جميع بلاد الحجاز ، حتى بين الحرمين الشريفين ، بدرجة السكّال ، التى لم يُعرف مثلها ولا ما يقرب منها منذ قرون كثيرة ، بل لا يوجد ما يفوقها فى أرقى ممالك الدنيا نظاما وقوة ، والله الفضل والمنة . فى مجبوحه هذا الأمن والحرية التى لا تنتيد إلا بأحكام الشرع ، أدعوكم إلى الالتئار والتشاور فى كل ما ترون من مصالح الحجاز الدينية والعمرانية ، والنظم التى يطمئن إليها العالم الإسلامى ، بإقامة شرع الله ، والتزام أحكامه وآداب دينه ، فى مهد الإسلام ، ومهبط الوحي ، وبططيره من البدع والخرافات ، والفواحش والمنكرات ، التى كانت فاشية فيه بدون نكير ، وباستقلاله المطلق ، وسلامته من كل نفوذ أجنبى .

أدعوكم إلى تدارك كل ماقصر فيه من قبلنا من المسلمين ، بتركهم وطن دينهم ، الذى يزغ منه نور الهدى والعرفان ، فى ظلمات حالكة من الجهل وفساد الأخلاق والآداب ، أدعوكم إلى النظر فى كل وسيلة لجعل حرم الله وحرم رسوله ، أرقى معاهد العلم علما وعرفانا ، وخير معاهد التربية تهذيبا وأدبا ، وأكل بلاد الله صحة ونظافة ، وأولى البلاد الإسلامية بإحياء دعوة الإسلام .

كل شىء فى هذه البلاد يحتاج إلى الإصلاح ، وحكومته وأهله فى أشد الحاجة

إلى مساعدة العالم الإسلامي لها على هذا الإصلاح ، لأن فيه من يعلم مالا يعلمون ،
ويتندر على مالا يتدرون .

أبها المؤتمرين الكرام ، إنكم أحرار اليوم في مؤتمركم هذا ، لا تعيدكم حكومة البلاد
بشيء وراء ما يعيدكم به دينكم ، من التزام أحكامه ، إلا بشيء واحد سلبي ، وهو عدم
الخلوص في السياسة الدولية ، وما بين بعض الشعوب الإسلامية وحكوماتها من خلاف ،
فإن هذا من المصالح الموضوعية الخاصة بتلك الشعوب .

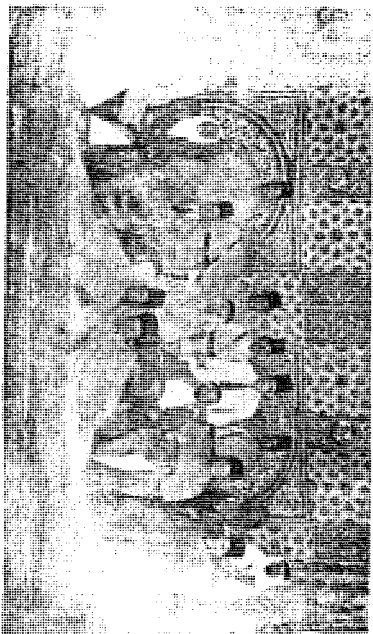
إن المسلمين قد أهلكهم التفرق في المذاهب والمشارب ، فاشتروا في التأليف بينهم ،
والتعاون على مصالحهم ومنافعهم العامة المشتركة ، وعدم جعل اختلاف المذاهب
والأجناس سببا للعداوة بينهم : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى
شَفَا خُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .
وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) . ولا تكونوا كالأدنين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك
لهم عذاب عظيم) .

وأسأل الله عز وجل أن يوفقني وإياكم لإقامة دينه الحق ، وخدمة حرمه وحرم
رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، والتأليف بين جماعة المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

• • •

ولكن المؤتمر انتهى إلى ما انتهى إليه مؤتمر القاهرة ، انتهى إلى قرارات وأمانى لم
يحققها العمل ، والعلاقة بين ملك مصر والحجاز لم تتحسن ، بل زادها سوءا ما وقع
خبر منى بين الإخوان النجديين والمحمل المصري .

الإخوان النجديون يظنون أن المحمل ضم يعبد المصريون : فرجموه بالحجارة ،



الأمير فيصل مع هيئة المحصل المصري عام ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م

إذ لم يكونوا حاملين السلاح في رمي ، فقابلهم أمير الحج المصري «محمود عزمي باشا» بإطلاق المدافع والزشاشات ، ولولا تدخل الملك عبد العزيز بنفسه ، ما انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه . ولقد أمضيت أكثر من أسبوع بين الملك عبد العزيز ، كمنذوب من جلالتة ، وبين أمير الحج في نقاش وتجدل ، دفعا لفقنة جديدة ، فالإخوان عقولهم ضعيفة ، وهم يملثون الحرم وطرق مكة ، وهم يمثلون حنقا على الحمل وأهل الحمل .

إذا صاح النفير قالوا : إن هذه دعوة للشيطان ، فهاجوا وماجوا .

طلب مني أن أطلب من أمير الحج أن يقف صياح النفير ، لا اعتقادا من الملك أو من رجال حكومته ، بأن ذلك كان لدعوة الشيطان ، وإنما كان ذلك دفعا لإثارة فتنة جماعة الإخوان الجهاد ؛ وإذا أدخل الحمل إلى الحرم كما كان معتادا : قامت قيامة الإخوان : كيف تأذن الحكومة بإدخال الأصنام إلى الحرم ، وهنا تقوم أزمة .

اقتنع أمير الحج بإخراج الحمل من الحرم ، ويسمى الشيخ رشيد رضا ، والشيخ يوسف ياسين لدى الملك عبد العزيز . فيأذن ببقائه في الحرم ، فأثور لكرامتي ، وأستقيل وأسترد استقالتي ، بعد أن يوضح لي جلالة الملك الأمر .

وتحدث بعد ذلك أزمة أخرى في توزيع الصلوات والعوائد المقررة ، وكانت تصرف قسما ، فاتفقنا مع الحكومة المصرية على استبدال النقد بها ، لأنه أنفع للناس .

يريد أمير الحج أن يلغى القوائم القديمة ، ومنذوبو الحكومة الحجازية يريدون إبقاء القوائم القديمة ، مع استعدادهم لإصلاح بعض القوائم ، فأجابهم بصلف : إن الله الحق أن يعطى من يشاء ، ويحرم من يشاء . فأجبت بما يلي :

بإسعاد الباشا ، إن الله هو المعطى ، وإن ما تقوم أنت بصرفه ، هي أوقاف وقفها أهل الخير من سلاطين وأسماء ، لأهل هذه البلاد ، وإن تصر يحك قد مس كرامة الحاضرين ، ومس كرامة الحكومة ، إن الله يقول : (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى) .

إذا كنت مُصيراً على رأيك ، فإن الندوبين الحاضرين ينسحبون من المجلس ، ولن يحضر أحد من أهل البلاد لقبول ماتمن به عليهم ، فلما أصر على موقفه ، انسحب الندوبون ، وقد سافر أمير الحج ومعه التفود التي أحضرها .

وتأزمت الحالة بين الملكين ، لا بين الشعبين . وبالرغم من الساعي الكثيرة التي بُذت مع الوزارات المختلفة: مع سعد باشا ، وثروت باشا ، والنحاس باشا وغيرهم ، فإن الملك فؤادا أصر على عناده ، من عدم الاعتراف بالملك عبد العزيز ملكا على الحجاز ، مع أن الحكومة البريطانية ، وهي الحكومة المحتلة لمصر ، وغيرها من الدول الكبرى ، كفرنسا وروسيا وإيطاليا وأمريكا ، قد اعترفت جميعها بالملك عبد العزيز ملكا على الحجاز ، والرجل الوحيد الذي وفق إلى حل المسائل المختلف عليها ، هو «علي ماهر» ، في سنة ١٩٣٦ . وبموت الملك فؤاد زالت كل أسباب النزاع والجفاء ، وحل محله الصفاء ، والإخاء ؛ وبالرغم من اختلاف الأحزاب المصرية في مناهجها ، فإن روح الأخوة الخالصة ، والتعاون الصادق بين الحكومتين والشعبين ، كانت تقوى على مر الأيام .

وأشهد هنا وأنا أدون هذه الصفحات للتاريخ ، وكلا الرجلين قد لقي ربه ، أن الملك عبد العزيز قد بذل أقصى ما يمكن من الجهود ، لإزالة كل أثر من سوء التفاهم ، إن كان هنالك سوء تفاهم ، ولكن جميع الجهود باءت باخنية . لقد أرسل الملك عبد العزيز عدة كتب إلى الملك فؤاد ، في ظروف مختلفة ، ولكن الملك فؤادا لم يجب عن أى كتاب من هذه الكتب .



الأمير سعود (الملك الحالي) في صباه عام ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٦ م

بعثة الأمير سعود إلى مصر

لهذه البعثة قصة لا بأس من إيرادها :

كان الأمير سعود يشكو رَمَداً، فأراد والده أن يدعو المرحوم الدكتور سالم هنداي، وهو الطبيب الذي كان قد عمل له عملية جراحية ناجحة ، واتصلتُ بالحكومة المصرية بواسطة قنصلها المرحوم أمين توفيق ، ولكن الدكتور سالما اعتذر عن الحضور حالا ، وأبدى استعداده للحضور بعد بضعة أشهر .

وفي ليلة من الليالي، كان عندي الشيخ الظواهري شيخ الأزهر ، والمسيري بك مدير إداره الحج بوزارة الداخلية المصرية، وقنصل مصر ، ورجال التكية ، ودار الحديث حول الأمير سعود ومرضه ، واعتذار الحكومة المصرية . فاقترح الشيخ الظواهري سفر الأمير سعود إلى مصر ، مادام يعتقد في مهارة الدكتور هنداي ، فقلت لكنه ليس من السهل إقناع الملك عبد العزيز بذلك ، بعد حادثة الحمل ، فقال الشيخ الظواهري: وهل إذا دعت الحكومة المصرية يلبي الدعوة أو يعتذر والده ؟ فقلت المسألة تتعلق بالحكومة المصرية أولا ، فإذا كان هنالك استعداد للدعوة ، أمكن سبرغور الملك عبد العزيز ، قبل إرسال الدعوة إلى جلالته . وقد انبى الحديث على هذه الصورة . ولم يمض أسبوع حتى وصل إلى قنصل مصر ، دعوة من الحكومة المصرية ، تتضمن دعوة الأمير سعود لزيارة مصر ، ومباشرة علاجه بها . نظر جلالة الملك في أمر الدعوة ، فقبلها جلالته شاكرا ، وقال الأصدقاء: لعلها تكون فرصة حسنة لإصلاح الجو، وإزالة كل أثر من سوء تفاهم بين حاكبين مسلمين ، وشعبين صديقين .

فسافر الأمير سعود ، وسافرتُ برفقته ، كما سافر بعض الزملاء معنا ، منهم المرحوم

ناصر التركي ، والمرحوم الشيخ عبد الله إبراهيم الفضل ، والشيخ الهزازي ، وكان يشغل
رياسة الديوان الملكي في ذلك الوقت .

قوبلنا بحفاوة لانظير لها من الحكومة المصرية ، والشعب المصري . كان في استقبال
الأمير ثروت باشا بصفته وزيرا للخارجية ، والشيخ المراغي ، وجمع غفير من أعيان
البلاد .

لقد نزلنا في ضيافة الحكومة المصرية ، في منزل في حي المنيرة ، كان يسكنه القاضي
يحيى التركي المعروف ، وقد لقينا في أثناء إقامتنا كل حفاوة وإكرام ، من رجال
الحكومة الائتلافية ، القائمة في ذلك الوقت . حاطنا سعد باشا برعايته ، كما يرعى
أبناءه ، وإن أنس فلن أنسى زيارتنا له في مجلس النواب ، وزيارتي الخاصة له في بيت
الأمّة ، وهو محضّر خطبته التي يلقيها عادة عند فض البرلمان ، فقد حاطني الرجل بعطف
عظيم ، ولا سيما عندما علم أنّي كنت في مدرسة القضاء الشرعي غورمه ، فقال : يا بني ، إني
لسعيد بزيارة واحد من أبنائي ، وسعيد أن أرى الغرس ينمر ، وقد كانت زيارتي له
لإثارة مسألة الاعتراف بالملك عبد العزيز . فقال : أنت تعلم أننا كنا في أزمة مع الملك ،
في مسألة موازنته ، والملك كما تعلم عنيد ، وما دام الحجاج يقدون إليكم في كل
سنة ، فلا يقلقكم عدم اعتراف ملك مصر ، فقلت له : يادولة الباشا ، إني كما تعلم
مصرى المولد والترية ، وأحب أن تكون علاقة مصر بالحجاز خيرا مما هي عليه الآن ،
وإني أشعر بحزن وخيبة أمل كلما رأيت العلاقات بين الملكين المسلمين تسير سيرا
غير حسن .

وفي أثناء إقامتنا بمصر ، كان الأمير سعود يسعى لإزالة ماني نفوس المصريين ضد
أهل نجد ، فقد صليتنا الجمعة في الأزهر ومسجد الحسين والإمام الشافعي ، كما زرنا أكثر
المتاحف ، وذلك لنبرهن للناس أن أهل نجد لا ينكرون على بعض طوائف المسلمين إلا

التسبح بالقبور ، والاستمانة بغير الله . أما زيارة القبور فسنه ، وأكث ما ينسب الجفلة لأهل نجد ، إن هرا إلا افتراء ، افتراه عليهم أعداؤهم .

ومع هذا ، فإن صديقنا المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا ، قد شكأ إلى الملك عبد العزيز تصرف ولده في أداء الجمعة في أمثال هذه المساجد ، والحقيقة أن السيد رشيد قد تكدر منى شخصيا ، لأنى حلت دون نشر مقال له عن المحمل ، والسيد رشيد يعلم أنى لست من محبة المحمل ، ولا من المنتصرين للمحمل ، ولا من المؤيدين للبدع التى تكتنف المحمل ، ولكن بعد حادثة المحمل ، كان رأى العمل والسعى لإزالة كل أثر لهذه الحادثة فى البلدين مصر والحجاز ، وإثارة الجدل فى موضوع المحمل ستمكر الجوى من جديد .

كنت أسعى دائما لإزالة كل جفاء بين الحكومتين : السعودية والمصرية ، ولكن كان هنالك أناس يعملون لعرقلة مساعى ، وإدخال الشك فى نفس الملك عبد العزيز ، والملك عبد العزيز فى سنة ١٩٢٦ غيره بعد عشر سنوات ، فاتصاه بالعالم الخارجى قد صقله ، ووسع معارفه الدولية ، فلم يعد فى سنة ١٩٤٠ أو سنة ١٩٤٥ يتشكك أو يقتنع بما كان يقتنع به فى سنة ١٩٢٦ .

عند وصولنا للسويس سلمنى المرحوم الشيخ فوزان السابق البرقية السرية الآتية :
القاهرة فى ١٣٢٦/٨/٥ .

سرى جدا

الوكالة العربية الحجازية - فوزان السابق بمصر :

عرف حافظ ، بلفنى خير من ناظر التكية يقول : إننا طلبنا من حكومة مصر أن تدعو سعودا لأجل التداوى ، فنحن لا طلبنا ولا تكلمنا ، فإن ظهر هذا الكلام فكذبوه رسميا .

وأيا أخبرنا عبد العزيز العتيق يقول : إنك قلت له عند سفره ، إنك مترجو

من حكومة مصر أن ترسل دراهم لتنظيف المقابر، فالحكومة والحمد لله قوية بالله، تقدر على كل شيء . أرجو ألا تتدخل في شيء من هذه الأمور . حكومة مصر إذا أرادت فعل الخيرات، مثل أعمال عين زبيدة والسكة الحديدية فتقبله كما تقرر بالمؤتمر، وأما الأمور الداخلية والمقابر وما أشبه ذلك، فاعلم أننا نرفض ذلك .
لا تتدخل في سفركم هذا في جميع الأمور السياسية بالأخص .

الملك

فعند وصولنا إلى مصر، كتبت إلى جلالة الملك تكديماً لهذه المقترحات، واستبعدت نسبة هذا الخبر إلى ناظر التكية، فليس بينه وبين الشيخ يوسف والعتيقي صداقة، حتى يتبرع بهذا الكذب، وقد جاءني الرد الآتي من جلالة الملك عبد العزيز .
الديوان السلطاني
تحريراً في ١٠ صفر سنة ١٣٤٥

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، إلى الأخ الكريم الشيخ حافظ وهبه
حفظه الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد وصلنا كتابكم، وسرنا جداً مالقيه ولدنا سمود من الخفاوة والإكرام من الحكومة المصرية، ومن الشعب المصري الكريم وقد كان لهذه المظاهر الأبرية أحسن أثر في نفسي، وإني آتمنى - كما تعلم - أن تكون صلاتنا مع مصر على الدوام على أحسن وأتم ما يكون، وإني أحمد الله على هذه الفرصة، التي سنحت لتوطيد دعائم الوداد بين البلدين، وآتمنى من الله أن يوفقنا على الدوام لكل ما هو وسيلة لتوطيد روابط الصداقة والولاء بين جميع المسلمين .

ذكرتم في كتابكم تستفسرون عن حقيقة ما ذكره ناظر التكية عن شكل ذهاب ولدنا سمود، وقد كتبت في هذه المسألة، حتى لا ينتشر الخبر إلا كما هو، وقد رأيت بعض الصحف المصرية تنشر حقيقة الخبر، فاطمان فكري من هذا القبيل . أما ناظر التكية فقد زار يوسف ياسين في الطبعة، وأخبره في عرض الحديث بأن الحكومة



الأمير سعود (الملك الحالي) وسعد زغلول باشا في القاهرة

عام ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٦ م

هنا ، هي التي طلبت من الحكومة المصرية ذهاب سعود ، وكتب بذلك أمير الحج والأستاذ الظواهري ، وبطيه المکتوب المقدم إلينا من يوسف ياسين في هذا الخصوص ، وإطلاعكم عليه كفاية . أما مارواه العتيق ، فذلك الظن بكم ، بأنكم لا تقدمون على مثل ذلك الطلب في هذا الموضوع على الأخص إلا بعد مراجعتنا ، لأن هذه المسألة من المسائل الداخلية ، وأنتم تعلمون أنه ليس من مصلحتنا قبول مداخله أحد فيها ، وبطيه الكتاب للمقدم إلينا من العتيق ، وباطلاعكم عليه كفاية .

وفي الختام أتمنى لكم ولبن معكم الراحة والهناء ، وأسأل الله التوفيق لنا ولكم ، والسلام .

التوقيع

وفيا على نص كتاب عبد العزيز العتيق المشار إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جلالة الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل المحترم ، أدامه الله للإسلام ذخرا ، وزاده شرفا وفخرا .

وبعد تقبيل أيديكم الشريفة ، أعرض على حضرتكم أنه قد بلغني من سمو الأمير فيصل ، أنكم قد سألتكم الشيخ حافظ وهبة عن قوله إنه سيمسى في استحصال شيء من الدرام من الحكومة المصرية ، لأجل تنظيف المحلات التي هدمت قبائها وتحويطها ، وأنه أجاب بأنه لم يقل ذلك ، وأنكم عاتبون على كيف تقولت عليه ما لم يقل . وجلالتكم يعلم أني قط ما ذكرت الشيخ حافظا أمامكم بسوء ، ولا مرة واحدة ، بل كنت أذكره بخير كلما جاء ذكره ، وقد حكيت لكم هذه الحكاية في معرض كلام دار حول هذه المسألة ، وما هنالك داع لأفتري عليه . أما حقيقة المسألة ، فهي أنه دار بيني وبينه كلام في مسألة سفرهم ، ونحن في الجيدة ، وجبر سياق الحديث إلى هذه المسألة ، فقال إنه سيمسى لدى الحكومة المصرية ، لأن ترسل المهندس ، الذي قرر

المؤتمر إرساله من مصر ، وأن ترسل بعض النقود لتمشية أمور المؤتمر ، ولتنظيف المحلات المهتمة قباها كالمعلّى والمولد من الأحجار والأقدار ، وتخويطها ، ورصف المسعى بالحجارة . وقال : إنه يعتقد أن الحكومة المصرية توافق على ذلك ، وأظن أنه لو كان حاضرا وذكرته به لذكره ، ولا أنكره ، لكن ربما أنه فهم من السؤال أن الكلام في تعمیر القيب ، ولذلك أنكره . هذه حقيقة ماجرى ، وأنا نستعد للقاء إن كان هناك حاجة عند حضوره إن شاء الله ، والله يحفظكم بعنايته .

خادمكم

٦ صفر ١٣٤٥

عبد العزيز العتيق

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل تعداه إلى ما يضحك ، فقد شككوا جلالتهم في أمر نذب بعض موظفين مصريين ، للانتفاع بعلومهم وخبرتهم ، كما يتبين ذلك من كتاب جلالة الملك عبد العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب السكرم الشيخ حافظ وهبة ، سلمه الله تعالى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بما أتى أعذك أشفق على نفسي وملكي من نفسي ، ولا شك ، في جميع ما يصير على فيه انتقاد ، لأنك أحرص على نفسي وملكي من كل قريب . وبهذه الأيام عرفتني أن الأحسن أن نكتب للدكتور « سالم » من قبل جلب موظفين من الحكومة المصرية ، لأجل الجرك والكرتينة وغيرها ، وكتب وثوقا بالله ثم بك ، إن هذا الأمر مافيه خلاف ، ولا يلحق باستقلال البلاد ، ولا فيه انتقاد علينا من جميع الناس . ولكن ضمت ، فإما أن يكون الفهم غلطا أو حقيقة ، أن مثل جيلنا هؤلاء الموظفين يكون قصا في استقلال البلاد ، ومحصل فيه انتقاد ، كأن البلاد تابعة للبلاد الأخرى ، أو من

هذا القبيل، ومعلومك أنه إذا بصير انتقاد أو تدخل، أن هذا شيء مشكل. لذا أحييت أن أعرفك لأجل أنك المسئول عن ذلك إذا كان فيه بأس، باكر إذا جاء الموظفون وصاحوا أهل الحجاز أو أهل الهند ومصر، وانتقدونا، فإن رجعتا الموظفين صار نقسا في حقنا، وفي حق حكومة مصر، وإن أثبتناهم صارت الأخرى.

المقصود أنت أعرف بالقوانين والشكالات إن صار هذا الجواب الذي سمعته أنه غلط ووهم، فالحمد لله أنا على عزمي، وهذا الذي أريد، فإن كان الأمر فيه مشكل، فانت تعرف أنك المسئول، لأجل أن اعتمادى هو على الله ثم عليك، ودم محروسا.

التوقيع

٢٨ رجب ١٣٤٤

وبالرغم من هذه العراقيل والمشاكل التي كانت تتجدد كل يوم، كانت ثقة جلالتى لا تنزعزع، ولقد اعتقد الملك فؤاد أنى أنا الحائل دون مطامعه فى الحجاز، فقد أخبرني الأستاذ «قرباقص مخائيل»، مراسل الصحف المصرية المعروف، أن كراهية الملك فؤاد لى، سببها أنى كنت السبب فى إخفاق مؤتمر الخلافة فى مصر، وحرمانه من الخلافة، والحجاز جزء متمم للخلافة. ولا أدري كيف يدور فى خلد رجل مثقف مثل الملك فؤاد، وهو محيط بالسياسة الدولية وبالدينيا وتجارمها، كيف يدور بمخلده أن يُترك له الحجاز لقمة سائغة، وبلاد لا تنزال محتلة بالجند الأجنبى؟ وهل كان يرضى المسلمون بذلك؟

وماذا قدم الملك فؤاد للملك عبد العزيز وللحجاز من مساعدات، حتى يقدم له الملك عبد العزيز الحجاز هدية؟ إن الملك فؤادا لا يزال يحمل العقل الألبانى التركى الذى يستعنى كل شيء حتى المستحيل.

الملك عبد العزيز والقضايا العربية الكبرى

القضايا العربية الهامة التي كانت تشغل الرأي العام العربي هي :

١ - المسألة الفلسطينية .

٢ - المسألة السورية .

٣ - المسألة المصرية .

١ - المسألة الفلسطينية

لم تكن الحكومة البريطانية تسمح لأية حكومة عربية بالتدخل في قضية فلسطين، فكانت تعتبرها دائماً من المسائل الداخلية، ولكنها كانت تهتم دائماً بما كان يقوم به زعماء فلسطين، من شرح قضيتهم في البلاد العربية والإسلامية .

أقد أذرتنى الحكومة البريطانية في عهد السير «جون سيمون» ، لحضورى اجتماعاً عاماً فى فندق «هايد بارك» نظمتة العصبة العربية ، وهى جمعية أنشأها بعض البريطانيين الذين يظفون على العرب ، ويؤمنون بالظلم الذى حاق بالعرب ، بمنح الصهيونيين وعد بلفور .

ولكنى أخبرت الموظف الذى استدعانى ، بأنه لايسعنى التخلف عن أى اجتماع يعقده العرب والمسلمون ، وأنى أفضل أن يستدعبنى جلالة الملك عبد العزيز ، على عدم

مشاركة إخواننا في مسألتهم ، وأنى لست أقل شموزا من المواطنين الإنكليز ، الذين قاموا بتنظيم هذا الاجتماع .

وأظهر نوري السعيد نشاطا ملحوظا منذ سنة ١٩٣٥ ، فتكررت زيارته للقُدس سنة ١٩٣٦ في أثناء الثورة الفلسطينية ، وفي أثناء الاغتصاب الذي عم البلاد من أقصاها إلى أدناها .

وقد رأت الحكومة البريطانية أن تقوى حامياتها في فلسطين ، فاستحضرت قوات ضخمة من مصر ومالطة ، وبدأت هذه القوات في اعتقال عدد كبير من السكان ، كما أن الحاكم العسكرية أخذت تصدر الأحكام القاسية ، مما بلبل الأفكار وأثار الشعور .

لقد طلب زعماء فلسطين من ابن سعود مساعدته ، وتدخله لرفع الظلم عنهم ، لأن اليهود الذين يعمل الإنكليز على نصرتهم ، سيكونون شوكة في ظهر العرب والمسلمين ، ولذلك رأى ، بعد إعمال الفكر ، أن يسبر غور الإنكليز في موضوع تدخله ، واستعمال مساعيه الحميدة .

فأجابته الحكومة الإنكليزية ، بتاريخ ٣ يولييه ١٩٣٦ ، بأنها توافق على توسط ملوك العرب ، وأن يقوم جلالتهم بالاتصال بالعراق واليمن والأردن ، لنصح أهل فلسطين بالإخلاء للسكنية . وقد اتفق حكام العرب المذكورون على أن أفضل وسيلة لإدخال روح الطمأنينة والثقة ، أن توقف الهجرة إلى فلسطين ، وأن يصدر عنوعام عن المعتقلين . ولكن بعد أخذ ورد طويلين ، قررت الحكومة البريطانية تخفيض الهجرة إلى ١٨٥٠ وقد كانت حتى أبريل ١٩٣٦ (٤٥٠٠) مهاجر ، وهذا بالطبع لايشمل الهجرة غير المشروعة .

وقد حاول جلالة الملك أن يوفد فؤاد حمزة ، لمقابلة المندوب السامي ، وبعض الزعماء

الفلسطينيين ، ولكن الحكومة البريطانية لم تقبل أى مندوب ، وأبدت أسباباً خاصة بفؤاد حمزة ، وقد فصلناها في فصل خاص .

وفي ١١ أكتوبر ١٩٣٦ أصدر ملوك العرب في العراق ، والبلاد العربية السعودية ، واليمن ، وأمير شرق الأردن ، نداء يطلبون من اللجنة العربية العليا ، ومن أبنائهم أهل فلسطين ، أن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة ، وأنهم (أى الملوك) واثقون من أن الحكومة البريطانية الصديقة ، ستنظر إلى قضية فلسطين نظرة عادلة .

ولما رأت الحكومة البريطانية أن الهدوء قد ساد البلاد ، أوفدت لجنة « بيل » إلى فلسطين ، لدراسة الحالة ، ووضع الاقتراحات الكفيلة بإرضاء العرب ، والحقيقة أن الحالة لا تحتاج إلى دراسة ، فهي معروفة ، فكم من لجنة أرسلت قبل ذلك ، وأصدق وصف لهذه اللجان أن تسمى لجان تخدير .

وصلت اللجنة إلى فلسطين في ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ ، وواصلت أعمالها بالاتصال بالمواطنين البريطانيين وباليهود ، لأن العرب قاطعوها . وقد تمخضت دراستها عن مشروع التقسيم الذى نشر في يولييه ١٩٣٧ ، فكان لإعلانه أسوأ الآثار في العالم العربى والإسلامى ، وكأن العرب في فلسطين وفي البلاد المجاورة قد رفضوه ، فإن اليهود أيضاً لم يقبلوه ، لأنه لم يتفق مع مطامعهم غير المحدودة .

لقد عقدت ندوات في مجلس العموم ، لمناقشة مشروع التقسيم من حيث المبدأ ، ثم مشروع التقسيم ذاته ، وقد انقسمت آراء الناس في المشروع .

ومن الغريب أن يقوم مستر فليبي ، الذى أمضى أكثر من ثلث قرن في الشرق الأوسط في أحد الاجتماعات ، ويصرح بأن العرب سيقبلون التقسيم ، فيسأله رجل من أعضاء البرلمان ، وهو (السير أرتولد ولسون) من العرب الذين يقبلون التقسيم ؟ فقال فليبي : إنى أراهم بالسنوات العديدة التى قضيتها بين العرب ، أن العرب يقبلون التقسيم .

وقد انفض الاجتماع ويسكاد الحاضرون من أعضاء البرلمان يستمدون أن فلي لديه أخبار من ابن سعود ، تنفيذ أن من رأيه قبول التقسيم . ولكنى أخبرت ولسون وسواء من أعضاء البرلمان ، أن فلي يتكلم عن نفسه ، وأنه مخطيء فيما زعم ، وابن سعود الذى يدعى فلي أنه أعرف الناس به ، كان أول من أبدى رأيه فى الاعتراض على التقسيم ، وأنه إذا كان فلي صادقا ، فليذهب إلى فلسطين ، ويصارع الناس برأيه ، وسيرى تأثير ذلك . ولقد نصح جلالة الملك عبد العزيز فلي أكثر من مرة ، أن يترك المسائل العربية للعرب أنفسهم ، إذ أنهم أعلم بمصالحهم ، ولكن فلي رجل غريب الأطوار ، لا يستقر على رأى .

لقد حاول فلي فى هذا الخضم ، أن يجمع بين الأمير سعود وابن جوريون فى لندن ، كما حاول من قبل ابن جوريون زيارة الملك عبد العزيز ، ولكن لم يتم شيء من هذا ، لأنى كنت أعارض بشدة فى أى اجتماع من هذا القبيل ، لأنى كنت على يقين من أن الملك عبد العزيز لا يقبل بأية حال من الأحوال ، الاجتماع مع أحد زعماء الحركة الصهيونية .

وبالنظر إلى الاعتراضات الكثيرة التى وجهت إلى تقرير اللجنة ، فإن الحكومة البريطانية قد ألقت لجنة أخرى ، لوضع مشروع آخر ، يكون أكثر وأعم تفصيلا ، وقد نشرت اللجنة الثانية تقريرها فى ٨ أكتوبر ١٩٣٨ ، وأوصت برفض مشروع التقسيم الذى رسمته اللجنة ، ثم اقترحت اللجنة بعض مشروعات أخرى لم تأخذها الحكومة البريطانية ، فأتت الحكومة البريطانية عقد مؤتمر فى لندن من اليهود والعرب ، وللمرة الأولى أشركت الحكومات العربية فى المؤتمر ، وهى مصر ، والعربية السعودية ، والعراق ، واليمن ، والأردن وزعماء فلسطين . وقد كان هذا المؤتمر نواة للجامعة العربية التى ظهرت بعد أربع سنوات . لم يكن من المنتظر أن تقبل الحكومة البريطانية جميع مطالب العرب أو أكثرها ،

فقد كانت لاتزال متأثرة بنفوذ اليهود في البرلمان والدوائر المالية ، وتحت الضغط الأمريكي الذي لم يكن ظاهرا في ذلك الوقت ، وإن كان معروفا في الدوائر السياسية ، وضعت الحكومة البريطانية مشروعا جديدا ، نشرته بعنوان « كتاب أبيض » .

وقد كان هذا الكتاب مدار بحث في القاهرة ، بين مندوبي الحكومات العربية والزعماء الفلسطينيين . أما رئيس الوزارة المصرية (محمد محمود باشا) فكان من رأيهِ قبول المشروع ، وأن رفضه هو مساعدة غير مباشرة للصهيونيين . وكان من رأي المرحوم الملك عبد العزيز قبول المشروع ، وقد نصح السيد جمال الحسيني بقبول المشروع ، لأن به مزايا لا بأس بها ، وأنه من الخطأ رفض كل شيء يقدم إليهم . ولكن العراق كان البادئ برفض المشروع ، بتأثير الزعماء الفلسطينيين . وقد حاول (محمد محمود باشا) إقناع زعماء فلسطين فلم يفلح . وأخيرا رفض المشروع على مَضض . أما ابن سعود فإنه لم يقبل المشروع ولم يرفضه ، بل ترك الباب مفتوحا ، وحاول بمختلف الطرق ، أن تمدل الحكومة البريطانية المشروع ، فلم تقبل الحكومة البريطانية تعديله ، ولكنه لم يئأس . وقد جرت بيني وبين (اللورد لويد) أحاديث كثيرة ، للوصول إلى حل عادل ، وقد قوى أملِي بعد إسناد وزارة المستعمرات إليه ، ولكن هذا الأمل قد قُضِيَ عليه ، فقد أخبرني (اللورد لويد) في أحد الاجتماعات ، أنه من المستحيل حل مسألة فلسطين ، مادام تشرشل رئيسا للحكومة ، فقد وصف نفسه بأنه صهيوني ، وأنه لا داعي للإصرار بتنفيذ الكتاب الأبيض مادام العرب واليهود قد رفضوه . وبعد وفاة (اللورد لويد) أسندت وزارة للمستعمرات إلى (اللورد موين) ، ويظهر أن تشرشل لم يكن راضيا تمام الرضا ، فأبعده إلى مصر (وزير دولة لشئون الشرق الأوسط) . وسمعت من كبار موظفي وزارة المستعمرات أن (اللورد موين) كان خيرا من (اللورد لويد) وكان يتصف بشجاعة لا يتصف بها (اللورد لويد) ، ولذا لم أدهش من نقله إلى مصر ، كما نقل (ملكولم مكدونالد) من المستعمرات إلى وزارة الصحة ، ثم من وزارة الصحة إلى كندا .

وقد أوّلَى جلالة عنايته في أثناء الحرب العالمية الثانية القضيتين الفلسطينية والسورية، وكانت الرسل تند إلى جلالاته من (المستروزفلت) للسعى في إيجاد حل للقضية الفلسطينية. وفي فبراير من سنة ١٩٤٥ في اجتماع جلالاته بالمستروزفلت والسير وينست تشرشل، كان حديثه معهما خاصا بمسألة فلسطين. ولقد قال تشرشل في أول حديثه ألا تعلمون جلالتكم أنى أول واضح للسياسة الفلسطينية، بإيجاد وطن قومي لليهود؟ فقال جلالاته لا أعلم، ولكن الذى أعلمه أن فلسطين هى وطن عربى، وأنه ليس لليهود من حق فى سلخ جزء من الوطن العربى، ليكون وطننا لهم، لهم أن يسكنوا كمواطنين مسالمين لاطامعين، ولقد عاشوا قرونا طويلة تحت كنف العرب والمسلمين فى أسبانيا وشمال إفريقيا. فقال تشرشل: إننى لا أقصد أن تكون فلسطين لليهود، ولكنى أقصد إيجاد وطن لليهود فى فلسطين.

ولقد أبان الملك عبد العزيز خطر اليهود فى الشرق الأوسط، فإن أطاعهم لا حد لها، وإهم سيكونون منار شغب وفساد فى الشرق الأوسط، وإننا لنعلم أن أكثرية اليهود الذين يفدون إلى فلسطين شيوعيون.

أما مستر روزفلت فقد كان أكثر لباقة فى حديثه من تشرشل، وقد تعهد الاثنان بأنهما لن يجرّيا أو يؤيدا أى تغيير فى فلسطين يضر بمصالح العرب.

وفيا على كتابان متبادلان بين (مستر روزفلت) والملك الراحل فى

سنة ١٩٤٥ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٢٦ / ٤ / ١ / ٤٥

التاريخ ٢٦ / ربيع الأول ١٣٦٤

للاوافق ١٠ مارس ١٩٤٥

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود :

ملك المملكة العربية السعودية

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر روزفلت

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأنضم .

يا صاحب الفخامة :

إنها لفرصة سعيدة أنبئها ، لأشارككم في السرور بانتظار المبادئ التي أعلنت
الحرب من أجل نصرتها ، ولأذكر الشخصيات العظيمة التي بيدها بعد الله تصريف
مقالات نظام العالم ، بحق صريح قائم ، منذ عرف التاريخ ، ويراد الآن القضاء على هذا
الحق ، بظلم لم يسجل له التاريخ مثيلاً ولا نظيراً .

ذلك هو حق العرب في فلسطين ، الذي يريد دعاة اليهودية الصهيونية غمطه
وإزالته بشتى وسائلهم ، التي اخترعوها وابتغوها وعملوا لها في أنحاء العالم ، من الدعايات
الكاذبة ، وعملوا في فلسطين من المظالم ، وأعدوا للعدوان على العرب ما أعدوا ، مما علم
بعض الناس ، وبقي الكثير منه تحت طي الخفاء ، وهم يعدون العدة لخلق شكل نازي
فاشستي بين سمع الديموقراطية وبصرها ، في وسط بلاد العرب ، بل في قلب بلاد العرب ،
وفي قلب الشرق الذي أخلص العمل لقضية الخلفاء في هذه الظروف الحرجة .

إن حق الحياة لكل شعب في موطنه الذي يعيش فيه حق طبيعي ، ضمنته الحقوق
الطبيعية ، وأقرته مبادئ الإنسانية ، وأعلنه الخلفاء في ميثاق الإطلائطى ، وفي مناسبات

متعددة ، والحق الطبيعي للعرب في فلسطين لاحتاج لبيانات ، فقد ذكرت غير مرة
لنخامة الرئيس روزفلت ، وللحكومة البريطانية ، في عدة مناسبات ، أن العرب هم
سكان فلسطين منذ أقدم عصور التاريخ ، وكانوا سادتها ، والأكثرية الساحقة فيها
في كل العصور . وإنا نشير إشارة موجزة إلى هذا التاريخ القديم والحديث لفلسطين
حتى اليوم ، ليتبين أن دعوى الصهيونية في فلسطين لاتقوم على أساس تاريخي
صحيح .

يبتدى تاريخ فلسطين المعروف من سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وأول من توطن فيها
الكنعانيون ، وهى قبيلة عربية نزحت من جزيرة العرب ، وكانت مساكنهم الأولى في
منخفضات الأرض ، ولذلك سموا كنعانيين . وفى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد هاجر من
العراق (أور السكلدانيين) بقيادة النبی إبراهيم ، فريق من اليهود ، وأقاموا في فلسطين ،
ثم هاجروا إلى مصر ، بسبب المجاعات ، حيث استعبدتهم القراغة . وقد ظل اليهود
مشردين فيها ، إلى أن أنقذهم النبی موسى من غر بهم ، وعاد بهم إلى أرض كنعان ،
عن طريق الجنوب الشرقى ، في زمن رمسيس الثانى ، الموافق سنة ١٢٥٠ ، أو ابنه
منفتاح ، سنة ١٢٢٥ قبل الميلاد .

وإذا سلمنا بنص التوراة نجد أن قائد اليهود الذى فتح فلسطين ، كان يشوع بن
نون ، وهو الذى عبر بحيشه ، واحتل مدينة أريحا من الكنعانيين ، بقسوة شديدة ،
ووحشية يدل عليها قوله لجيشه : (أحرقوا كل مائى المدينة ، واقتلوا كل رجل وامرأة ،
وكل طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم ، بحد السيف ، وأحرقوا المدينة بالنار ، مع كل
ما فيها) . (يشوع ١٦ ٢١ ٢٤) وقد انقسم اليهود بعد ذلك إلى مملكتين :
مملكة إسرائيل ، وقصبتها (السامرة) نابلس ، وقد دامت ٢٥٠ سنة ، ثم سقطت في
يد شلمنصر ملك آشور سنة ٧٢٢ قبل الميلاد ، وسب شعبها إلى مملكته .

ثم مملكة يهوذا ، وقصبتها أورشليم (القدس) وقد دامت ١٣٠ سنة بعد اقراض
(١١ - أرميا حنا)

ملكسة إسرائيل ، ثم أبيدت بيد (نبوخذ ناصّر) ملك بابل ، الذي أحرق المدينة والميكل بالنار ، وسبى الشعب إلى بابل سنة ٥٨٠ قبل الميلاد .

ودام السبي البابلي مدة ٧٠ سنة ، ثم رجع اليهود إلى فلسطين ، بأمر قورش ملك الفرس .

ثم تلا ذلك الفتح اليوناني ، بقيادة إسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، ودام حكمه في فلسطين مدة ٢٧٢ سنة ، وجاء بعده الفتح الروماني سنة ٦٣ قبل الميلاد ، بقيادة بومبي ، ودام حكم الرومان في فلسطين مدة ٧٠٠ ، وفي سنة ٦٣٧ ميلادية احتل العرب فلسطين ، ودام حكمهم فيها مدة ٨٨٠ سنة متواصلة ، وكانت وصية الخليفة للقابع : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تقتلوا^(١) ولا تثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ، ولا تعمقوا نخلا وتحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبجوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا ، وسوف تمرن بناس قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهوم وما فرغوا له أنفسهم) ، وقد ذكر هذا ابن الأثير المؤرخ المشهور .

ثم انتقل الحكم في فلسطين إلى الأتراك سنة ١٥١٧ ميلادية ، في زمن السلطان سليم الأول ، وظلت فلسطين في حوزتهم مدة ٢٠٠ سنة ، وكان العرب سكانها ، وكانوا شركاء مع الأتراك في حكمها وإدارتها . وفي سنة ١٩١٨ احتلها البريطانيون ، ولا يزالون فيها إلى الآن .

ذلك تاريخ فلسطين العربية ، يدل على أن العرب أول سكانها ، سكنوها ثلاثة آلاف سنة وخمسة قبل الميلاد ، واستمر سكانهم فيها بعد الميلاد إلى اليوم ، وحكموها وحدهم ومع الأتراك ألفا وثلثمائة سنة تقريبا ، أما اليهود فلم تتجاوز مدة حكمهم للتقطع فيها ٣٨٠ سنة ، وكلها إقامات متفرقة مشوشة . ومن منذ سنة ٣٣٢ قبل الميلاد لم يكن لليهود في فلسطين أي وجود أو حكم ، إلى أن دخلت القوات البريطانية فلسطين سنة ١٩١٨ .

(١) القائل : السرة من مقام الحرب .

ومعنى ذلك أن اليهود منذ ألفين ومائتى سنة، لم يكن لهم فى فلسطين عدد ولا نفوذ. ولما دخل البريطانيون فى فلسطين ، لم يسكن عدد اليهود يزيد على ثمانين ألفا ، كانوا يعيشون فى رغد وهناء ورخاء، مع سكان البلاد الأصليين من العرب، ولذلك فاليهود لم يكونوا إلا دخلاء على فلسطين فى حقب متفرقة من الزمن ، ثم أُخرجوا منها منذ أكثر من أثنى سنة .

أما الحقوق الثابتة للعرب فى فلسطين فتستند :

- ١ — على حق الاستيطان ، الذى استمرت مدته منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، ولم يخرجوا عنها فى يوم من الأيام .
- ٢ — وعلى الحق الطبيعى فى الحياة .
- ٣ — ولوجود بلادهم المقدسة فيها .
- ٤ — ليس العرب دخلاء على فلسطين ، ولا يراد جلب أحد منهم من أطراف المعمورة لإسكانه فيها .

أما اليهود فإن دعواهم التاريخية هى مغالطة ، ثم إن حكمهم القصير فى فترات متقطعة كما ذكرنا ، لا يعطيهم أى حق فى ادعائهم أنهم أصحاب البلاد ، لأن احتلال بلد ما ، ثم الخروج منه ، لا يحوّل أى شعب ادعاء ملكية تلك البلاد ، والمطالبة بذلك، وتاريخ العالم مملوء بمثل هذه الأمثال .

إن حل قضية اليهود المضطهدين فى العالم ، تختلف عن قضية الصهيونية الجائرة ، فإن إيجاد أما كن لليهود المشتتين ، يمكن أن يتعاون عليه جميع العالم ، وفلسطين قد تحملت قسطا فوق طاقتها . وأما نقل هؤلاء المشتتين ، ووضعهم فى بلاد آهلة بسكانها ، والقضاء على أهلها الأصليين ، فأمر لاشئ له فى التاريخ البشرى .

وإننا نوضح بصراحة ووضوح أن مساعدة الصهيونية فى فلسطين ، لايعنى خطرا

يهدد فلسطين وحدها ، بل إنه خطر يهدد سائر البلاد العربية . وقد أقام الصيونيون الحجة الناصعة على ما ينوونه في فلسطين ، وفي سائر البلاد المجاورة ، قداموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة . ومن خطأ القول أن يقال إن هذا عمل شرذمة متطرفة منهم ، وإن ذلك قوبل باستنكار من جمعياتهم وهيئاتهم . وإنا نقول : إن أعمال الصيونيين في فلسطين وفي خارجها ، صادرة عن برنامج متفق عليه ، ومرضى عنه من سائر اليهودية الصهيونية ، وقد بدأ هؤلاء أعمالهم المنكرة بالإساءة للحكومة التي أحسنت إليهم وآوتهم ، وهي الحكومة البريطانية ، فأعلنت جمعياتهم الحرب على بريطانيا ، وأسست لذلك تشكيلات عسكرية خطيرة ، تملك في فلسطين في الوقت الحاضر ، كل ما تحتاج إليه من الأسلحة والمعدات الحربية ، ثم قام أفرادها بشتى الاعتداءات ، وكان من أظلمها الاعتداء على الرجل القذ ، الذي كان ممثلاً بالحب والخير لصالح المجتمع ، وكان من أشد من يعطف على اليهودية المضطهدة ، وهو (اللورد موين) . وما يدل على أن فعلتهم المنكرة كانت مؤيدة من مجموع اليهود ، المظاهر والساعى التي قام بها رجال الصهيونية في كل مكان ، في طلب تخفيف العقوبة عن المحرّمين ، ليعرّوا على أمثالها .

فهذه أفعالهم مع الحكومة التي أحسنت إليهم كل الإحسان ، فكيف يكون الحال لو مُكِّنوا من أغراضهم ، وأصبحت فلسطين بلدا خالصا لهم ، يفعلون فيها وفي جوارها ما يريدون .

لو ترك الأمر بين العرب وبين هؤلاء المعتدين فرما هان ، ولكنهم محميون من قبل الحكومة البريطانية صديقة العرب ، فاليهودية الصهيونية لم تراع حرمة هذه الحماية ، بل قامت بتدمير جبال الشمر ، وبدأتها ببريطانيا ، وأذرت العرب بعد بريطانيا ، بمنثها وأشد منها . فإذا كانت الحكومات المتحالفة التي تشمر العرب

بصدقاتها ، تريد أن تشعل نار الحرب والدماء بين العرب واليهود ، فإن تأييد الصهيونية سيوصل إلى هذه النتائج .

وإن أخشى ما تخشاه البلاد العربية من الصهيونية هو :

- ١ - أنهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب .
- ٢ - ستكون اليهودية الصهيونية من أكبر العوامل في إفساد ما بين العرب والحلفاء ، وأقرب دليل على ذلك قضية اليهوديين في مقتل (اللورد موين) في مصر ، فقد قدر اليهود أن يخفوا فاعلى الجريمة ، فيقع الخلاف بين الحكومة البريطانية ومصر .
- ٣ - أن مطاعم اليهود ليست في فلسطين وحدها ، فإن ما أعدوه من العدة ، يدل على أنهم ينوون العدوان على مجاورها من البلدان العربية .

٤ - لو تصورنا استقلال اليهود في مكان ما في فلسطين ، فما الذي يمنعهم من الاتفاق مع أى جهة قد تكون معادية للحلفاء ومعادية للعرب ، وهم قد بدءوا بعدوانهم على بريطانيا ، وهم تحت حمايتها ورحمتها .

لا شك أن هذه أمور ينبغي أخذها بعين الاعتبار في إقرار السلام في العالم ، عندما يُنظر في قضية فلسطين . ففضلا عن أن حشد اليهود في فلسطين ، لا يستند إلى حجة تاريخية ، ولا حق طبيعي ، وأنه ظلم مطلق ، فهو في نفس الوقت يشكل خطرا على العرب ، وعلى الشرق الأوسط .

وصفة القول : أن تكوين دولة يهودية بفلسطين ، سيكون ضربة قاضية على كيان العرب ، ومهددا للسلام باستمرار ، لأنه لا بد أن يسود الاضطراب بين اليهود والعرب ، فإذا نفذ صبر العرب يوما من الأيام ، ويشوا من مستقبلهم ، فإنهم يضطرون للدفاع عن أنفسهم ، وعن أجيالهم المقبلة بإزاء هذا العدوان ، وهذا بلا شك لم يخطر على بال الحلفاء ، العاملين في سيادة السلم ، واحترام الحقوق ، ولا نشك أنهم لا يرضون هذه الحالة المقلقة لسلام الشرق الأوسط .

ما كنت أريد في هذا المعترك العظيم ، أن أشغل فخامتكم ورجال حكومتكم العاملين في هذه الحرب العظمى ، في هذا الموضوع ، وكنت أفضل — وأنا واثق من إنصاف العرب من قبل دول الحلفاء ، أن يستمر سكوت العرب إلى نهاية الحرب ، لولا ما تراه من قيام هذه الفئة الصهيونية اليهودية ، بكل عمل مثير مزعج ، غير مقدرين الظروف الحربية ، ومشاغل — الحلفاء حق قدرهما ، عاملين للتأثير في الحلفاء بكل أنواع الضغط ، ليحملوم على اتخاذ خطة ضد العرب ، تختلف عما أعلنه الحلفاء من مبادئ الحق والعدل .

لذلك أردت بيان حق العرب في فلسطين على حقيقته ، لدحض الحجج الواهية التي تدعيها هذه الشرذمة من اليهودية الصهيونية ، دفعا لعدوانهم ، وبيانا للحقائق ، حتى يكون الحلفاء على علم كامل بحق العرب في بلادهم ، وبلاد آبائهم وأجدادهم ، فلا يسمح لليهود أن ينهزوا فرصة سكوت العرب ، ورغبتهم في عدم التشويش على الحلفاء في الظروف الحاضرة ، فيأخذوا من الحلفاء ما لا حق لهم فيه .

وكل ما تراه ، هو أن يكون الحلفاء على علم بحق العرب ، لينع ذلك تقدم اليهود في أي أمر جديد يعتبر خطرا على العرب ، وعلى مستقبلهم في سائر أوطانهم ، ويكون العرب مطمئنين من العدل والإنصاف في أوطانهم .
وتفضلوا بقبول فائق احترامي .

الختم الملكي

البيت الأبيض — واشنطن ١٥ إبريل ١٩٤٥

الصديق الطيب العظيم :

لقد تلقيت الرسالة التي بمتسوها جلالتك لي بتاريخ ١٠ مارس ١٩٤٥ ، والتي أشرت فيها إلى قضية فلسطين ، واهتمام العرب المستمر بسير التطورات التي تؤثر في تلك البلاد .

إني متعيط أن جلالكم انتهزتم هذه الفرصة للفت انتباهي لأرائكم في هذه القضية، وقد أعطيت أدق الانتباه للبيانات التي أدرجتموها في كتابكم . وإني أيضا ملئ بالخطاير بالمحادثات التي لا تنسى ، التي جرت بيننا منذ أمد غير بعيد ، والتي في أثناءها تهيأت لي الفرصة لأدرك أي أثر حي لأراء جلاتكم في هذه القضية .

تذكرون جلاتكم أنه في مناسبات سابقة ، أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين، وأوضحت رغبتنا بأن لا يتخذ قرار فيما يخص بالوضع الأساسي في تلك البلاد ، بدون استشارة تامة مع كلا العرب واليهود ، ولا شك أن جلاتكم تذكرون أيضا أنه خلال محادثاتنا الأخيرة ، أكدت لكم أنني لن آخذ أي عمل ، - بصفتي رئيسا لفرع التنفيذ لهذه الحكومة - يتضح أنه عدائي للشعب العربي .

وإنه لما يسرنى أن أجدد لجلالكم التأكيدات التي تلقيتوها جلاتكم سابقا ، بخصوص موقف حكومتى وموقفى كرئيس للسلطة التنفيذية ، فيما يتعلق بقضية فلسطين ، وأن أعلمكم بأن سياسة هذه الحكومة غير متغيرة .

وإني أرغب في هذا الوقت لأبث لكم أحسن تيمنان ، بدوام صحة جلاتكم ، ورفاه شعبيكم .

صديقكم

التوقيع (فوانكلن . د . روزفلت)

حضرة صاحب الجلالة ، عبد العزيز بن الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك
الملكة العربية السعودية .

الرياض

وقد أنشأ كتاب الرئيس روزفلت هذا ، إلى ملأاريح ومن جلالته ،
في اجتماع البحيرات الوردية في قلعة السويدي .

وفيا بلى نص مادار بينهما :

التاريخ ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥

لقد سأل فخامة الرئيس «روزفالت» جلالة الملك عن نصيحته ، فيما يراه بخصوص قضية هجرة اليهود الذين جئوا عن أوطانهم في أوروبا . فرد جلالاته على فخامته بقوله : إن من رأى جلالاته أن يعود هؤلاء اليهود المُقْتَصُونَ عن بلادهم ، ليعيشوا في البلدان التي أُخرجوا منها .

أما اليهود الذين دُمِّرت أوطانهم تدميرا تاما ، والذين لانتوا تبهم الفرض لأن يعودوا للعيش في أحضانها ، فيجب أن يعطوا أماكن يعيشون فيها ، في أراضي دول المحور التي اضطهدتهم . وقد لاحظ فخامة الرئيس ، أن بولندا يمكن أن تعتبر مثالا في هذا الصدد ، إذ يتجلى أن الألمان قتلوا من سكانها ثلاثة ملايين يهودي بولندي ، وهذا مصناه وجوب إيجاد أماكن لكثير من هؤلاء اليهود ، الذين أصبحوا بلا مأوى . وحينئذ عرَّ جلالة الملك عن وضع العرب وحقوقهم الشرعية في بلدانهم ، ثم صرح جلالاته بأن العرب واليهود لا يمكن أن يتعاون بعضهم مع بعض ، لا في فلسطين ، ولا في أى بلد آخر . وقد استرعى جلالاته الانتباه إلى زيادة تهديد حياة العرب وكيانهم ، وتفاقم الأزمة الناتجة من استمرار الهجرة اليهودية ، وشراء اليهود الأراضي العربية .

وزاد جلالة الملك على ما تقدم ، أن العرب يختارون الموت على أن يسلموا بلادهم لليهود . ثم صرح جلالة الملك أن أمل العرب مبنى على كلمة الشرف التي قالها الجناء ، وعلى الحقيقة المشهورة لدى الجميع ، من حب الولايات المتحدة الأمريكية ، لتعدل ، وعلى مانايط العرب من الرجاء والأمل بالولايات المتحدة الأمريكية لمعونتهم ومساعدتهم . وقد ردَّ فخامة الرئيس على ذلك ، بأن فخامته يود أن يؤكد لجلالاته ، بأنه لن يعمل أى شيء يساعد به اليهود ضد العرب ، وأنه لن يعمل أية حركة عدائية نحو العرب .

وذكر جلالة الملك أنه من المستحيل أن يمنع الكلام أو إبداء الآراء في البرلمان الأميركي ، أو في الصحافة الأمريكية ، فيما يتعلق بأى موضوع ، وأن تأكيداتته تعتبر نفس سياسته المقبلة ، كسلطة تنفيذية لحكومة الولايات المتحدة الأميركية . وقد شكر جلالة الملك الرئيس على هذه التأكيدات . وذكر لفخامته المشروع الرامى إلى إرسال وفد عربى إلى كل من أميركا وبريطانيا ، لتوضيح قضية العرب بفلسطين . فقال فخامته : إنه يعتقد أنها فكرة جيدة جدا ، لأنه يعتقد أن كثيرا من الناس في أميركا وإنكلترا يجهلون ذلك .

فقال جلالة الملك : إن إرسال وفد عربى لتتوير رأى العام في قضية العرب ، إلى أميركا وإنكلترا هو فكرة صائبة ومفيدة ، ولكن أهم من كل ذلك عند جلالاته ، ما صرح به فخامته الآن لجلالاته ، فيما يتعلق بسياسته العليا تجاه العرب . وتكلم الرئيس عن حبه الشديد للزراعة ، ملاحظا أنه هو نفسه كان مزارعا ، وملاحظا الحاجة إلى إيجاد المياه الكافية لزيادة وتوسيع الأراضى ، التى يمكن زراعتها وربها بالآلات تقوم برى البلاد .

وعبر فخامته عن رغبته الخاصة فى الرى ، وتشجير الأرض : وقوة المياه التى يؤمل فخامته أن تنتشر بعد الحرب فى كثير من البلدان ، ومن بينها بلاد العرب ، وقال إنه يجب العرب ، وذكر جلالة الملك فى زيادة الأراضى المزروعة واتشارها .

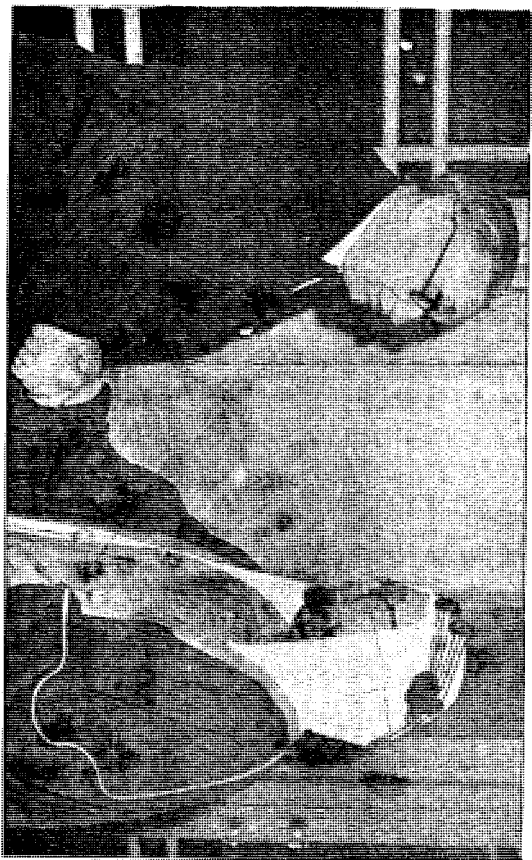
فشكر جلالة الملك فخامته على تشجيعه الخاص للزراعة ، ولكنه قال إنه شخصيا لا يرى الارتباط بشئ بشأن الزراعة ، إذا كانت النتيجة ستكون تغلب اليهود فى بلاد العرب .

وفى ربيع سنة ١٩٤٦ دعا الملك فاروق ملك مصر السابق ، إلى عقد مؤتمر من رؤساء الدول ، بدون استشارة حكومته ، التى كان يرأسها فى ذلك الوقت «إسماعيل صدقى

باشا» ، وكان وزير الخارجية « لطفى السيد باشا » ، فكادت هذه الدعوة تحدث أزمة سياسية في مصر ، كما كادت رحلته إلى « رَضْوَى » في سنة ١٩٤٥ تحدث أزمة أيضا .

لقد أوفد الملك « عبد العزيز » ولي عهده الأمير « سعود » ، وقد وصف جلالة هذا المؤتمر بأنه مؤتمر دعاية ، لا مؤتمر عمل ، وقد تجلى ذلك في البلاغ الذى أصدره بعد اجتماع ثلاثة أيام ، فإنه لا يختلف عن المقالات التى كانت تنشر في هذا الصدد .

لقد كان من رأى جلالة الملك عبد العزيز دائما ، عدم اشتراك الدول العربية في أية حرب في فلسطين ، لأنه كان يعلم اختلاف الأهداف والغايات ، التى كانت تدفع بعض الدول العربية ، وأن الأفضل تسليح أهالى فلسطين ، ومساعدتهم ماديا للدفاع عن بلادهم . وكان هذا رأى المرحوم محمود فهمى النقراشى ، ولكن لأمر أَرَادَهُ اللهُ للأمة العربية ، تغلب الجهل وقصر النظر على العقل ، كما تغلب الهوى والغياة على العقل والوطنية ، فوقعت الكارثة على فلسطين ، ولكن هذه الكارثة الهامة نبهت الأمة العربية ، وأيقظتها إلى الخطر الداهم المحيط بها ، وهى الآن تقوى نفسها ، وتصلح ما فسدت من أمرها ، وسيأتى اليوم الذى تسترد فيه هذه الأمة العربية بلادها ، ويعود اللاجئين إلى وطنهم محززين ، ماداموا على أنفسهم معتدين ، وبالحق مستسكين ، وبالله معطين : (حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا) .



المؤلف ومستر بيغن وزير خارجية إنجلترا عام ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٦ م

٢ - المسألة السورية

ليست سورية بمنقطعة عن نجد ، أوفى عزلة عنها ، فالتجارة بين سورية وشمال نجد متصلة من قديم الزمان ، وقبيلة « عَنَزَة » التي تسكن سورية والعراق ، هم أبناء عم «عَنَزَة» الساكنين في نجد ، والصلة بين الجميع لاتنقطع . ويسكن سورية عدد غير قليل من النجديين ، وسورية سوق محبوبة للتجار النجديين ، يحملون إليها جواهرهم وسمنهم وغنمهم ، ويحملون منها ما يحتاجون إليه من سلع .

أما من الناحية السياسية ، فلم تكن نجد تهتم بتتابع سورية السياسية إلى ما بعد الحرب الأولى ، حين احتل الفرنسيون دمشق ، وأخذ أحرار سورية يناضلون لاسترداد حقوقهم ، ورسلمهم تفد إلى الرياض طلبا للنجدة والمساعدة . وبعد استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز ، أخذت رسلمهم تفد إلى الحجاز ، تشرح آلامهم وآمالهم ، وتحذيرهم من الظلم المحيق بهم ، وكان جلالة الملك «عبد العزيز» يواسيهم ، ويخفف من آلامهم ، بجميع الوسائل الممكنة ، كما كان يمدمهم بالسلاح في بعض الأحيان ، ولذلك ليس من الغريب أن يعده الزعماء السوريون واللبنانيون أبائهم ، وما من زعيم عربي إلا وجلالته يد عليه ، وهو لا يرى ذلك إلا واجبا عليه ، أوجبه عليه قيادته ، ومركزه العربي الخطير ، لقد كانت الرياض إلى وقت قريب كعبة آمال العرب ، ومناط آمالهم .

لقد أبدى جلالة الملك «عبد العزيز» نشاطا عظيما في أثناء الحرب العالمية الأخيرة ، وقدم الكثير من النصائح الثمينة للوافدين عليه من الأمريكيين والبريطانيين ، مما كان له أثره في إقصاء الفرنسيين عن سورية إلى غير رجعة .

ولقد حاول الزميل الراحل فؤاد حمزة ، وكان يقيم مؤقتا في بيروت ، أن يلعب دورا

خطيرا ، للتقريب بين الملك عبد العزيز والفرنسيين ، واستعمال نفوذه لدى الزعماء السوريين ،
لمعقد معاهدة بين سورية وفرنسا ، كالمعاهدة العراقية ، وكاد الملك عبد العزيز يقع
في هذه الأخطاء ، وقد صادف وجودى فى مكة فى سنة ١٩٤٥ وكان السيد
«موسى التلمى» موفدا من السيد «شكرى القوتلى» ، فأخبرته بالدور الذى كان يلعبه
فؤاد حمزة ، وأبى الواجب أن يقدم شكرى القوتلى بنفسه ، حتى يصفى الجو
بينه وبين الملك عبد العزيز ، إذ أن المصلحة العربية تقضى بذلك ، وبالفعل حضر السيد
«شكرى القوتلى» إلى مكة ، وصفا الجو بين الاثنين .

وخدمة للتاريخ يجب أن نذكر بالشكر الموقف الذى قام به «الجنرال سبير»
فى ذلك الوقت .

ويجب ألا ننسى الدور الذى قام به جلالة الملك «عبد العزيز» فى أثناء ثورة حسنى
الزعيم ، والحناوى ، والشبكلى . وهذا كله معروف لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل .

٣ - المسألة المصرية

كانت مصر ملجأ وملأذاً لأحرار العرب السوريين واللبنانيين ، الذين ذاقوا الأمرين
تحت الحكم التركى ، بل كانت مصر ملجأ لأحرار الترك أيضا ، الذين كانوا يسمعون
للتخلص من سلطان «عبد الحميد» واستبداده .

لقد اتخذ كثير من أحرار العرب مصر وطناً لهم ، قبل الدستور التركى وبعده :
استوطن مصر رفيق العظم ، والكواكبي ، والسيد رشيد رضا ، وعبد الرحمن
الشاهندرز ، وغيرهم من زعماء العروبة . ولكن الزعماء المصريين والكتاب المصريين
الأحرار ، كانوا مشغولين بتحرير بلادهم من التتير البريطانى ، فلم يشغلوا أنفسهم
بالمشاكل العربية ، إلى أن انتهوا من مشاكلهم الخاصة ، ولكن الصحف المصرية
قامت بواجبها للدفاع عن إخوانهم .

ولقد كان يُنظر إلى حمد الباسل، وأحمد زكي باشا، الذي يُلقَّب بشيخ العروبة، ومحمد علي علّوبة، نظرة استغراب، لاشتغالهم بمائل تخرج عن النطاق المصرى . ولكن الوعي العربى فى مصر قد ظهر لأول مرة فى مجلس عصبة الأمم ، بدفاع وزير الخارجية المصرية (واصف غالى) عن قضية فلسطين ، وقد كان لدفاعه أثر طيب فى البيئات السياسية . ومؤتمر فلسطين سنة ١٩٣٩ فى لندن ، يعتبر أول خطوة صحيحة لدخول مصر فى معترك النضال العربى ، بالرغم من معارضة الزعماء القدامى أمثال « إسماعيل صدق » .

لقد كان كل هذا حافزا للملك عبد العزيز بن سعود ، أن يهتم بمشاكل الشرق الأوسط ، ويسعى جاهدة لمساعدة مصر فى حل مشاكلها مع بريطانيا ، وبريطانيا تعتبره الصديق الوفى ، الذى يبق على صداقته ؛ ولم تغيره المحن التى ألتت ببريطانيا فى أثناء الحرب الأخيرة .

لقد تألم أشد الألم يوم هجم السفير البريطانى على قصر عابدين فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، واعتبر هذا العمل حماقة كبرى من بريطانيا ، فهى إهانة لمصر فى شخص ملكها ، وكان من مساعيه غير الظاهرة ، أن نقل السفير البريطانى من مصر . وفى سنة ١٩٤٧ أمرولى عهده الأمير سعود (الملك سعود الآن) أن يقوم بالاتصال بوزارة الخارجية ؛ لتخفيف حدة التوتر ؛ وإيجاد حل يمكن أن يكون مقبولا بين الحكومتين ، لأن مسألة السودان كانت العقبة الوحيدة فى طريق الاتفاق .

والبرقية الآتية التى أرسلت للسفير السعودى فى باريس ، والمؤرخة (١٦ / ٢ / ٧١) والملحق الخاص للمؤرخ (٢٣ صفر ١٣٧١) يشرحان بكل وضوح ؛ اهتمام الملك عبد العزيز بالقضية المصرية ، التى يعتبرها قضية العرب جميعا ؛

عدد ١٤١٨

من جلالة الملك العظيم

إلى نجدية باريس

تاريخ ١٦ / ٢ / ١٣٧١

(ج عدد ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥)

اطلعنا على حديثك مع المستر إيدن ، ونحن منتبظون من حديث إيدن معك ،
وجوابك عليه كان موقفا ، وطبقا لرغبتنا .

أنت، إن كان المستر إيدن في باريس ، أو إن كان سيرجع قريبا ، فأخبره بالجواب
التالى ، وإن كان سيتأخر ، فأرسل له رسالة شفوية منك ، بواسطة سفيرهم ، فيما يأتى :
« إننا منتبظون من حديثه معك ، وإننا منذ أن علمنا باستلامه وزارة الخارجية البريطانية ،
كنا على ثقة من أن المزايا العالية التى يتصف بها ، من حكمة وبعد نظر ومقدرة سياسية ،
ستساعد على حل المشاكل التى لاتعرض لها بريطانيا وحدها ، بل تتعلق بسائر العالم .
أما صداقتنا مع بريطانيا فاضينا فى الأيام الخالكة ، لا حاجة بنا إلى بيانها ، لأنه يعرفها
أكثر مما يعرفها غيره ، ونحب أن يكون على ثقة بأن موقفنا مع بريطانيا فى الحاضر
والمستقبل ، لن يكون دون موقفنا فى السابق ، بل سيكون أشد وأمتن إن شاء الله .

أما الموقف بينهم وبين مصر ، فنعتقد أنه لم يكن أحد متأثرا ومتأسفا من هذا
الموقف أكثر منا ، لأننا قد درخنا ذلك على الجميع ، أكثر مما يقدره أى إنسان آخر ،
ولذلك كان ولا يزال قلقنا عظيما ، ولا يخفف من حدة هذا القلق ، إلا شعورنا برجاحة العقل
البريطانى ، ووطننا الحسن بالمستر «إيدن» وحكمته : للوصول إلى التناهم مع المصريين ، وأن
يتخذ لذلك الأسباب والوسائط السرية والعلنية ، حتى يُحَلَّ بالحسن والاتفاق والتناهم .
ونحب أن يكون «المستر إيدن» واثقا من أننا ما ادخرنا جهدا فى بذل كل ما يمكن من
العمل مع إخواننا المصريين ، ولكن كما يعلم إننا لانحب الإعلان عن مساعدتنا . وزيادة
على ذلك ، فإنه إذا بدا لنا أى شئ ، أو طريق يسهل الأمر بينهم وبين مصر ، فسننتهزم
ونخبرهم به ، ولكن كل ما ننتظره الآن ، هو بذل مساعى الحكومة البريطانية مع

الحكومة الأمريكية ، للحصول ، إلى تفاهم مع المصريين . ونحب أن يكون واضحاً أننا سَبَقَ أن أيدنا مصر في الجامعة العربية في مطالبتها القومية ، ولا يمكن التغلف عن هذا التأييد ، لأن هذا يخل بصفوف الدول العربية ، وتأيدنا لمصر يجمع الكلمة ، ويساعد على السير مجتمعين في مشاكل الشرق ، لأن كل ما يهمننا هو قطع الطريق على الدعاية الشيوعية ، وعلى الشيوعيين في البلاد العربية .

هذا ما ينبغي أن نُخَبِّرَ به «مستر إيدن» أما البحث في اللجنة السياسية للدول العربية فبشأن قضية مصر . فنحن وسائر الدول العربية ، سبق أن أيدنا مطالب مضر القومية ، ونحن على تأييدنا لها في الحاضر والمستقبل .

أما موقفنا بشأن موضوع الدفاع المشترك ، فسبق أن أبلغنا الدول الأربع ، أن قضية الخلاف بين مصر وبريطانيا ، هي العقبة في الموضوع ، ورجونا حل هذه القضية ، وموقفنا في هذه النقطة لا يزال كما كان .

عبد العزيز

ملحق خير وسرور إن شاء الله ، لحافظ وهبة : الرقم ١٨٩/٤/٩/٢٨

الرياض في ٢٣ / صفر الخير ١٣٧١

أخذنا كتابكم المرفق بهما كتاب «المستر إيدن» وقد أرسلنا إليه الجواب عنه ، وأنتم تحرصون على أن تقابلوه ، وتسلموه إليه ، وتفيدوه شفهياً زيادة على الكتاب ، أننا لازلنا على الصداقة التي يعمدونها فينا في الأيام العصية ، وأتينا إن شاء الله لا يأتي من جهتنا إلا الصدق والوفاء .

ونود أن تذكروا له كذلك ، أننا نعلق أكبر الأمل عليهم ، وعلى أصدقائنا وأصدقائهم الأمريكيين ، في حل مشاكل الشرق الأوسط ، وبالأخص مسألة مصر

التي يتوقف عليها كل الأمور ، لأنه يجب ألا نقاط أنفسنا ، بأنه مادام هذا الشعب وهذا الاختلاف في مركز مثل مصر تعلمون أهميته في الشرق الأوسط ، فإن الاستقرار لا يمكن أن يكون. إن الشعوب اليوم غيرها بالأمر في كل البلدان ، وإن العدو الأول السوفيتي ، يقضى كل شعور العداء ضد الغربيين ، والحكمة الرشيدة هي ألا يكونوا عوناً مع العدو ، حتى لا يفلت الزمام ، وتضيع الفرصة ، ونحن نعتقد أنه إذا استعملت بريطانيا حكمها وأتت اليهوديين مع مصر ، فإن يستعصى عليها الأمر ، وستحمد هي نفسها هذه السياسة الرشيدة .

وتفيدونه كذلك أنه قد زارنا الملك طلال ، وقد كانت زيارته زيارة ودية ، ليشكرنا على معاضدتنا إياه في أيام مرضه ومحنه ، لما أن أريد إبعاده عن العرش ؛ ونحن قد أيدنا موقفه ، لأنه حقه الشرعي ، ونرى أن من الوفاء على الحكومة البريطانية ، تأييده كذلك في مركزه ، وفي معاونته ، مهما أمكن ، لما لوالده من علائق وثيقة معها ، ومن تقاليد الحكومة البريطانية الوقوف مع أصدقائها ، والوفاء لهم . وقد ظهر لنا من أحاديثه معنا ، أنه حريص جداً على توثيق العلاقات بينه وبين الحكومة البريطانية ، والتفاهم معها في كل الأمور .

أما من جهة ماصار بيننا ، فلم يحصل أى اتفاق سياسى ، غير الجملات وتوثيق العلائق ، وتوثيقها في المستقبل لخير البلدين .

ولا تنسوا كذلك أن تذكروا له أننا ننظر إلى اختلافنا البسيط ، الذى بيننا وبين الحكومة البريطانية ، على حدودنا الشرقية ، بعين الشعور الذى ينظرون به إليه ، وأنه مهما كانت النتيجة ، فإن ذلك لا يؤثر في صداقتنا التقليدية ، وأملنا الوطيد بأن تحمل الأمور على أحسن حال ، إذ نحن لا نطلب ولا نرغب في أى شئ خارج عن بلادنا ، وليس لنا رغبة في شبر واحد من أراضى الغير ، فيكون ذلك معلوماً .

والسلام .

٤ - فلبي وقضية فلسطين

مستر فلبي ، أو عبد الله فلبي ، رجل غريب الأطوار ، أما أنه أكثر الإنكليز رحلة في جزيرة العرب ، فأمر لاشك فيه ، ويرجع ذلك إلى المساعدات التي كان يقدمها له المرحوم الملك عبد العزيز . وإن كانت أكثر كتيبه لانتحلو من الخط من أحد مرافقيه . كان (فلبي) مولعاً بالملك عبد العزيز ، وكان يراه النجم اللامع في سماء الجزيرة ، كما كان (لورانس) معجبا بالملك فيصل ، وبالأشراف الهاشميين ، وكلاهما بريطاني ، تبهمه المصلحة البريطانية قبل كل شيء .

كان (فلبي) مستشارا لوزارة الداخلية في العراق ، أيام ترشيح الملك فيصل الأول للعراق ، ولكنه لم يكن متحمسا لهذا الترشيح ، ولذلك نحاه المندوب السامي في العراق (السير برنسي كوكس) فنقل إلى شرق الأردن ، وأحيل إلى العاش في سنة ١٩٢٤ ، لأن الأمير عبد الله لم يهضمه ، وهو لم يهضم عبد الله .

وفي أوائل سنة ١٩٢٥ وصل إلى جُدة هو والسيد طالب النقيب ، ليقوما بالوساطة بين الملك عبد العزيز ، والأمير علي بن الحسين ، المحاصر في جُدة في ذلك الوقت ، ولسكن الملك عبد العزيز رفض هذه الوساطة ، لأن هدفه هو تحرير الحجاز من طينان الأشراف .

وفي خريف سنة ١٩٢٥ وفد على الحجاز من طريق رابغ ، فقابله الملك عبد العزيز في الشَّعْبِي ، فكان كل هم (فلبي) في ذلك ، أن يَعِدَهُ الملك عبد العزيز بمساعدته في أعماله التجارية في المستقبل ، فوعده الملك بذلك ، وقد وُفِّيَ جلالته بوعده ، بل تجاوز جلالته الوعد ، بتعصب جلالته لبعض مشروعات (فلبي) ، كما ساعده في تحمّل جميع نفقات رحلاته في جزيرة العرب ، من رجال وإبل وزاد .

كان (فلي) ولا يزال يعتبر جزيرة العرب منطقتة الخاصة ، وابن سعود هو الرجل الذي لا يجوز لغيره أن يتناول الكتابة أو التأليف عنه .

لقد شن حملة نقد على كتاب « كنه ولميز » الصحفي المعروف ، حينما ألف كتابه « ابن سعود » ، وشن حملة أخرى في الصحف والمجلات الأسبوعية ، على كتاب « لورد أف أرابيا » لأرم سترنج ، ولكن أرم سترنج لم يكن خجولا مثل كنه ولميز ، فرد على فلي ردا مليحا ، ونقد مؤلفاته وسيرته الشخصية في بلاد العرب . وقد راج كتاب أرم سترنج رواجاً عظيماً ، وفي أثناء الحرب الأخيرة طبع منه عدة ملايين من النسخ الرخيصة لئلا .

هل فلي صديق مخلص لابن سعود ؟ .

كان (فلي) يذيع في بعض البيئات البريطانية التجارية ، أنه مستشار سياسي ومالي لابن سعود ، ولقد رددت على الصحف التي كانت تصف (فلي) بهذا الوصف . ففلي لم يكن إلا تاجراً مستقلاً ، عطف ابن سعود عليه ، لرواج سلعه ، واتساع تجارته ، ومع ذلك فإن (فلي) لم يكن موفقاً في أي مشروع تجاري كانت له يد فيه .

أما رحلاته العديدة في جزيرة العرب ، فقد خلقت لنا المشاكل مع الإنكليز . لقد كانت الجزيرة سعيدة حينما كانت محاولة للعالم الأوربي .

إن (فلي) كان بلا شك من المعجبين بملك عبد العزيز ، فإن ما كتبه عن الملك عبد العزيز في كتابه « العيد الذهبي لبلاد العرب » بمناسبة مرور خمسين سنة على حكم الملك عبد العزيز ، ينطبق عليه المثل القديم : « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .

لقد روى (فلي) في كتابه أنه في سنة ١٩٤٠ عرض على الملك عبد العزيز عرضاً قدمه ويزمان ، وهو أن ويزمان مستعد أن يدفع ٢٠ مليون جنيه إذا تخلى الملك عبد العزيز عن قضية فلسطين ، والدفاع عنها . فقال له الملك (اسكت) ولا تخبر أحداً . ويقول (فلي) إن الملك في اعتقاده كان ينتظر أن يقاتمه تشرشل أو روزفلت ،

ولكنهما لم يفعلا . لقد شكى الملك عبد العزيز لندوبى روزفلت ، كيف يتصور ويزمان أن رجلا عربيا مثل الملك عبد العزيز يبيع دينه ووطنه ، أما ويزمان فينكر القضية من أولها إلى آخرها .

وأما نحن فنقول : هل (فلبى) سمسار لليهود ، يعرض هذا العرض ؟ وهل يظن أن العرب يعتبرونه صديقا بعد أن يعرفوا هذه الوساطة ؟ ماذا فهم (فلبى) من قول الملك عبد العزيز (اسكت يا فلبي ، لا تخبر أحدا) . لقد فهم أن الملك قد قبل العرض ، ويريد أن يجعله سرا بينه وبين (فلبى) . كبرت كلمة تخرج من فمك يا فلبي ، إن الملك عبد العزيز قد خاف عليك يا أحق ، من بطش الناس بك .

هل تظن يا (فلبى) أن الملك عبد العزيز ضعيف الإيمان مثلك ، فيساوم في دينه ووطنه ؟

لقد أسأت أكبر إساءة للملك عبد العزيز ، وقابلت إحسانه إليك بالإساءة إليه . رحم الله عبد العزيز ، فمهما كتب (فلبى) ومهما افترى على التاريخ ، فإن عبد العزيز العظيم لن يضيره أمثال (فلبى) ، فقلبي معروف عند قومه ، يسعى لبناء نفسه على أكتاف الآخرين ، وإشهار نفسه ولو بهدم الآخرين . لقد أخطأ في حق الرجل ، وفي حق التاريخ ، خطأ لا يقتنر ، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول « اتق شرَّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ » .

الحكومة العربية السعودية

بين عهدين

كان الملك عبد العزيز الملك المطلق غير المنازع ، الأمر الناهى فى حدود الشرع . كان فى أول عهده يباشر المفاوضات مع المندوبين البريطانيين بنفسه ، ولا يقل أن ينوب عنه أحد إلا نادرا .

لقد كانت أعمال الدولة قليلة ، قبل توحيد غربى الجزيرة وشرقها ، كانت وفود البادية تند للرياض ، فيقابلها بنفسه ، ويسمع شكاويها ، ويغمرهم بعطاياها ، كلاً على حسب قدره .

وبعد أن أسست الحكومة السعودية بالحجاز ، وجد شعبا غير شعب نجد ، فنظم المحاكم تنظيما مختلف بعض الاختلاف عن نظام نجد ، وأسس مجلسا للشورى ، يضم عددا غير قليل من أبناء البلاد . غير أن هذا المجلس أخذت سلطاته تناقص شيئا فشيئا ، حتى أصبح صورة ممثلة ، لاحتسب بها ولا حركة . على أن هذا المجلس قد أدى للدولة خدمات قيمة ، بما اقتبس من نظم لإدارات الحكومة المختلفة ، فهى كلها أو أكثرها من وضعه . أما الامتيازات التى مُنحت للشركات ، فلم يشترك أحد من المجلس فى وضعها ، مع أن من بين أعضائه من لا يقل علما وخبرة وإخلاصا عن اشتراكوا فى مفاوضات هذه الامتيازات .

لقد اختار جلالاته ولى عهده الأمير سعودا (ناللك سعودا الآن) ، لينوب عنه فى

إدارة نجد ، كما اختار الأمير « فيصل » ليكون نائباً عنه في الحجاز ، ومع هذا ما كان أمر من الأمور ليبرم بغير أمره وموافقته .

لقد استحدث بعض وزارات في عشر السنوات الأولى من حكم الحجاز ، مثل وزارة الخارجية والمالية ، كما أنشئت وزارة للدفاع في أثناء الحرب العالمية الثانية ، ووزارة المواصلات في السنين الأخيرة من حياته ، ولكن سلطة الوزير في أيامه كانت ضيقة ، فكثيراً ما تجاهل الوزير وكثيراً ما اجتمع مع المندوبين الأجانب ، وتباحث معهم ، بدون حضور وزير الخارجية ، بل كثيراً ما باحته رجال شركة الزيت من الأمريكيين ، بدون حضور وزير المالية ، ومن يجرؤ أن يعترض ؟ أليس هو باني هذه المملكة ومؤسسها ؟ ولكن جلالته كثيراً ما كان يصفى إلى نصائح مستشاريه .

لقد استرعت نظر جلالته إلى خطأ مباشرة المفاوضات بنفسه سنة ١٩٢٥ ، لأنه بشر قد يخطئ ، وليس من السهل رجوع جلالته عن الخطأ ، وليس من الأدب أن يتبّه جلالته أحد إلى خطأ يقع في أثناء المفاوضات ، فأجانبى جلالته بكبرياء : هل تريد أن تفاوض أنت ؟ فقلت : سيتولى المفاوضات من تختاره جلالته ، ولماذا أفوضى أنا أو غيري ، إذا كنا غير متمتعين بثقتك ؟ وعلى كل حال ، لن يتولى أحد المفاوضة بغير تعليمات صريحة واضحة من جلالته ، وستحاطون علماً بكل خطوة يخطوها مندوبكم .

على أن جلالته قد قبل هذه النصيحة بعد ست سنوات ، وقد أرسلتها إلى جلالته من لندن ، بعد مشادة بين جلالته والوزير المفوض البريطاني « السير أندرو رايان » ، فقد استعمل الوزير المذكور بعض كلمات ما كان يليق أن يستعملها مثله ، ولكن الوزير المذكور كان يعمل في السفارة البريطانية باستامبول مدة طويلة كترجمان ، وربما اعتاد استعمال أمثال هذه الكلمات مع الأتراك ، وقد أخفق « السير اندرو رايان » في

مهمته ، فنقل بعد ذلك إلى ألبانيا ، حيث انتهت مهمته باستيلاء إيطاليا على هذه المملكة الصغيرة .

ونظام الحكم في البلاد العربية السعودية كما في غيرها من البلاد الأخرى ، مثل الكويت والبحرين وقطر ، وبعض السواحل على الخليج العربي ، يغلب عليه طابع العصبية ، فالوزراء والأمراء « حكام الأقاليم » غالبا ما يُختارون من الأسرة الحاكمة ، أو ممن يمتون إليهم بصلة القرابة ، ولم يشذ عن هذا إلا السفراء والوزراء المقوضون ، الذين يمثلون الحكومة في الخارج ، وأحيانا تظني الوراثة على الكفاية ، فكثيرا ما رأينا أن بعض الحكام تسند وظائفهم إلى أولادهم أو إخوانهم ، بعد موتهم ، وكذلك اعتاد الناس في البادية ، أن تكون قوة الحاكم بعصبية وجماعته والموالين له ، ولكن الإسلام قضى على العصبية ، وأحل الإخاء محل العصبية .

وإن هذا العرف الذي تسير عليه الجزيرة العربية قد كان عند غيرها من الأمم الأخرى ، ولا بد أن تصيرنا الحوادث والتجارب ، كما صهرت غيرها ، وجدير بنا أن نستفيد من تجارب غيرنا ، ونختار من النظم ما يصلح لبيئتنا وأحوالنا .

هذا ما تراه واضحا في المدن الكبيرة ، مثل الرياض وجدة ومكة .

أما في الأقاليم فيمثل الملك في كل إقليم صغير أو كبير ، حاكما يلقب بالأمير ، ويخطىء كثير من الناس في خارج الجزيرة ، فيظن أن كل « أمير » ينسب إلى الأسرة الحاكمة .

والحاكم الذي يمثل سلطة الملك في ناحيته ، يحيل إلى أصحاب الشرع ما يحدث من منازعات مالية أو غير مالية . والحاكم عرضة للعزل والمقوبة إذا تجاوز حده في ظلم الناس ، أو تهاون في المحافظة على حقوقهم .

وأوسع الأمراء نفوذا ، وأقوام سلطة ، وأعظمهم شأنا ، الأمير عبد العزيز بن

مساعد ، حاكم « حابل » والمناطق الشمالية ، والأمير سعود بن عبد الله بن جلوي
حاكم الأحساء والمنطقة الشرقية ، ووالده الرحوم عبد الله بن جلوي ، أحد أنصار
الرحوم الملك عبد العزيز ، في الاستيلاء على الرياض ، وله الفضل الأكبر في سيادة
الأمن في تلك المنطقة ، التي لم تكن تعرف الأمن ، كما كان للأمير عبد العزيز بن
مساعد فضل كبير في القضاء على الدُّوَيْش وقتلته في سنة ١٩٢٩ .

ومما يجدر ذكره ، أن جد الأمير عبد العزيز بن مساعد ، والأمير سعود بن
جلوي هو شقيق الإمام فيصل العظم ، جد الملك عبد العزيز .

وجميع الأمراء يرفعون مهام الأمور والقضايا إلى جلالة الملك ، ويحيطونه علمابكل
صغيرة وكبيرة ، وقد ساعدتهم على هذا وجود المحطات اللاسلكية في جميع أنحاء البلاد .
على أن بعض الأمراء في الإمارات الصغيرة النائية ، كثيرا ما ينسوه فهمهم التعليمات
الصادرة إليهم من جلالة الملك .

في سنة ١٩٣٦ استدعاني جلالة الملك الراحل إلى الرياض ، لاستكمال البحث
والنظر في القضية الفلسطينية ، ولم تكن الطائرات في ذلك الحين تصل إلى جدة أو
الرياض . كانت أحيانا تقف في الكويت في طريقها إلى الهند ، ومن الكويت لابد من
سيارة إلى الرياض . وكان الوقت صيفا والحر شديدا . وقد تركت الكويت فجرا ،
فوصلت إلى (قرية) أول الحدود النجدية ، وهي على اسمها . وصلت « قرية »
في الضحى ، فكان علينا أن نستريح إلى العصر ، وبعد الغداء أخبرنا الأمير حاكم
« القرية » أنه لن يسمح لنا بالسفر ، قبل أن يأتيه إذن من جلالة الملك ، فسألته هل
عندك تعليمات جديدة ؟ فقال : لا ولكن جلالة الملك أمرنا بذلك . فقلت له : يجب
أن تعلم أنني موظف ، وأني قدمت من لندن إلى هنا في يومين ، بناء على أمر جلالة
الملك ، وأن مالدك من التعليمات لا ينطبق على الموظفين والمواطنين ، وأن في استطاعتك
إحاطة جلالة الملك علما بوصولنا ومسيرنا ، فرفض . فقلت على سبيل المزاح : وإذا

سافرنا قرب الغروب وقبل أن تصل إليك أوامر من جلالة الملك؟ فقال سأوقفكم بالقوة
فقلت: هون عليك يا أخى ، فطلبت من موظف السرى اللاسلكى ، أن يرسل البرقية
الآتية ، إلى جلالة الملك فى الرياض :

الرياض

جلالة الملك

وصلت إلى « قرية » صباح اليوم ، وفى النية مواصلة السفر بعد العصر ، ولكن
الأمير يصير على منعنا ، حتى يأتيه إذن خاص من جلالته ، وقد أُخبرت بأن التعليمات
التي لديه خاصة بالأجانب ، فأرجو من جلالته إصدار أمرهم الكريم للامير حتى
لا تتعطل فى « قرية » .

فوردت البرقية الآتية من جلالته بعد ساعتين :

قرية

حافظ وهبة

نحمد الله على وصولكم إلى قرية بالسلامة ، حالا أبرقنا إلى الملعون الحمار ابن الحمار،
ابن (هنا اسم الأمير) ، كيف يؤخركم وأنتم إن شاء الله تتوجهون إلينا حالا .

وقد عرض على الأمير برقية ماثلة ، فقلت له : يا ولدى لو أضفيت إلى نصيحتى
وأنا أكبر منك سنا ، وأكثر خبرة ، لكنت فى غنى عن هذه البرقية القاسية .
وأرسل أمير آخر من أسراء النواحي النائية فى الجنوب ، إلى جلالة الملك الحالى ، أنه
لاحظ أن كثيرا من المراهقين لا يُحْتَنُونَ . وقد ضحك كل من فى المجلس عند سماع
ذلك ، فإن مثله كان يجب أن يراجع رجال الدين ، وقاضى الناحية ليس يبعيد عنه ، ولا
يدرى أحد كيف لاحظ الأمير (الحاكم) ذلك ، وهو ليس بجديد فى تلك الناحية
وهناك كثير من السخف يدل على جهل بعض الأسراء (الحكام) .

فلعل الحكومة الحاضرة تختار من أبناء البلاد من أحكمهم التجارب ، ومن ذوى البصيرة والعقل فى إدارة الحكم ، فإن الرعية أمانة فى عنق أولى الأمر : « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » .

وقد أنشأ الملك الراحل فى أخريات أيامه ، مجلسا للوزراء ، أسند رياسته لولى عهده الملك الحالى ، وقد كان هذا المجلس يضم الوزراء فى ذلك العهد ، ومستشارى جلالة الملك .

وفى ٢ من ربيع الثانى ١٣٧٣ (٩ نوفمبر ١٩٥٣) توفى الرجل العظيم عبدالعزيز ، فنودى بولى عهده الملك « سعود » ملكا على المملكة العربية السعودية .

وقد بادر جلالتـه بتعيين الأمير « فيصل » رئيسا لمجلس الوزراء ، وبتعيين أخيه الأمير « فهد بن عبد العزيز » وزيرا للعارف ، وأخيه الأمير « سلطان بن عبد العزيز » وزيرا للزراعة وكان ذلك فى ١٨ ربيع الثانى ١٣٧٣ . وفى ١١ رجب ١٣٧٣ أسست وزارة للتجارة

وفى رجب ١٣٧٤ فبراير ١٩٥٥ أعيد تنظيم لائحة مجلس الوزراء ، وافتتح جلالة الملك سعود المجلس بخطاب عرش ، أشبه بخطب العرش التى يفتتح بها البرلمان ، وقد اعتبر هذا عهدا من جلالتـه ، أمام وزرائه وأمتـه . وبالنظر إلى أهمية هذا الخطاب رأينا نقله بنصه ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

فى رجب ١٣٧٤

« محمد إليكم الله الذى بفضلـه تم الصالحات ، ويعونه وقدرته تنجح المساعى ، وتنحقق الآمال ، ونصلى ونسلم على نبينا « محمد » خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى جاء من عند الله بما كفل لنا خيرة الدنيا والآخرة .

أما بعد : فكل منا قدّر ويقدر مقدار الناجحة العظمى ، التي نجحنا بها ، بوفاء
 مجدّد مجدنا ، وبأنى أساس دولتنا، والوالد العزيز «عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل» ،
 قدس الله روحه ، وتمتدّد برحمته ، وجعل مشوار جنات النعيم ، فلقد أعاد لنا بفضل الله
 مجد آبائنا وأجدادنا ، وأسس دولتنا ، فكان لها مركزها بين العالمين ، كما كان له رحمه
 الله من المنزلة في العالم ما تعلمون ، وإن ما تركه لها من التراث ومن السعة العظيمة في
 محافل العالم ، نعتبره ركنا من أركان مفاخرنا ، نتحدث به الأيام والعصور ، ولقد كان
 عزّاؤنا الوحيد ، بعد هذه الناجحة ، ما من الله به علينا ، إذ وهبنا فضيلة الصبر والتجلّد في
 ساعة الناجحة ، فلم يذّهلنا هول المصاب عن الواجب ، للسير في الخطا التي رسمها لنا رحمه
 الله ، وقد واصل جراح قلبنا ، ما رأيناه من التنافس حولنا ، وشدّكم أزرنا ، ومبايعتكم
 لنا بقلوبكم قبل أيديكم ، وما حاطنا به الشعب من تأييد ، ومبايعة على السمع والطاعة ،
 وعلى سنة الله ورسوله ، وهذا يذكرنا بما فعله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 الخلفاء الراشدين ؛ فكان ذلك العزاء الوحيد لنا ولكم واشعبنا ، وكان حافز جديدا
 حدانا إلى مواصلة الليل والنهار ، للعمل على ما فيه النهوض ببلادنا ، وإسعاد شعبنا
 لقد كان ههنا منذ تولينا مقاليد الأمور ، أن نعتصم بكتاب الله ، ونستهدى
 بهدى رسول الله ، وسنة خلفه من السلف الصالحين ، ثم ننبع سيرة والدنا العظيم ، في
 السياسة والإدارة ، وفي كل مجال من مجالات الإصلاح سلك سبيله ، وفتح لنا طريقه ،
 لنتمهّد ما شيد ، ونتم ما بدأ فيه من أعمال ، ونقوم بكل ما نستطيعه ، لما فيه مصلحة بلادنا
 وشعبنا .

لقد جعل الإسلام الأمر شورى بين المسلمين ، فأول ما عقدنا العزم عليه ، هو أن
 نجعل منكم إخواننا وأبنائنا ووزرائنا ، موضع ثقتنا ومشورتنا ، لنبتاعون معكم على
 النهوض بأعباء الحكم في هذه البلاد ، فأنشأنا هذا المجلس - مجلس الوزراء - ليكون
 مصدرا لجميع أعمالنا ، التي تقوم بها في خدمة هذه الدولة ، وسيكون أى عمل في الدولة

مصدره ومرجه متكم وإليكم، على أساس ما يقوم به كل منكم من أعباء ، وكلنا الأمر فيها إليه ، طبقا للأنظمة المقررة له .

وإننا لننمى هذه الفرصة الأولى لافتتاح هذا المجلس الموقر ، لترسم لكم ونبين المهاج الذى سنسير عليه فى حياتنا المقبلة ، بحول الله وقوته :

١ - إن أول ما يهمنى جميعا ، هو الاعتصام بحبل الله المتين ، وأن نتخذ من الوسائل فى داخل بلادنا ، ما يمكن روح التوحيد الخالص فى قلوب أفراد الشعب كافة ، حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده ، وسنسير فى ذلك بهدى كتاب الله ، فى الدعوة إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة فى كل مجال ، وعلى الأخص المدارس ، وسنحرص بحول الله على مراقبة ذلك ، وحث الناس على كل ما يأمر به الشرع الإسلامى ، ومنعهم عن كل ما ينهى عنه ، لأن فى ذلك خيرى الدنيا والآخرة ، ولأنه ليس شئ من الخير إلا دعا له الإسلام ، وليس شئ من الشر إلا نهى الإسلام عنه .

٢ - أما سياستنا الخارجية ، فإننا نرسم فيها خطا والدنا العظيم ، وأول ما يهمنى فيها هو العمل على جمع كلمة العرب ، وتأييد مصالحهم فى جامعهم ضمن ميثاقها ، وضمن معاهدة الدفاع المشترك . وقد أبلغنا الوفد الذى مثلنا فى جامعة الدول العربية ، فى أول اجتماع لها ، بعد استلامنا مقاليد الحكم ، أن يعلن عزمنا الأكيد على مناصرة العرب ، والتعاون معهم فى أى ميدان ، وفى أى مجال ممكن ، لمنع العدوان عنا جميعا ، والتعاون على تحقيق ما فيه الخير والمصلحة لنا جميعا . ونحن سنسير بعون الله فى دعوة البلاد العربية كافة لجمع كلمتها ، وتوحيد قواها لما يجمع شمل العرب ، ويحفظ استقلالهم ، ويرد غائلة العدوان عنهم ، من أى جهة كانت .

وقد تسابقت وفود أكثر الدول العربية الشقيقة إلينا ، لتعزيتنا وتهنئتنا ، ومشاركتنا فى الضراء والسراء ، فلاقينا من مواساتهم ، ما أشرنا أن المصاب كان مصابنا

جميعا ، وقد انتهزنا هذه الفرصة ، فتبادلنا الآراء والأفكار معهم ، لما فيه مصلحة العرب .

وكان آخر ذلك ماسعدنا به من زيارة حضرة صاحب الجلالة أخينا الملك حسين ، الذي اجتمعنا به في «بدنة» حيث واسانا في مصابنا ، وهنأنا بتوليئنا عرش مملكتنا ، وتبادلنا شعور المودة والإخاء بيننا .

وكذلك فإننا نشعر في قرارة أنفسنا بالسرور العظيم ، للعلاقات الودية القائمة بيننا وبين الدول الإسلامية الصديقة ، وأخص بالذكر منها دولة الباكستان ، التي قام رئيسها العظيم ، السيد « غلام محمد » بزيارتنا ، لمواساتنا في مصابنا ، وتمنئتنا بارتقائنا عرش هذه المملكة ، ولتأييد صلاتنا الودية ، وتعاوننا مع حكومة باكستان الصديقة العزيزة .

وإنه ليسرنا أن نقوم بكل عمل فيه جمع لكلمة الإسلام والمسلمين ، في مشارق الأرض ومغاربها .

كلنا يعلم ذلك « السرطان » الذي أنشأ في جسم البلاد العربية ، فقام بأفطع ماعرفه التاريخ من الإجرام ، حيث قتل وشرّد مايقرب من مليون مسلم عربي من فلسطين . ذلك « السرطان » هم الصهيونيون من اليهود ، الذين عرف التاريخ إجرامهم منذ القدم حتى اليوم ، وهم لم يكتفوا بما قاموا به من إجرام ، بل إنهم يعدون العدة لعدوان جديد على البلاد العربية ، تمثلها اعتداءاتهم المتكررة على حدود البلاد العربية المجاورة لهم ، وهم في وضعهم الحاضر لا يهددون البلاد العربية المجاورة لهم فحسب ، بل يهددون العرب في بلاد العالم كله ، ونستطيع أن نقول أكثر من ذلك ، إنهم يهددون الإسلام والمسلمين في أقطار الأرض كافة ، ونحن عاملون مع الدول العربية ، ومع من يتفق معنا من الدول الإسلامية ، للدفاع عن أنفسنا ضد هذا العدوان ، والله ناصرنا بحوله وقوته .

إن سياستنا العامة خارج نطاق الدول العربية ، هي السعى الدائم لتحسين علاقاتنا السياسية مع الجميع . وإنا بعون الله عاملون على تقوية هذه الصلات الودية مع كل الدول التي تظهر الصداقة ، وترغب فيها معنا

وإننا آسفون أن تكون هنا مشكلة بيننا وبين الحكومة البريطانية الصديقة ، لم تمكن من الوصول إلى تسوية فيها حتى الآن ، ونحن عاملون مافيه الجهد ، للمحافظة على كيانتنا وسيادتنا وحقوقنا الموروثة ، بالتفاوض مع الحكومة البريطانية ، لإنهاء المشكل بالطرق السلمية ، ولنا وطيد الأمل بالوصول إلى حل بصورة ودية إن شاء الله .

٣ - لقد كان هنا تقوية جيشنا ، لأنه عماد الدولة ، وعليه بعد الله يتوقف حفظ كيانتنا ، واستقلالنا في الداخل والخارج ، ولذلك فإن الجيش سيخصص له قسم عظيم من الميزانية ، ونحن نعمل في كل ميدان ، لإكثار عدد الجنود ، وتدريبهم تدريبا فنيا ، والاستزادة من الأسلحة اللازمة لهم .

٤ - لقد وجهنا عناية خاصة لما فيه خير شعبنا ، بمحاربة الجوع والفقر والمرض . ولقد عانت بعض مناطق بلادنا متاعب اقتصادية ، بسبب انحباس الأمطار ، فعملنا على نقل قسم كبير من البادية إلى حواضر المدن ، وعملنا على تأمين حاجتهم من العيش ، ونحمد الله الذي حل هذه الأزمة بفضل ، بما من علينا من الغيث ، الذي سيكون مساعدا لإزالة هذه الأزمة .

كما أننا اتخذنا من الترتيبات ، ما يساعد على مساعدة الفقراء في تأمين معاشهم ، ونأمل أن المشاريع العمرانية التي سنقوم بها في البلاد ، ستوجد أعمالا كثيرة ، تُدر الخير على البلاد ، وتوجد أعمالا واسعة النطاق لسائر أفراد الشعب .

٥ - ولقد وجهنا عنايتنا أيضا لرفع المستوى الصحي في البلاد ، فقامت وزارة الصحة بإنشاء المستشفيات العامة والمستوصفات ، وستقوم بكل ما في استطاعتها لمعالجة

المرضى ، ورفع المستوى الصحى ، وبناء مستشفيات ومستوصفات فى سائر أنحاء المملكة .

٦ — ولقد أنشأنا وزارة للمعارف ، للهبوض بالعمل على تعليم الشعب أمر دينه أولا ، ثم ماينفعه فى دنياه ثانيا ، ومنخصص لها فى الميزانية قسطا كبيرا ، لتقوم بنشر العلم فى كافة أنحاء البلاد .

٧ — وكذلك إنشاء وزارة للزراعة ، تعمل للهبوض الزراعى فى أنحاء المملكة كافة ، ولدينا والله الحمد مناطق زراعية غنية ، لا تحتاج إلا إلى المعاونة والتنظيم ، حتى تؤتى أكلها ونمرها ، حيث تغذى بلادنا ، ويمكنها أن تعاون فى تغذية بلاد أخرى بعد ذلك إن شاء الله .

٨ — ولقد أنشئت وزارة للمواصلات ، وهى دائبة على العمل فى الهبوض بما عهد إليها به . وسيكون من مهماتها تأمين المواصلات فى أنحاء مملكتنا الفسيحة الأرجاء .

ولقد تمت دراسة مد خط حديدى من الرياض ، مارا بالوشم فالقصيم فالمدينة المنورة فجدة ، ثم ينتهى فى مكة المكرمة .

وقد وضعت التصاميم اللازمة لهذا المشروع ، وسيباشر العمل فيه لأهميته الحيوية ، فى أول فرصة ممكنة ، ولقد كان أهم ما فكرنا فيه تأمين المواصلات بيننا وبين البلاد العربية ، فانصلنا بحكومتى الأردن وسورية الشقيقتين ، لإعادة سكة حديد الحجاز ، فاستجابت الحكومتان لدعوتنا ، وعقد فى « الرياض » مؤتمر ، تم الاتفاق فيه على الأسس التى يعود الخط بموجبها سيرته الأولى ، وبعثنا بعثة فنية لدراسة الخط ، ووضع تقرير عن تكاليف إصلاحه ، للتعاون مع الدولتين الشقيقتين على إعادته . وسنضع برنامجا تدريجيا لانتتاح الطرق فى مختلف أنحاء البلاد .

٩ — إن العمود الفقرى للدولة لا انتظام مصالحها ، والنهى تقوم عليه الحياة العامة

والخاصة ، هو المال ، وبغير تأمين موارد كافية للدولة ، وبغير تنظيم صرف هذه الأموال ، لا يمكن أن يستقيم لنا أمر ، أو نتجح في أى عمل عمرانى أو تجارى أو اقتصادى . وكلنا يعلم كيف تأسست وزارة المالية فى هذه الدولة ، وماهى الأعباء التى أرهقت كواهلها ، وقد سر علينا وقت كانت كل أعباء المشاريع العمرانية والاقتصادية والزراعية والصناعية وغيرها ، بل وحتى العسكرية أيضا ، على عاتق وزارة المالية . وهذا بالطبع حمل تنوء به العنبة أولو القوة ، فضلا عن فرد أو أفراد . ولذلك أخذنا على عاتقنا تخفيف هذه الأعباء عن هذه الوزارة ، وجعلها وزارة للمالعى الصحيح ، بحيث تتولى جمع كل واردات الدولة ، كما تتولى صرفها ضمن الميزانية المقتدة ، وما كان يجوز فى السابق لضيق الموارد أو قلة المشاريع العمرانية التى كنا نضطلع بها ، لا يجوز اليوم بعد اتساع الموارد ، وتعدد المشاريع العمرانية ، التى ينبغى النهوض بها . لذلك أمرنا بإعداد ميزانية للدولة ، تعرض على مجلسكم ، لمناقشتها وإقرارها ، وأمرنا بمجعلها ثلاثة أقسام قسما لموازنة دوائر الدولة ومصارفها ، وقسما ثانيا يخصص للمشاريع الإصلاحية العمرانية التى ستعرض على مجلسكم لإقرارها ، وقسما آخر للاحتياط والطوارئ .

١٠ - وبالنظر لرغبتنا فى تعاون شعبنا معنا فى كل ما يتعلق بماله مصلحة فيه ،

أمرنا أن يكون فى كل بلد من بلداننا ، مجلس إدارى ، يجتمع برئاسة أمير البلدة وقاضيه ، مع رؤساء الدوائر ، ووجهاء البلد ، لبحث الأمور التى تتعلق بمصلحة البلد نفسها ضمن نظام مخصص لذلك .

كما أمرنا بتعميم تأسيس مجالس بلدية ، تنظر فى الشئون البلدية ، للنهوض بكل بلدة ، بما يصلح شأنها ، ويقوم عمرانها .

وبالإضافة إلى ذلك ، قد قررنا وضع برنامج مستقل ، موزع على سنوات خمس ،

للمشروعات الكبرى ، للإشياء والإصلاح والتعمير ، وسيعرض عليكم عند إعداده ،
للمناقشة والموافقة عليه إن شاء الله .

ولتأمين سير العمل بدقة أمرنا أن يؤسس بين دوائر هذا المجلس ، ديوان
للمحاسبة العامة ، سنكون نحن المرجع الأعلى له ، وسيتولى أمر هذا الديوان مراقب
عام ، بصلاحيات نص عليها في نظام هذا المجلس ، يراقب جميع واردات الدولة
ومصاريفها .

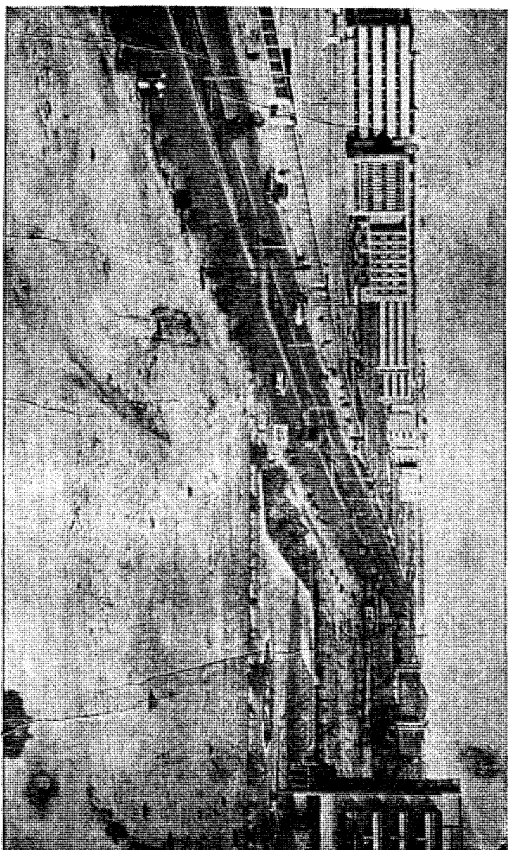
كما أمرنا بتشكيل ديوان تابع للمجلس ، سميناه (ديوان المظالم) ، وسنحيل إليه
كل شكوى ترفع إلينا ، وكل مظلمة تراها ونحبر عنها ، ليقوم بالتنقيش والتحقيق في كل
ذاترة من دوائر الحكومة ، لإعطاء كل ذي حق حقه ، وليطمئن شعبنا بأفراده وقبائله ،
أن بابنا مفتوح لسماع شكواه ، وإنصاف مظلومه .

وقد أمرنا بإنشاء شعبة في هذا المجلس للخبراء ، لمعاونة المجلس في النواحي الفنية
لنشاط الدولة .

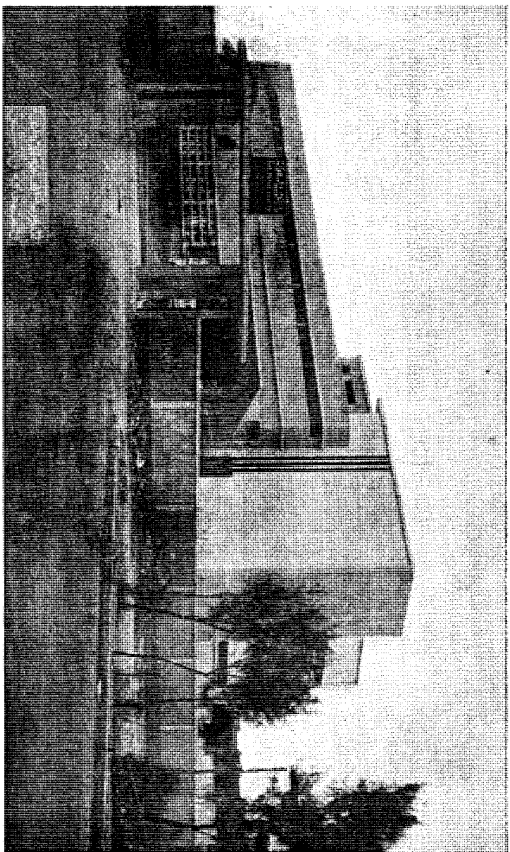
والذي نتبhel به إلى الله سبحانه ، وندعوه مخلصين ، هو أن يُمددنا بعمونه وفضله
وتوفيقه للوصول إلى أهدافنا ، فيما يصلح أمرنا في دنيانا وآخرتنا ، إنه تعالى سميع مجيب ،
وهو نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كان الأمل كبيرا في مجلس الوزراء الجديد ، وكان الأمل أكبر في أن ينهض
المجلس الجديد بمهامه ، وبحقق الآمال التي كان يترقبها الناس .
في جميع أقطار العالم تتولى مجالس الوزراء السلطة التنفيذية ، ولكن المجلس
الجديد ، تولى بالفعل سلطتي التشريع والتنفيذ :



حي الوزارات بشارع المطار في مدينة الرياض



مبنى دار الكتب السعودية (قرب جامعة الملك سعود) بالرياض

وبالرغم من أن المجلس اضطلع بعمل هام في وضع النظم للأدوات المختلفة ، فإن الناحية التنفيذية كان يلزمها التقص والتقصير ، وكان بعض الوزراء يهرب من المسؤولية الملقاة على عاتقه ، فأحيانا يلجأ إلى جلالة الملك ، وأخرى إلى رئيس المجلس . أما من الناحية المالية ، فقد تجاوزت نفقات الدولة مواردها كثيرا ، حتى اضطرت إلى عقد قروض كثيرة ، بضمن شركة الزيت ، وما كادت سنة ١٣٧٧ هـ تدخل ، حتى رأينا انهيارا في قيمة الريال السعودي ، وتزعزعت الثقة في النقد ، بل في الحكومة نفسها .

لا شك أنه كان هنالك تذبذب كبير في المباني الحكومية ، والقصور الملكية ، ومخطيط « الرياض » ، وغيرها من المشاريع التي لا تخلو من فائدة ، والتي كان يمكن أن تتم في عشر سنوات ، بدلا من ثلاث ، وقد كان بالإمكان أن يستمر هذا التدهور ، لولا عناية الله ، ويقظة جلالة الملك وولى عهده .

لقد رأوا أن يستعينوا بذوى الخبرة ، لإصلاح الحال المالية ، وإرسائها على قواعد ثابتة ، فاستعانوا بالبنك الدولي ، الذي أرسل إليهم اثنين من الخبراء ، هما : الأستاذ « أحمد زكي سعد » المصري ، والأستاذ « أنور على » .

فدرس الاثنان حالة البلاد المالية ، وسبب التدهور ، ووضعوا تقريرها الأول ، وهو يلقي اللوم الشديد على من تولوا الشؤون المالية ، والذين لجئوا إلى القروض الأجنبية كلما أعوزهم المال ، إلى أن وصلت الحكومة إلى ما وصلت إليه من التدهور . والتقرير الحال الذي نشر في (١٥ من رجب ١٣٧٨ = ٢٥ يناير ١٩٥٩) يصف الحالة أصدق وصف ، فهو وصف خبير مدقق ، درس الحالة المالية من جميع نواحيها ، ولذلك رغبتنا في نشره ، ليكون سجلا تاريخيا لهذه الحقبة من الزمان .

وفيما يلي نص التقرير ، نقلا عن جريدة « البلاد السعودية » :

« وصلت إلى الرياض بتاريخ (١١ جمادى الثانية سنة ١٣٧٨ هـ ، الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ م) بعد أن أخبرت بأن التقديرات المبدئية للموازنة قد تم إعدادها ، وأوشك ، وأن مناقشتها في مجلس الوزراء ستبدأ عقب ذلك ، تمهيدا للموافقة عليها في أول رجب ، وهو التاريخ الذي حددته الحكومة لبدء العام المالي ، بدلا من أول المحرم . والسبب في ذلك التعديل يرجع إلى أنه وُجِدَ بالتجربة ، أن إعداد الموازنة ومناقشتها قبل أول المحرم ، أمر يتعذر حدوثه ، نظرا لانصراف الحكومة إلى الأمور المتعلقة بالحج ، في الأشهر الأخيرة من العام الهجري .

وقد تشرفت عقب وصولي إلى الرياض ، بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، الذي أظهر لي اغتباطه بما تم حتى الآن ، من تقدم ملحوظ في أمور البلاد النقدية ، وأظهر كعادته استعداده للتضحية بكل مرتخص وغال ، في سبيل إسعاد شعبه الكريم ، وكلفني بالتعاون مع حكومته ، إعداد الموازنة ، وإنجازها في المواعيد المقررة لها .

وقد سألتني جلالتة عن رأيي في الحالة الاقتصادية في البلاد ، فأظهرت له اغتباطي بما تحققت من مطالعة التقارير ، التي ترسل إلى تباعا في واشنطن ، من مؤسسة النقد العربي السعودي ، وما شاهدته في أثناء زيارة عابرة ، في ربيع الثاني الماضي ، من تقدم عجيب ، يعود الفضل فيه - بعد الله ثم جلالة الملك - إلى حكومته ، فقد عاجلت الأمور بحزم وعزم ، وأمرت بتنفيذ برنامج تدعيم النقد بدقة وعناية ، وقامت بما وعدت به في بلاغها الرسمي ، الصادر في ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٧٧ ، من وضع حد نهائي للعجز المتواصل في الموازنة العامة ، وإيجاد فائض ليس بالقليل يُرد كله إلى مؤسسة النقد ، تدعما للنقد ، وتثبيتا له . وقد تم هذا في الوقت القصير ، دون إخلال بالتوازن الاقتصادي في البلاد ، فتخلصت المملوكة من برائث تضخم مالي فظيع ، بغير أن تقع في انكماش



صورة لجزيرة غاصت في الرمال قبل تعبيد الطرق الحديثة عام ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٨ م

اقتصادي خطير، وصعد الريال السعودي، ثم ظل يصعد حتى وصل الآن إلى (٤٠ ريالاً) للدولار، بعد أن كان (٤٠ ريالاً) منذ عام واحد، ولا نعلم لهذا النجاح من نظير في كافة البلدان الأخرى ..

وفي نحو هذا الوقت من العام الماضي، كان المليون الأجنبي وأهل الرأي في الشؤون الاقتصادية الدولية، في ريب عظيم، من مقدرة هذه البلاد على وقف التدهور الاقتصادي، ومنع الانهيار التام.

ولكن نشرح مدى التقدم الذي أحرزته الماسكة، يجب استعراض الماضي القريب، ومقارنته بالحاضر.

وإني أذكر هنا أنه في شهر شوال من عام ١٣٧٧ هـ رفعت تقريراً لجلالة الملك والحكومة، بينت فيه خطورة الحالة المالية، وانخلال التام الذي أصاب الموازنة وأسبابه. ولا حاجة بي إلى الرجوع تفصيلاً إلى هذا الموضوع، فكله مبين في التقرير السالف الذكر، وإنما أقول: إن ما تحقق عن نفقات الدولة في خلال الثمانية أشهر الأولى من عام ١٣٧٧، كان يزيد على ما كان مقدراً صرفه نسبياً في تلك المدة، بأكثر من (٢٠٠) مليون ريال، وقد تسدد هذا المعجز بطرق غير مقبولة، أضرت ضرراً بليناً بالنقد، فقد أقرضت المؤسسة في ذلك الوقت الحكومة، (وهذا أمر يحرمه قانون المؤسسة نفسها) ١٠٠ مليون ريال، أضيفت كلها إلى النقود المتداولة في الأسواق، بغير أن يكون لها ما يقابلها من غطاء كامل، فكان لذلك أسوأ الأثر في انخفاض الريال، وارتفاع الأسعار.

ومن جهة أخرى حصلت الحكومة على قروض جديدة بالدولار، مقدرة بالريال بنحو ٥٢٨٧٠٠٠٠ ر. وذلك بدلاً من سداد بعض ما عليها من قروض أجنبية (كما أوصيت بذلك) واستردت ما دفع لفرنسا ثمناً للأسلحة سبق شرائها، ولم تسلم مبلغ

٣٣٠٠٠٠٠٠ ريال ، وأخيرا قضت الحكومة على الوفر الذى كان مخصصا لتدعيم النقد ، ومقداره ١٢٥ مليون ريال ، قضاء كليا ، ولما تمض ثمانية أشهر من العام .

كل هذا وغيره ذهب بغير جدوى ولا نفع ، وترك وراءه أبلغ الضرر ، من تضخم مالى ذريع ، وزيادة جديدة فى ديون الدولة ، من حارجية وداخلية . وكانت المؤسسة خاوية من الاحتياطى ، ومن غطاء النقد ، وليس بها إلا القدر اليسير من الذهب والنقصة ، وليس بها نقد أجنبي أصلا ، بل كانت غارقة فى الديون ، وعليها التزامات جسيمة بالعملات الأجنبية ، وليس بها من النقد الخارج عن التداول ، سوى مبلغ ٣٠٤ ريال فقط .

وبالجملة ، فقد كانت الخزنة العامة خاوية ، والمؤسسة فى حالة عجز تام . وفى شوال ١٣٧٧ قبضت الحكومة على زمام الأمر بيدقوية ، وقررت ألا يصرف إلا الضرورى اللازم ، وعلى شرط أن يكون هذا فى حدود الواردات العامة . وقد قدرت الواردات وتقتد بحوالى ١٠٦ مليون ريال شهريا ، (أى حوالى ٣١٨ مليون ريال فى الثلاثة الأشهر الباقية) .

وقد ر للحكومة النجاح ، فمرت تلك الأيام العصيبة بغير الالتجاء إلى وسائل عنيفة غير مرضية ؛ ولا إلى عقد قروض جديدة ، ولم يكن هناك من يقرض بلادا وصل حالها إلى تلك المرحلة ، بل لقد انتهت السنة ورصيد الحكومة لدى المؤسسة ٤ و ١١٧ مليون ريال ، كلها تحققت فى الثلاثة الأشهر الأخيرة من عام ١٣٧٧ .

وعلى ضوء هذا الاستعراض للماضى القريب ، يجب أن تقارن الحالة فى الوقت الحاضر .

وجاء العام الجديد (المحرم ١٣٧٨) ولم تنشر موازنة جديدة ، واكتفى بمراقبة النفقات العامة مراقبة صارمة ، حتى لا يصرف غير الرواتب والأجور ، إلا ما كان ضروريا لامتز منه ، واقتطع الكثير من البَذَخ والترف والإسراف .

وكانت نتيجة ذلك أنه في خلال الستة الأشهر، من الحرم إلى أول رجب، زادت الواردات على النفقات، بما قدر بنحو ١٠٥ مليون ريال سعودى، إذا أُضيفت إلى الـ ١١٧ مليون ريال السابق ذكرها، أصبح المجموع حوالى ٢١٣ مليون، دفع منها إلى مؤسسة النقد العربى السعودى، مبلغ ١٩٧ مليون ريال، بالإضافة إلى ما يقرب من ١١٦ مليون ريال حققها المؤسسة من أرباحها في السوق الحرة، في نحو ستة أشهر، بدأت من أواخر ذى الحجة سنة ١٣٧٧، فيكون مجموع مارد إلى المؤسسة في المدة المذكورة، هو ٣١٣ مليون ريال، وهو أكثر بكثير مما كان منتظرا ورودها إليها في عام بأكمله. وقد كان لهذا الوفرة الكبير أثره الفعال في قوة العملة وكيانها، وارتفع غطاء النقد إلى أكثر من ٥٠ في المئة من النقد المتداول، في أوائل الشهر الماضى، بعد أن كان منذبضة أشهر ١٤ في المئة فقط، وهو غطاء هزيل، غير كاف كلية لحياة النقد، وعلى الأخص أن المؤسسة كانت مستغرة بالديون والالتزامات، بالعملات المحلية، وبالعالمات الأجنبية.

ولتفة الناس في مقدرة الحكومة على منع الريال من التدهور، ولظنهم أنها قد تستمر في رفع قيمة الريال تدريجيا، عند كثير منهم إلى تخزين الريال، واقتراض ما يلزمه من العملات الأجنبية، على أن يسدها في شهور مقبلة. ولذلك شح الريال في الأسواق، غير أن الحكومة تراقب الحالة عن كثب، وإذا لزم الأمر، فستتخذ الإجراءات اللازمة لمواجهة هذه الحالة في الوقت المناسب.

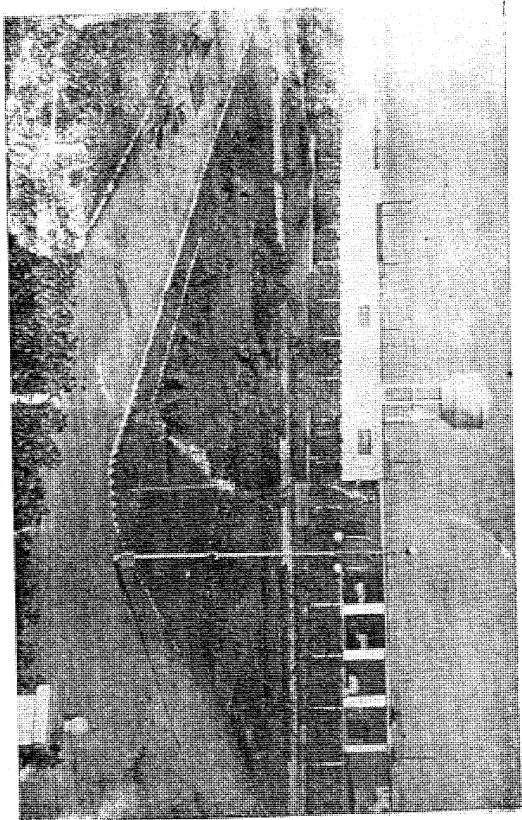
أما الديون العامة، من محلية وأجنبية، فقد تم حصرها، تمهيدا لسدادها بطريقة منظمة، على أقساط معقولة. وقد خُصص في الموازنة العامة مبلغ ١٣٠ مليون ريال، لسداد ديون المؤسسة، وبعض الديون العاجلة، التي لا تحتمل التأخير، ويضاف إلى هذا المبلغ ما تستحقه المؤسسة من عملياتها في السوق الحرة، وكذلك ما يزيد في الواردات وما يتوفر من النفقات العامة..

وقد صدرت الموازنة هذا العام في ميعادها ، بعد أن دُقِّق في جميع بنودها تدقيقاً عظيماً ، وأهم مايلفت النظر فيها ، هو النقص الكبير في موازنة الخاصة الملكية ، فقد أمر جلالة الملك بتخفيض مصروفاتها ، تخفيضاً كبيراً ، وتنازل - حفظه الله - هو وباقي أفراد الأسرة المالكة ، عن جزء كبير من مخصصاتهم . ولا يزال البحث دائراً حول إمكانية تخفيض آخر في الفوائد السنوية ، والمخصصات الذاتية ، سواء أكان ذلك خاصاً بأفراد الأسرة الملكية ، أم كان بالنسبة لغيرهم ممن يتناولون مبالغ أخرى بالإضافة إلى رواتبهم ، في أغلب الأحوال .

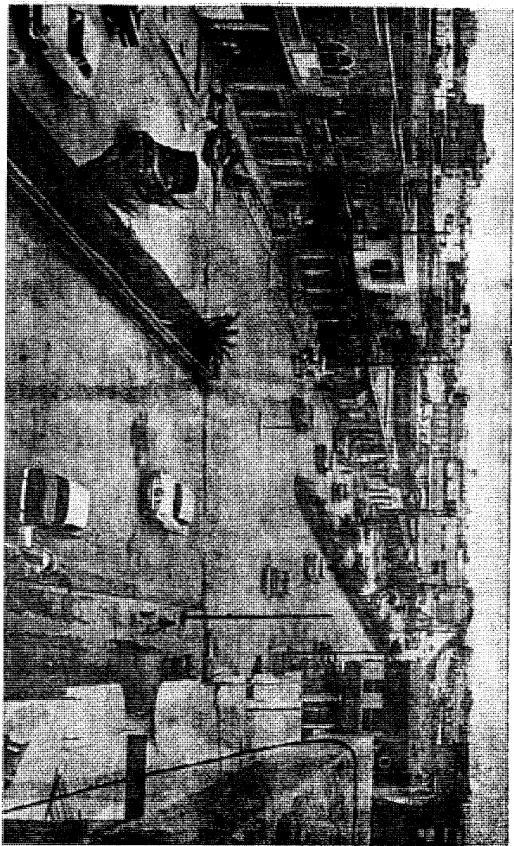
وقد خصص في الموازنة مبلغ ٥٥ مليون ريال للمشاريع العامة ، ولا يشمل هذا المبلغ المشاريع الأخرى ، الخاصة بالوزارات المختلفة ، وهي كثيرة ، وستنشر الحكومة بياناً بجميع المشاريع قريباً .

ونرى أن المبالغ التي خصصت للمشاريع ، فيها الكفاية في هذا العام ، ولا يمكن زيادتها بغير المخاطرة ببرنامج تدعيم النقد في هذه المرحلة الدقيقة ، التي يجب أن توجه فيها الجهود لتخفيض أكبر مبلغ ممكن اقتصاده ، بدون إضرار باقتصاديات البلاد ، لصد ديون المؤسسة ، وتغطية النقد ، وبغير نقد سليم لا يمكن لمشروعات إنتاجية أن تدوم أو تنمو .

وأخيراً ، فإنه مع اعتباطي بما شاهدته من تقدم عظيم في حالة البلاد ، وما رأيته من سيرها في طريق النجاح بخطا واسعة ، أقول : إن الطريق لا يزال طويلاً وشراً ، مخفواً بالمخاطر ، يقتضى دوام اليقظة والانتباه ، وتمحيص الأمور ، وفحصها على أسس فنية سليمة . وينبغي ألا يفوتنا أنه لا يزال على الحكومة لمؤسسة النقد وحدها نحو ٣٦٥ مليون ريال ، منها ٢٩٥ مليون ريال تنقص من غطاء النقد ، هذا غير مئات الملايين من الريالات ، من الديون المحلية والأجنبية الواجبة الأداء ، وكلها أموال اقترضت علاوة



المدخل العام للحجر الصحي في جدة



أحدث أسواق الرياض الآن

على واردات الدولة الضخمة ؛ وذهبت مع الريح ، ولم تستفد منها البلاد شيئا ، وعليها الآن أن تزرع تحت أعبائها حتى تعيدها كاملة .

والفترة التي تجتازها البلاد الآن ، هي بداية تحول خطير في سياسة البلاد المالية والنقدية ، ونحن على يقين أن الجميع سيتكاتفون لتنفيذ برنامج تدعيم النقد ، وبقبول التضحيات التي يستلزمها مثل هذا التحول ، عن طيب خاطر ورضا ، ما دام أن العاقبة هي الاستقرار النقدي ، وهو أساس كل رخاء اقتصادي ، وتقدم اجتماعي .

« زكى سعد »

١٣٧٨/٧/٨

١٩٥٩/١/١٨

الرياض

في

...

إن كل ما نستطيع أن نكتبه الآن ونحن نكتب للتاريخ ، أنه بالرغم من الأخطاء التي وقعت ، لا يستطيع المؤرخ إلا أن يذكر مع الشاء ، الأعمال الإصلاحية التي قامت بها المملكة ، في الخمس السنوات الأخيرة ، سواء منها ما كان في ناحية التعليم ، أو في إنشاء الطرق والمستشفيات ، ولكن لا يزال الشيء الكثير من الإصلاحات التي تتطلبها البلاد منتظرا . كما أن هنالك مجالا واسعا للإصلاح الإداري ، فالجهاز الإداري قديم ، لا يتفق مع العصر الذي نعيش فيه ، ولا مع التطور الذي حققته البلاد .

إن كل ما نرجوه للبلاد العربية السعودية ، أن يطرد فيها الرخاء واليسر والازدهار ، وأن تقبوا مكانها اللائق بها في ركب الحضارة . والبلاد العربية التي كانت مهبط الوحي ، والتي شمع منها نور العدل والحق والمساواة بين العالم ، ليس بعزير عليها ، ولا بغريب منها ، أن تكون مصدر نور روحى جديد ، بعد ما طغت على العالم المادة وحدها .

سدد الله الخطأ ، ووفق العاملين لخير الأمة العربية إلى سبيل الرشاد .

(وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) .

والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل .

ميلاد الجامعة العربية

كان الاتحاد العربي ، أو الوحدة العربية ، أول كل عربي ، بعد أن ذاق العرب الأمرين في احتلال الأتراك لبلادهم . واتد ظير هذا الاتحاد بصور مختلفة .

ففي الحركة السعودية الأولى ، ظهر هذا الاتحاد في شبه الجزيرة ، ولكن القوات السعودية اصطدمت بالقوات التركية في العراق وسورية ، فوقفت عند حدود هذين الإقليمين ، وقد قُضى على هذه الحركة في ١٨١٨ بغزوة إبراهيم باشا لنجد .

وأراد محمد علي أن يكون اتحاداً آخرين مصر وفلسطين وسورية ، ولكن أوربا تألبت عليه ، وأرجته إلى مصر .

على أن هنالك حركات استقلالية محدودة ، كانت تقوم من وقت لآخر في اليمن وسورية ونجد ، وغيرها من شتى البلاد العربية .

وبالرغم من أن مصر كانت ملجأ لأحرار العرب والأتراك على السواء ، فإن زعماءها على اختلاف آرائهم السياسية ، قد حصروا جهودهم في التخلص من التأثير البريطاني الملقى على كواهلهم ، أما متعلمو العرب وزعمائهم من عراقيين وسوريين ، أمثال الزهراوي ، والسيد رشيد رضا ، والكواكبي ، وعزيز المصري ، وياسين الهاشمي ، وجعفر العسكري ، ورفيق العظم وغيرهم - فكانوا يرون أن البلاد العربية يجب أن تستقل ، وأن تدبر شئونها بنفسها ، ولم يكن أحدهم هؤلاء الزعماء يسعى لفصل بلاده فصلاً تاماً عن تركيا ، لأن الرأي العام الإسلامي في تلك البلاد وفي غيرها ، كان متأثراً بالشعور الديني ، ولأن العامة في البلاد العربية كان ينقصهم الوعي القومي .

كان العرب في حاجة إلى زعيم سياسي شجاع وقائد حكيم ، يرضى عنه جمهور المسلمين ، ويتبعه جمهور العامة .

لقد اشتدت الحاجة إلى هذا القائد ، حينما أعلنت تركيا الحرب على الحلفاء ، وكان الواجب يقضى على زعماء العرب وقادتها تقرير مصيرهم ، على ضوء المصلحة العامة .

غير أن الحكومة البريطانية لم تترك هذه الفرصة تفلت من يدها . وكان هنالك تيارات تيار : تيار حكومة الهند ، يفضل أن تكون القيادة للأمرير عبدالعزيز بن سعود . ووزارة الخارجية البريطانية تفضل أن تكون قيادة الثورة للشريف حسين وأولاده ، لقربه من العالم المسلمين ، ولأن للحجاز مركزا عظيما محترما في نفوس المسلمين . فبعد مكاتبات متبادلة بين الشريف حسين والشندوب السامي بمصر ، أعلن الشريف ثورته على الأتراك (ويسمىها النهضة) . غير أن الشريف حينما لم يكن الزعيم الموفق لقيادة حركة خطيرة مثل هذه الحركة ، إذا وُزن بزعماء بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، فلم يستشر أحدا من زعماء العرب وحكامها ، ولا من قادة الرأي فيها ، فبامت حركته بمخذاً كبير ، وإخفاق ذريع ، ووقعت البلاد العربية تحت الانتداب البريطاني ، وأعطى (بلفور) وعدم المشهور للصهيونيين ، وكان هذا الوعد أول حجر في بناء الدولة الصهيونية ، وتفككت الروابط التي كانت تربط الأقاليم العربية ، ولاسيما الروابط الاقتصادية .

لم تكن هنالك حواجز جبركية ولا جوازات ، وبالرغم من هذه الخلية ، فإن الآمال لم تنزل تراود الشعوب العربية في الاعتماد بأية صورة ، ولكن الحكومات الأجنبية المسيطرة كانت العقبة الحقيقية .

وفي سنة ١٩٢٥ تم لسلطان نجد توحيد شرق الجزيرة وغربها ، فكان ذلك اتحادا موضعيا ، ولكنه اتحاد محبوب ، ولولا وجود الإنكليز في العراق والأردن ، لتمكن سلطان نجد من جمع شمل هذه الأقاليم مع الجزيرة العربية ، ولكن الإنجليز صخرة عاتية .

لا يستطيع ابن سعود أن يزيلها من طريقه ، فنفضل أن يتفاهم ويتعاون مع جيرانه ،
في كل ما يعود على العرب بالخير .

وفي سنة ١٩٣٤ مررت بالعراق كما دتني ، وكان يرأس الحكومة إذ ذاك السيد
على جودت الأيوبي ، فاتصلت بالحكومة القائمة ، وبالزعماء العراقيين ، مثل المرحوم
السيد ناجي السويدي ، وياسين باشا الهاشمي ، وحكمت سليمان ، وسوام من قادة
الفكر ، وعرضت عليهم مشروعا ابتدائيا ، يمكن أن يكون نواة لاتحاد عربي ،
يتلخص فيما يلي :

(١) توحيد سلاح الجيش .

(٢) رفع الحواجز الجركية .

(٣) إلغاء جوازات السفر بين البلدين .

(٤) توحيد العملة .

(٥) توحيد البريد .

فرضي جميعهم هذه الاقتراحات ، ولكن ظروف البلدين لم تساعد على التغلب
على العقبات .

وربما كانت أول خطوة قربت ميلاد الجامعة العربية ، هي اجتماع الحكومات العربية
في مؤتمر فلسطين ، الذي عقد بلندن سنة ١٩٣٨ وأوائل سنة ١٩٣٩ ، وتعاونها وتضامنها
لحل قضية فلسطين ، ولولا المنافسة الحزبية بين محمد محمود رئيس الحكومة في ذلك
الوقت ، وعلى ماهر رئيس الديوان الملكي ، لكان للمؤتمر نتيجة عملية ، خير من
النتيجة التي انتهى إليها .

لقد كان من رأي محمد محمود والملك عبد العزيز ورأي على ماهر ، قبول الكتاب
الأبيض ، وعدم التمجل برفضه ، ونصح السيد أمين الحسيني الزعيم الفلسطيني بقبوله ،

ولكن السيد جمالاً الحسينى رسول السيد أمين ، وكانت تربطه رابطة صداقة بنورى السعيد ، أخبر نورباً السعيد بأن الملك عبد العزيز رفض الكتاب الأبيض ، مع أن الملك عبد العزيز لم يقبل الكتاب ولم يرفضه ، بل ترك الباب مفتوحاً ، وجاءت الحرب العالمية الثانية ، ومرت أيام حالكة على بريطانيا بعد استسلام فرنسا ، حتى ظن كثير من الناس أن بريطانيا قد انتهت أمرها ، ولكنها أخذت تضمد جراحها ، وتصوب لإيطاليا الضربة تلو الضربة ، فحررت سورية من حكومة « فيشى » ، وفكرت فى أمر ترضى به شعور العرب ، فى فبراير ١٩٤٣ سئل مستر إيدن فى مجلس العموم : هل اتخذت الحكومة البريطانية أية خطوة لتحقيق تعاون اقتصادى وسياسى أكبر ، بين الدول العربية فى الشرق الأوسط ، تمهيداً لإنشاء اتحاد عربى فى النهاية ؟ فأجاب بأن الحكومة البريطانية تنظر بعطف إلى أية حركة بين العرب ، ترى إلى توحيد وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية . ولكن من الواضح أن المبادرة بأى مشروع من هذا القبيل ، يجب أن تصدر من العرب أنفسهم .

ولم يكن هذا أول تصريح للمستر إيدن إذ سبقه تصريح آخر سنة ١٩٤١ .

وقد دارت مشاورات طويلة بين الحكومة المصرية ، التى كان يرأسها مصطفى النحاس ، والحكومة العراقية ، التى كان يرأسها نورى السعيد ، حتى ظن بعض رؤساء الحكومات الأخرى ، أن الأمر سينحصر بين الحكومتين .

على أنه فى الوقت الذى كان نورى السعيد يبادل فيه الحكومة المصرية آراءه ، كان يبحث فكرة تكوين الهلال الخصيب مع (مستر كايو) وزير الدولة البريطانى فى مصر ، وقد طبع كتيباً سرىاً ضمنه مراسلاته وآراءه فى هذا الموضوع ، وأرسله إلى بعض أعضاء البارلمان البريطانى ، المهتمين بشئون الشرق الأوسط ، وقد وقع فى يدى نسخة منه أطلقت زميلى الدكتور حسن نشأت عليها ، كما لخصتها لجلالة الملك عبد العزيز ،

الذى لم تسكن تنام عينه عن نشاط الهاشميين وقد أرسل إلى جلالته في هذه الأثناء البرقية الآتية ، التي تدل على بلبلة فكره في هذا الموضوع ، الذى بدأه البريطانيون ، وأراد أن يستغله نورى السعيد لغاية الهاشميين .

نص البرقية

هذه البرقية لحافظ ، لا أحد يطلع عليها غيره . وهى بشفرتنا الخاصة معه : « ما ذكرته فهمته . وإن الأخبار تحصر عليها هذه الأيام ، فواصلنا بها ، وأنت ماوراءك حُسوفة .

أما نورى السعيد وجاعته فساعيمهم غير خافية ، دعاية لأنفسهم ، حتى يسكت الناس عنهم في العراق ، والواقع أن الناس لا تخفى عليهم مساعيمهم . إن نورى يريد إلحاق سورية وفلسطين بالعراق ، وهذا أمر يتوقف على الحكومة البريطانية ، فإن كل أمر لا توافق عليه الحكومة البريطانية لا يمكن أن يتم .

نرجو منك أولا : أن تفيدنا بالأخبار الخاصة بهذا الموضوع ، دقيقها وجليلها . وثانيا : نحن كما تعلم أحرار ، لا نريد أن ندخل في شبكة ليست لنا ، ولا للعرب مصلحة فيها .

نحن مستعدون أن نتعاون مع بريطانيا ، ونحافظ على مصالحها ما دامت مصالح العرب مصونة ، وهذا أمر أنت تعرفه ، كما أخبرنا الحكومة البريطانية عنه أكثر من مرة ، والعرب يعرفون هذا عنا .

إن الأمر يجب أن يكون واضحا كل الوضوح . كل حكومة حرة في بلادها ، وليس لأحد غرض في أحد ، مصر لمصر ، وفلسطين لفلسطين ، وسورية لسورية ، والعراق للعراق ، والمملكة العربية السعودية للعربية السعودية ، واليمن لليمن ، ويجب أن يسود الوفاق بين الحكومات العربية ، وترك الجدل الذى ما فيه فائدة للعرب .

ينجب أن يتولى هذا الموضوع رجال خالون من الأغراض، ولا يُدخلونا في مشا كل مع بريطانيا أو غيرها من الدول، فنحن أحوج ما نكون إلى إصلاح أمرنا، ولم شملنا، ونحن لا نريد خلق مشا كل لا تقدر علي حلها.

احرص على أمرين :

الأول : ألا يطلع على هذا الموضوع غيرك .

الثاني : أن يكون كلامك كأنه من عندك ، حتى يتضح الأمر ، فغايتنا مصلحة العرب وراحتهم ، ولا أحب في الوقت الحاضر أن يكون بيننا وبين بريطانيا ما يعكر صفو الصداقة .

هذه تعليماتي ، وهي سر عندك ، لا يطلع عليه خاص ولا عام ، والله يوفقك .

ولقد أخبرني اللورد كليزن في ديسمبر ١٩٤٣ أنه أخبر النحاس ونوريا السعيد ، أنه يجب ألا يُمثل رجل الجزيرة ، فالرجل له قدره ، وخبرته ، وبعد نظره .

وبذلك اتجيت مصرا تجاهها صحيحا ، فدعت الحكومات العربية ، لإرسال مندوبينها . فاجتمع مندوبو الدول العربية كلجنة تحضيرية ، فوضعت بروتوكول الإسكندرية ، الذي ينص على تأليف جامعة للدول العربية ، ويبين أغراضها ، وقد أمضت هذا البروتوكول في (٢٠ شوال ١٣٦٣ / ٧ أكتوبر ١٩٤٤) ، فكان هذا البروتوكول أساسا لميثاق الجامعة العربية ، الذي وافقت عليه الدول العربية في (٢٢ مارس ١٩٤٥) ، وتركت الباب مفتوحا للدول الأخرى ، حتى يمكن أن تنضم إليه في المستقبل .

وقد ظهر اتحاد الدول العربية وتضامنها في الاعتداء على سورية ولبنان من قبل ، وكان لهذا التضامن أثره الفعال في جلاء القوات الفرنسية عن هذين البلدين العربيين ، كما ظهر أثره في الاعتداء الثلاثي على بور سعيد .

وقد تعرضت الجامعة العربية ودولها لامتحان قاس في الحرب الفلسطينية ، ولكن

مهما كانت الحسائر المادية ، باحتلال جزء من الوطن العربي ، وتشريد مليون من سكانه ، فإن هذا الامتحان القاسى قد خلق وعيا عربيا ، وبعث شعورا فياضا كان كامنا ، كما تعرضت مصر لامتحان أكبر ، بالاعتداء الثلاثى على بور سعيد ، والسكن الإيمان بالله ، والثقة بقدرته التى لا تغلب ، وتضامن بعض الدول العربية مع مصر ، قد قلب المعركة فى جانب الدول العربية ، (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

لقد انضم إلى الجامعة العربية ليبيا والسودان وتونس ومراكش ، وغدا ستنضم إليها الجزائر المجاهدة إن شاء الله .

لقد قامت الجامعة بنشاط عظيم فى تنظيم إداراتها ، واتصالها بالوكالات المختصة بالأمم المتحدة .

ولا يزال أمام الجامعة طريق شاق طويل ، للوصول إلى الهدف الأسمى ، من اتحاد الدول العربية ، بصورة تتفق مع آمال الشعوب العربية .

على الجامعة أن تسعى دائما لتوثيق الروابط الاقتصادية ، فهى الدعامة الصحيحة للتعاون السياسى .

ولقد اتحدت سورية ومصر اتحادا كاملا ، كما انضمت اليمن إلى هذا الاتحاد ، فأصبحت الجمهورية المصرية تدعى «الجمهورية العربية المتحدة» ، كما اتحدت العراق مع الأردن ، ولكن قُصِيَ على هذا الاتحاد الثورة العراقية .

إن كل ما يتمناه كل عربى أن يرى العرب على الأقل متحدين فى الأهداف ، واقفين صفا واحدا أمام أى اعتداء يقع على أية دولة عربية .

وعلى الجامعة أن تسعى دائما لإزالة الجفاء الذى يحدث من حين إلى حين بين زعماء العرب وقادتهم ، فالتعاون الصحيح لا يكون إلا بعد صفاء القلوب .

إن رائد الجميع هو قوة العرب ، ولا قوة بغير اتحاد . سدد الله خطا الجميع ، ووقفهم على سبيل الرشاد .

لقد رأينا البلاد العربية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، ورأيناها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، ونراها الآن مقبلة على مستقبل باهر ، وشتان بين الروح العربية في سنة ١٩١٤ وبينها الآن. إن أكثر البلاد العربية قد استقلت، ونزح الأجنبي عن بلادها، وأصبحت ترسم سياستها على ضوء مصالحها ، ولكننا لا نزال نؤمل مزيدا من التطور والتقدم ، يتفق مع العصر الذي نعيش فيه ، وما ذلك على قادتنا بعزير .

ملحق

الرسائل الصادرة عن جلالة الملك « عبد العزيز بن عبد الرحمن
آل فيصل آل سعود » والواردة إليه ، من المؤلف وغيره ، بماله علاقة
بموضوع الكتاب ، غير ما تقدم في تضاعيفه .

من المؤلف ، إلى جلالة الملك
مرض على جلالتة بعض مقترحات ، لإصلاح
الشئون الداخلية المملكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكويت في ٢١ ذى الحجة سنة ١٣٤١ هـ

حضرة السيد الإمام ، وغفر العرب الكرام ، السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن
آل سعود ، حفظه الله .

أيها السلطان :

يتقدم إليكم رجل مصرى عرفتموه في الكويت قبل بضع سنوات ، بإسداء النصيحة ،
قياما بواجبه نحو الله وملكته ، وشعبه وجنسه . كي تعلموا أنى من المشتغلين بالمسائل الشرقية
والإسلامية والعربية ، منذ خمسة عشر سنة . وإنى لم أكتب إليكم قبل الآن ، لأنى لم أكن على
علم تام بنياتكم الحسنة ، وأفكاركم البعيدة الرمى ، ولما درست أحوالكم من بُعد ، على
قدر ماسمح به وقتى ، وما اتصلت به خبرتى ، رأيت بعد إمعان الفكرة ، الكتابة إليكم
بأفكارى ، وذلك بعد درس هذا المحيط السياسى . وهذه الآراء وإن كانت ترمى صعبة
أو خيالية ، أو بعيدة النال ، فإن عظمة الرجال ، بعظم الأعمال .

أيها السلطان :

لقد درست أحوال أمراء العرب كلهم، في الكويت والبحرين وعمان ومَسَقَطَ ، وإمارات الشَّحْر ومَسَكَلَا وبعض ولايات اليمن ، فلم أجد في أحد منهم ما يصبغ الاعتماد عليه، بل لم أجد أحدا منهم يفكر في مستقبله الخاص ، فضلا عن مستقبل العرب والمسلمين . والرجل الوحيد الذي يصح أن يتولى زعامة العرب في الجزيرة ، هو في نجد اليوم ، هذا الرجل الذي يستطيع أن يحافظ على استقلال العرب ، وشرف العرب ، ويستطيع أن يبقى الجزيرة وداخلية العرب عاقضة على حياتها ، بعيدة عن متناول يد المستعمرين ، هو عبد العزيز بن سعود سلطان نجد اليوم .

أيها السلطان :

أظن أنه لم يخف عليكم من اطلاعكم على مشاكل العرب ، أن بعض الدول تحاول أن تنال من العرب والإسلام ، ولكن لا بالجنود المسلحين ، بل بأذنايها وسامرتها يحاولون النيل من العرب ، والسيطرة على بلاد العرب ، بآلات وضوعها في الحجاز والعراق وشرقي الأردن ، أي بالشريف وأولاده ، أولئك الذين اتخذوا منهم سياجا حول جزيرة العرب ، لينالوا بهم مالا يستطيعون نيله بالسيف والنار .

لقد عرفوا فيكم الأتفة والغيرة ، وإن حيل المستعمرين لا تنفوت عليكم ، وإن عين الله لا تنام (وَلَا تَحْتَبِئَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) .

إن الشريف وأولاده ليسوا بأعداء لكم فقط ، بل هم أعداء أنفسهم ، وأعداء للعرب عامة ، والمسلمين كافة ، فالهمل لاستئصالهم عمل لإحياء الجسم ، يقطع بعض الأعضاء الضارة ، التي يخشى من سرعان ضرره للجسم كله .

أيها السلطان :

إنكم — مهما أوتيتم من العقل ، والحذر ، وبعد النظر ، وحدة الذهن ، رجل واحد

تعجزون عن إدارة هذا الملك الواسع ، الذى يحتاج إلى أيد كثيرة لتحفظه دهرًا دهرًا ، لا لتحفظوه لأولادكم وحدهم ، بل لتحفظوه للمسلمين ، فإن اليوم الذى ستصاب الجزيرة فيه بضرر ، هو الذى سيكون فيه القضاء الأخير على العرب ، بل على الإسلام . فاذًا فعلم ؟ أو ماذا أنتم فاعلون ؟

أيها السلطان :

إنى حين أكتب إليكم أرانى مدفوعا بروح المحبة والغيرة على دينى وجنسى ، فإن رأيتم فيما أكتب به إليكم صلاحا ، فالحمد لله على فضله ، وإلا فالأمر لمن بيده الأمر وحده .

وسأضع أرقامًا متسلسلة لكل فكرة ، وأشرحها بالإجمال :

١ — نشر الدعوة

اعذرني أيها السلطان إذا قلت : إن أكثر المسلمين فى الهند ومصر وسائر الأقطار الإسلامية ، لا يعرفون عن نجد شيئًا يذكر ، ولا يعرفون ما تصرفونه من الجهد العظيم لخدمة العرب والإسلام ، بل إن معلوماتهم موهَّسة مضطربة ، فإن كلمة نجدى فى الهند قرينة لكلمة « مبتدع » أو « ملحد » . وسبب ذلك أن أعداءكم من قديم ، شوَّهوا تعاليم نجد الدينية ، ومقاصدها الإصلاحية ، وألبسوها لباسًا ينفِّر منه سائر الناس .

ما الفائدة من نشر الدعوة ؟

الغرض من نشر الدعوة هو إفساد الخطة المدبرة التى يبثها الشريف وأولاده ، وبيان الإصلاحات الدينية التى تحدث فى نجد ، وبذلك يعرف العالم مقاصدكم ونياتكم . وإنى أعتقد تمام الاعتقاد أن العالم سيمطركم بوابل من الأمانات والتبرعات ، لأن القضاء على الشريف وأولاده ، إنما هو قضاء على تلك القوة المستترة التى تؤيده .

إن مصطفي كمال لم يحز ما حاز من الشهرة ، إلا بنشر الدعوة ، وبث الدعاة في مصر والمند وسائر الأقطار الإسلامية .

وبنشر الدعوة يمكن أن يكون لكم أصدقاء من الأحرار في المند ومصر ، ويمكن أن يقوموا لكم بخدمات عظيمة لا تقدر .

٢ — الإصلاح المالي

تعلم عظمتكم أن أساس كل عمل إنما هو المال ، وأن الشعب أو الدولة التي لا تملك من المال شيئاً ، لا تملك من وسائل العمل شيئاً ؛ فالعامل والتاجر والملك يجب أن يفكروا في كيفية تدبير المال ، وإذا كانت أبواب الإنفاق تزيد بكثرة على أبواب الدخل ، فالمستقبل يحتاج إلى تدبر وتفكير ، وإلا فالاستقلال السياسي مهدد ، والحياة في خطر .

أما وسائل التدبير المالي ، فتكون بوضع الضرائب المعتدلة ، التي لا ترهق الشعب ولا تحول دون إنشاء الثروة . وأنواع الضرائب كثيرة ، لا محل لتفصيلها ، ولكن ربما كانت غير كافية لأبواب الصرف ، التي تحتاج إليها البلاد ، وحينئذ يجب التفكير في استغلال الأرض ، لأنها منبع ثروة عظيم ، يمكن الانتفاع من ظاهرها بالزروعات المختلفة التي تلائم الجو والتربة ، والبحث عن الأسواق التي يمكن تصريفها فيها . وذلك كله سهل على همه أمثالكم .

إن إقليم الحسا تتوافر فيه المياه ، وجودة التربة ، وخصب الأرض ، ولكن هنالك حاجة إلى الأيدي العاملة ، وبعبارة أخرى إلى السكان ، وهو أمر سهل إذا تحققت العدالة والأمن ، وهي من الأمور الممكنة في مملكة يديرها رأس مفكر مثلكم .

٣ — الجيش

إن نجدا بلاد عسكرية بطبيعتها، ولكن العسكر يحتاج إلى مال عظيم، ولا بد أن يستفاد منه فائدة تعادل ما ينفق عليه . إن نجدا لا تكون فيها حرب في جميع الأوقات، فما قيمة هذا الجيش ؟ وما الفائدة التي توازي كثرة الإنفاق عليه ؟ أظن أنه لو كان لديكم مهندس خبير ، لاستطعتم أن تصلحوا الطرق العامة ، التي تحتاج إليها المواصلات ، وإذا أصلحت الطرق ، فيمكن ربط البلاد بالتليفون ، فإن نصف الحرب في المفاجآت والسرعة . وأعداؤكم يستخدمون أحدث الوسائل في النقل ، فالواجب على الأقل ألا يتفوقوا عليكم في هذه السبيل .

أما مسألة توفير السلاح والذخيرة ، وعدم الاعتماد على مصدر واحد ، فلا بد أن عظمتمكم تفكر في ذلك كثيرا .

٤ — التعليم

إن نشر التعليم الديني والدنيوي من الضروريات التي لا يستغنى عنها في البادية والحضر ، وإن السنوسى في المغرب قد استطاع تأليف القلوب كلها حوله ، بما كان يبذله في نشر التعليم الديني الأخلاقي ، في الزوايا المنشأة في الصحراء ، وإن من السهل إنشاء مدارس صغيرة في كل قرية كبيرة ، على أن يقوم بنفقاتها أهل القرية ، ولكن يجب أن يكون منهج التعليم واحدا ، فإذا عمت القراءة والكتابة ، وذلك مضمون في زمن يسير ، أمكن إنشاء مدارس نظامية بالتدريج ، فيمكن مثلا إنشاء مدرسة حربية ، لتخريج ضباط مقتدرين من العرب ، ويمكن الاستعانة برجال من العرب أو الترك ، أما الفرنج فالأولى عدم الاستعانة بهم مادام في المسلمين رجال ، وإذا حدثت ضرورة لاستخدام الإفرنج ،

فالأولى اختيارهم من الذين ليس لهم مطمع في بلادكم ، مثل السويسريين والشويديين .
وهذا بحث واسع لا يحفى تفصيله على فطنة عظمتكم .

٥ - السياسة الخارجية

ركنا السياسة الخارجية هما مضافة الإمارات ، والممالك المجاورة ، مع المحافظة على الحدود الناصلة ، والعين النازرة للسياسة الخارجية هم القناصل والسفراء ، فيم يظلمون على كل شيء ، وينقلون إلى ممالكهم كل ما يرونه مفيدا . ولا يحفى على عظمتكم أن خزيرة العرب قد قُسمت إلى إمارات صغيرة ، حتى تبقى دائما ضعيفة ، وحتى يسهل ابتلاعها بوحدة بعد أخرى . وإن أكثر الإمارات الحبيطة بكم ، قد دخلت أو توسك أن تدخل حظيرة الاستعمار . ولذلك سيكون مركز نجد خطرا ، ومستقبلها في غاية الخطورة . ولكن السياسة دائما بنت القُرس ، وهناك ظروف وطوارئ متى استمسك الإنسان بغيرها ، استفاد فيها فائدة عظيمة . وأظن مسألة البحرين وما جرى فيها من الانقلاب ، يوما جرى على رعاياكم فيها من القُبن ، يمكن الاستفادة منه في تحسين مركز نجد ، بزيادة كونه على سائر البلاد العربية .

أما دول أوروبا ، فهي من غير استثناء ، دول ذات مطامع ، ومداخلتها لا تخلو من الخطر . وهنا يجمل بي أن أقتل لكم وصية الفيلسوف (هـ . سبنسر) الإنجليزي ، للبارون كاتيكو الياباني ، التي أوصى ألا تُنشر إلا بعد وفاته ، خشية أن يسه سوء من يقومه . قال :

سيدى العزيز :

(إنى أجيئك إلى ما طلبته ، وهو أن ترسل ترجمة كتابى إلى « الكونت إيتو » وزير اليابان الجديد ، فافعل ما تريد . أما من جهة المسائل الأخرى التى سألتنيها فأقول بوجه عام : إن سياسة اليابان يجب أن تكون إبعاد الأمريكين والأوربيين عنها ولو قيد

ذراع ، فإن موقفكم حرج ، والخطر المحدث بكم مزمع ، لوجود أطم أخرى أقوى منكم ، فابدأوا أقصى جهدكم ، في منع الأجانب من أن يتمكنوا من بلادكم .

ويظهر لي أن المعاملات التي تفيدكم ، ولا تضر بكم ، إنما هي المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الضرورية ، الطبيعية وغير الطبيعية ، من صادرات وواردات ، فلا تمنحوا امتيازات لأمم أجنبية ، وخصوصا الأمم التي هي أقوى منكم ، إلا ما كان لازما منها لهذه المعاملات ، فإنني أرى أنكم تريدون من تنقيح المعاهدة التي بينكم وبين دول أوروبا وأمريكا ، أن تفتحوا سلطنتكم كلها للأجانب ولأموالهم ، فساءت هذه السياسة : لأنها الضربة القاضية عليكم . فإذا أردتم أن تعلموا ما سيحل بكم ، فاقرأوا تاريخ الهند ، لانتيلوا إحدى الدول القوية موطء قدم في بلادكم ، وسندا تستند إليه ، فتتحول إلى الاعتداء عليكم بمر الزمن ، ويفضى الأمر إلى وقوع النزاع بينها وبينكم ، فشيء أن ذلك النزاع إنما هو اعتداء منكم عليها ، فيجب أن تثار لنفسها منكم ، فتضع يدها على قسم من بلادكم ، وتستعمره بأبنائها ، وتتخذ قاعدة تحمل منها عليكم . نعم ، إنكم تجدون المصائب العظيمة في تجنب هذا الخطر ، ولكن إذا منَحْتُمُ الأجانب امتيازات غير التي ذكرتها ، سهلتم عليهم ما يسعون إليه .

ولتفصيل هذا الإجمال ، أقول جوابا عن سؤالكم الأول : إنه يجب أن تمنعوا الأجانب من امتلاك أرض في بلادكم ، ومن استثمارها إلى مدة طويلة ، وإنما تسمحون لهم باستثمارها سنة فنة .

وأقول جوابا عن السؤال الثاني : امنعوا الأجانب من التعمدين في مناجم حكومتكم منعا تاما ، لأن ذلك قد يقضى إلى وقوع النزاع بين الأوربيين والأمريكيين الذين التزموا المعادن وبين الحكومة ، يستنجد الملتزمون بدولهم ، ويطلبون منها أن ترسل الجنود لإنصافهم وإنالهم ما يطلبون ، هما جاروا في طلبهم والعادة عند الأوربيين أن يصدقوا جميع ما يقول وكلاؤهم وعملاؤهم الذين في الخارج .

« وأقول جوابا عن السؤال الثالث : إنه يجب عليكم أن تبقوا تجارة سواحلكم في أيديكم ، ولا تجعلوا للأجانب يداً فيها » .

أما الأصناف التي تأتيكم من الخارج ، ويباح للأجانب أن يأتوكم بها ، فليكن موزعوها والتاجرون بها في البلاد منكم ، لا من الأجانب الذين يأتون بها إلى بلادكم ، لئلا يفنى ذلك أيضا إلى خصومات كثيرة ، تجر إلى التعدي على أملاككم .

وأختم كتابي بما بدأته ، وهو أن تبعدوا الأمم الأخرى عنكم ما استطعتم . هذه نصيحتي أمرها إليكم ، راجيا أن لاتذاع في حياتي ، لاني لا أحب أن أهيج أبناء وطني ، ولا أن أسخطهم علي » .

هذه يا عظمة السلطان ، نصيحة رجل أورني لرجل شرقي ، قلها على جميع وجوهها تر الإخلاص واضح الجبين فيها .
أيها السلطان :

إني لا أريد بكتابي هذا جزاء ولا شكورا ، ولكن الذي يسرني ، أن أرى بلادكم سائرة في طريق النجاح ، وأن ملككم يكون موطدا على أساس متين ، لا يتوقف على حياتكم . كم يكون سروري وسرور قومي إذا سمعنا أن الإمام ابن سعود نهض نهضة جديدة بالإسلام وبالعرب ، فأرجعهم إلى سابق مجدهم .

إن العالم الإسلامي محتاج إلى زعيم مصلح مخلص ، يرشده إلى نهج الحق . وإن المسلمين الأحرار ، وإن كانوا قلة اليوم ، فيسكونون قوة غدا . لقد خاب أمل المسلمين في الأتراك ، كما خاب أملهم في شريف مكة ، فلعل المسلمين يجدون في عظمتكم ما يحقق أملهم . والله الهادي إلى سواء السبيل .

من بعض أحرار السوريين
يستحث السلطان « عبد العزيز »
لغزو سورية ، وتحريرها من أيدي الفاصيين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، محمد الأمين ، وعلى آله
وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فإن عريضتي هذه تُقدِّمُ إلى
الإمام العادل الموفق للخير إن شاء الله ، ليعلم أني وإن قصرت بإرسال عرائضي ، فلن أقصر
بمعاونة أموره ، وأجلُّها تبديد الأوهام ، وكشف القناع عن الحقائق ، فإنني بعد جهد
عشرة أشهر متوالية ، توفقت مع إخواني إلى التبيان للدمشقيين خاصة ، ولجميع أرباب
الأقلام والعلماء ، أن خطة الشريف وأبنائه ، هي خطة ضلال ، وأن السعي الصالح هو
أن يرجع الناس إلى رأي الإمام العادل ، إمام المسلمين ، عظمة « السلطان ابن سُعود » ،
القائم بالدعوة والإرشاد ، وهُدًى العباد إلى طريق الحق ، فكان لنا بإذن الله أكثر
ما نتمناه .

وقد كنت أريد أن أكتب في كل وقت ما يحدث وما يحدث ، ولكن نفعي أن
الجزئيات من الحوادث لا تنفذ ، صبرت حتى ظهرت مساعي أحزابنا وجمعياتنا ، فقدمت
رسالتي هذه ، لأبين بها بعض ما هو جار اليوم ، وما جرى حتى اليوم ، ليكون الإمام

العادل على بينة من حالة البلاد ، وليعلم أن آل البلاد وقلوبهم معه ، وعلى الأخص إذا هم بأمر خلاصهم من تلاعب الشريف حسين وأولاده ومن ضغط الأجانب .

وبما أن البلاد تدين بالإسلام ، وهى تستغيث بالله من الجور ، فواجب كل مسلم هو معونتها ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، ولا أبرّ بعمل خيرى من السيد الإمام ، حفظه الله .

أما نحن فإن كنا اليوم عاجزين عن أداء كل الواجب المحتوم علينا ، فإننا غدا بفضل الله ، إذا انضمت إلينا جيوش الإمام ، سنقوم بواجبنا خير قيام .

إننا حتى اليوم ما زلنا متمسكين بحول الله وقوته ؛ راجين من المولى عز وجل أن ييسر لكم ، ويلهمكم خلاص هذه البلاد ، وستجدون من أهلها أرباب غيرة وعصبية دينية ، وإخلاص لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين ، مما يجعل السيد الإمام يهتم لما نعرضه عليه فى هذه الرسالة ، والأمل أن يُبَيِّن السيد الإمام العادل فى قراءة الرسالة بالتام ، ليكون على بينة الحالة الحاضرة .

والله الموفق للصواب ، نرجو منه الهداية . آمين .

حالة سورية اليوم وقبائلها :

إن غزو جيوش الإمام قبائل الحويطات ، فى أوائل الحرم ، وكسرههم شوكة بنى صخر ، وهزمهم عرب البلقاء ، كالمجاردة ومن شاكلهم ، وإنزال الرعب فى قلوب جميع البادية والقرى ، فى البلقاء ، وحوران ودمشق ، وحلب ، مما جعل القبائل تقول : لم يبق لنا ملجأ نلتجئ إليه ، إلا أن نرسل فنصطليح وتدين مع وعلى يد الإمام . وقد أثر ذلك فى بنى صخر والحويطات تأثيرا جعلهم يقولون للشريف عبد الله : إما أن تغزونا نجدا كما تغزونا جيوش الإمام ، وإما أن ننضم لنجد ، ولإمام نجد . وكان الناس يؤملون أن يأخذ

جيش الإمام القريتين (قَرَيَاتُ الملح: أثري، وكاف) ، ولم نعلم لماذا تقاعس عنها الجيش ؟
فلعل ذلك يكون قريبا .

وقد علم من التحقيق ، أن بنى صخر قد قتل منهم مايتجاوز الثلاث مئة ، أما غيرهم
من لف لفهم ، فلم نعلم قتلاه بالتمام ، ولكن التقدير يوصلهم إلى المئة ، ماعدا الجرحى .
أما الإخوان فقتلهم وجرحهم مع أسراهم ، قد تحقق أنهم لايزيدون على المئة والخمسين .
وأهم مافي الأسر أن بنى صخر ونصراهم قد انهزموا شرهزيمة ، فلم يقفوا أمام الإخوان
ولا دقيقة ، بل بعد لحظات فروا وجبنوا ، وتركوا قراهم وبيوتهم لجيوش الإمام ، حتى
دخلوا غمان يستجبرون بالسلطة الإنكليزية هناك ، لذلك خرجت الأوتوموبيلات
للصنعة ، والطيارات يقودها رجال إنكليزيون ، وضربوا جيوش الإمام .

وأما جيش شرقي الأردن (أعنى العسكر للأجور من أبناء البلاد) فلم يدخل
المعركة غير آخر النهار . وعلى ما أعلم أن الإنكليز يتصلون بما عملوه ، مع أنه كان يجب
عليهم أن يبقوا على الحياد في هذه المعركة ، التي كان سببها تعدى الحواريات وبنى صخر
على قوافل نجد ، وعربان نجد ، بتحريك الشريف عبد الله وأذنا به : (ابن حازم ومثقال
الفايز) . ولو رأى سيدى أن يستنصر من الإنكليز عن هذا العمل ، ومعاونتهم لبنى صخر
وغيرهم من القبائل ، ويطلب ذلك بإلحاح منهم ، لأن معاونة العدو عداوة .

حالة الرأي العام :

ما زال الواجب الوطنى وما علمناه من الحقائق ، تدفعنا بإخلاص للكتابة والخطابة ،
وبث الروح الصالحة في قومنا العرب عامة ، والشوريين وفيهم آل فلسطين ، بأن زعيم
هذه الأمة سيكون الإمام ، لما له من الأيادى البيض فى نشر الدعوة السَّليمة ، وتواضعه
وحبه للحق ، ولخير الناس والعرب ، وصدقه وإخلاصه ، وتيسير المولى له ما تعسر على

غيره ، وإفهام العلماء أن الوهابية هي دين السلف ، وأن المتدينين بها هم أهل السنة والجماعة ، وأن ما يقال عنهم هو افتراء على الله وعلى رسوله ، وكنا نريهم الكتب المطبوعة والمنشورة من قِبَل الإمام ، فأثر عملنا بعض التأثير المفيد ، وتنبه القوم أن هنالك في نجد نفوساً بية رضية ، وأن شعائر الدين محترمة ، وأن الإمام عامل على النهوض بيني قومه ، والكل يأملون أن يكون للإمام العادل مجلس شورى دائم ، من العلماء الأعلام ، وذوى البيوتات ، الذين اشتهروا بالدين ، ورُحجانية الرأي ، ومن رؤساء القبائل ، الذين أخلصوا في أعمالهم ولأوطانهم ، وفي غيرهم من الحَصَر : تجارا وأغنياء ، ومن يراه الإمام العادل مُسَكَّة في العلم والأمانة .

وسبب طلب الناس لذلك ، هو أن يتفرغ الإمام العادل لمهام الأمور ؛ لأن هذا المجلس يقدر أن يفكر في تحسين أحوال السلطنة ، فيوفر على السلطنة النجدية المال ، ويقصّر الطرق المتخذة الآن لتنظيم البلاد ، من تشكيل البلديات ، وغرس الأشجار ، وحفظ الأراضي السلطانية ، والقيام بكل عمل عمومي ، ويتحمل مسئولية تنظيم القوانين ، وطرح الضرائب العُشرية والجارك ، وما يؤخذ من الزكاة ، ويكون قوة للإمام العادل ، وأماناً من الدسائس ، ورابطة لجميع من يستظلون براية الإمام من نجد واليمن .

هذه بعض فوائد المجلس الشورى في الداخل . وأما في الخارج فلإن جميع الأقطار العربية ، ستأخذها الدهشة ، حينما تسمع بأن صاحب نجد قد فاق جميع أمراء العرب ، بدعوته السفلية ، وزعم بالرجوع إلى الشورى أيام الخلفاء الراشدين ، فأحيا واجبا به حياة الأمة العربية .

هذا ما أسمعهم عن يهمهم . أمر الإمام العادل ، وأمر العرب ، وحياة الإسلام والمسلمين . وهنالك تعلم أوروبا ، وفي مقدمتهم الإنكليز والفرنسيون أن نجدنا وإن

تكن بأزيائها بدوية ، فهي في أعمالها حَصْرِيَّة ، ذات شريعة غراء ، يقوم بتنفيذها إمام عادل ، يرجع في أمورها إلى مجلس شُورى ، بِحَسَبِ الكتاب الجيد ، والسنة المطهرة . وهناك لا يبقى لمحتج حجة على شكل الإدارة ، وعلى نظام البلاد ، وما ذلك على الله بعزيز ، أن يلهم الإمام العادل الإسراع بمثل هذا العمل ، الذى بفضل الله يقرب القلوب ، ويحمل جامعتنا العربية جامعة علم وقوة ، مؤسسة على التقوى ، ولعل الله ييسر كل أمر عسير . آمين .

معتمد للإمام في سُورِيَّة :

إن حالة سورية اليوم غير حالتها بالأمس ، فإن أعمال الشريف حسين بن على وأبنائه المنكرة ، واتفاقهم مع الأجانب ضدَّ الوطنيين ، وتعذيبهم الحجاج ، وقتل الآلاف منهم عطشا ، وحبس طلاب الاستقلال الذين هاونوهم على بلوغ مآربهم ، حبا في العرب ، مثل السادات : أحمد مريود ، والأمير عادل أرسلان ، وحلى باشا ناظر المالية بشرق الأردن ، والسيد نبيه بك العظمة ، وأخذهم إلى (مكة) ، ونشر الملك وأبنائه عنهم تلفرافات تنافى الحق والحقيقة ، وافتراء الشريف حسين على الفلسطينيين أنهم راضون عن وعد بلفور ، وزد على ذلك غضب الله على هؤلاء الذين يسمون أنفسهم أشرافا ، جعلت أرباب العقول تحتج على أعمالهم في الجرائد المصرية والشامية ، ومتى وصلت الاحتجاجات ، فتقدم للإمام العادل . وإن العلماء والكتاب والشبان والمخلصين من العرب ، ظهر لهم اليوم أن طريق التمسك بالشريف طريق ضلال ، والواجب أن يكون للعرب زعيم غير هؤلاء الزعماء ، وأن يكون للزعامة في العرب بيت غير هذا البيت ، وقد كتبت هذا ، ليصنى إلى الإمام العادل ، فأقول :

كنا نقول للعرب : إن الحسين بن علي وأبناءه ، أجراء الأجانب والكافرين ، فكانوا يبادلوننا في هذه القضية ، وينكرون علينا ما نقول ، ويتجاوزون في إنكارهم حد المعقول ، فيقولون . إن هؤلاء من نسل سيد المرسلين ، فتجيبهم بأن الإسلام يطلب من المسلمين العمل ، لا القول ، وأعمال هؤلاء تبعدهم عن الدين القويم ؛ ومن كانت هذه صفاته فأنه ورسوله صلى الله عليه وسلم برآء منه . ودام هذا الجدل ، حتى أظهر الله عز وجل الحق ، واتضح للناس خبث الشريف ، وميله هو وأبنائه إلى أهوائهم ، وتنبههم عن السبيل السيئ ، ساء ما يحكمون .

مُهِمٌ : ولكن بدأ الناس اليوم يقولون : هانحن قد تركنا الشريف وأبناءه ، وزرعنا كل عهد لنا معهم ، ونحن متفرقون بسبب استيلاء الأجانب على بلادنا ، فن ياترعى يكون زعيمنا في الحجاز وسورية وفلسطين ، فيجمع شمل هذه البلاد أولا ، ثم ندعوله أهل العراق ، فينضمون إلينا ، وتتفق مع صاحب اليمن الإمام يحيى ، فنشكل الجامعة العربية ، ونحفظ كيان المسلمين والعرب في الجزيرة ؟

أما جواب أحزابنا وكتابنا وأهل الرأي منا ، فسيكون اليوم وغدا إن شاء الله (الإمام ابن سعود) سلطان نجد اليوم ، وملك البلاد العربية المتحدة غدا . ولكن الوصول إلى هذه الأمور العظيمة ليس بالهين ، كما يعلم الإمام العادل (أن النفيس عليه يسهل الخطر) .

فأول ما تتطلبه من الإمام العادل ، أن يعلم أن الدعوة قد أسست لها في السابق ، وبُنيت بين رجال العلم في سورية ، بواسطة معتمده السابق الشيخ «فوزان السابق» ، وقد كان الشيخ فوزان أول من عرف الناس هنا ، وفي جميع أنحاء البلاد ، بمزايا الإمام ، وعدله ، وجهه للخير ، وحلمه وكرمه ، وقد كان بيته تحفلا لدوى الرأي ،

وأهل العلم والدين وأصحاب الجرائد ، وحملة الأقلام وذوى النفوذ فى البلاد والأحزاب .
وكنا بمن أحبوا الإمام العادل ، بسبب دعوة فوزان ، وتبشيره بما انطوى عليه قلب
الإمام العادل فى الرحمة والحنان للمسلمين والعرب . وكانت ألسنة الناس ولا زالت تمدح
الشيخ فوزان السابق ، لدماثة أخلاقه ، ولصفاء سريرته ، ولجبه نشر الدين الحق ،
ولصبره وتدينه بالدين السلى ، ولعلمه بأخلاق البداوة والحضر ، ومعرفة البلاد وأهلها
وحلمه وتواضعه ، مما جعل له مكانة عند الخاصة والعامة ، فكان خير مفتد ووكيل ،
لأسمى سيد وإمام . وكان فى سياسته مع الناس ، ومع أرباب الرأى متيناً ، يدأب ليله
ونهاره ، ليفهم الناس ما لعظمة الإمام السلطان ، من الأيدى البيضاء ، فى سبيل هداية
البداءة الشدج إلى الدين الحنيف ، وما كانوا عليه من الخصاص ، وما مئوا به من التفرقة ،
لجلبهم دينهم ، ولعوامل الشرك التى طمست على قلوبهم ، فأنار الله بالإمام قلوبهم ،
وهدهم إلى الإيمان ، فكانوا إخوة لاقبال ، وإخوانا لأعداء متفرقين يضرب بعضهم
بعضاً . وكنا نؤمل أن يبقى الشيخ فوزان دأباً على عمله ، حتى يتسنى لنا أن نرى
لأبناء وطننا مثالا للدين والأخلاق الفاضلة ، وتتم معه ما بدأ به .

فقد علمنا أن مولاى الإمام عتي غديره لو كالة دمشق ، فلا تقول عن الرجل الآن
شيئاً ، لأن وظيفته وعمله ينحصر فى تسهيل أشغال تجار نجد ، الذين يتاجرون فى الإبل ،
بين نجد والشام ومصر ، ولكن الرجل مع قولنا ، يمكن أن يكون أكرم عند الله
منا ، فهو لا يعلم القراءة ولا الكتابة ، ولا يقدر أن يباحث العلماء ، ولا أن يتدخل مع
أرباب الأقلام والأحزاب ، وجُل ما يقدر على عمله ، هو أنه يأخذ الرسم من أصحاب
الإبل ، ويحل لهم بعض مشاكلهم إذا قدر على ذلك ، فعمله محدود ، وقليل جداً ،
بالنسبة لما يتطلبه الزمن والمملكة وتأسيس الملك ، والصعوبات التى تصادف المعتمدين
أمثاله .

ولا يظن السيد الإمام العادل أن صداقة قوازان للتغير إلى ربه ، هي الدافعة على تصديق « عظمة السلطان » ، بل هو حب الخير لقضيتنا العربية ، والوصول إلى الغاية المنشودة ، ألا وهي جمع الحجاز وسورية بما فيها فلسطين وشرق الأردن ونجد ، تحت راية واحدة ، يجعلنا أن نفكر في تأسيس نفوذ الإمام في فلسطين ودمشق وشرق الأردن ، ونرى أن مركز دمشق الشام ، عاصمة هذه البلاد جميعها ، هي مركز الحركة المنوّمة عنها . فالأمل أن تُعينونا ، بتعيين الشيخ فوزان السابق مندوباً ومعتدلاً لعظمة الإمام السلطان ، وأن تقوّوه بنفوذكم ، وتُمدّوه بكل ما يلزمه ، ليكون العمل صالحاً وناجحاً في آن واحد .

أما نحن الفقراء إلى الله ، والراحين معوته في السراء والضراء ، فنعرض ما يأتي :
هياتنا الأفكار ، وبدأت تتوحد للغاية الآتية ؛ وقد كتبت الجرائد بعد أن عمت دعوتنا البلاد ، أن الرجل الذي يُرتجى على يده تشكيل الوحدة العربية ، هو الإمام « ابن سعود » . وقد قدّمت بالبريد في طريق بغداد ، ما كتبت الجرائد ، وكنا ولا نزال نكتب في جميع الجرائد المصرية والسورية ، وفي فلسطين ، كل ما من شأنه رفع درجة نجد ، وصاحب نجد ، الإمام العادل . وكنا لا نريد أن نذكر ما علمناه من واجب ، لولا أن يكون في ذكرها منفعة للعرب ، وهو وقوف الإمام العادل على ما يجري .

إن البلاد الشامية بما فيها من فلسطين وشرق الأردن ، تأهبت لتتصافحكم وتعاونكم إذا أردتم خلاصها من الأعباء الشريفة ومكره ، وأن تحلوا فيها ، لتخلص من أنياب الأجانب .

قد يخطر على البال أننا كيف يمكننا تخليص البلاد من دوله إنكلترا وفرنسا ، وعندهم من المدد مالا يحصى ونحن ضعفاء ؟

فأقول : إن حالة إنكلترا وفرنسا اليوم ، وحتى أوروبا جميعها ، هي حالة استثنائية

يجب أن نستفيد منها. فحكومة إنكلترا يرأسها «ماكدونالد» زعيم العمال الاشتراكيين، وحكومة فرنسا يرأسها أيضا «هيريو» أحد الاشتراكيين، وزعيم حزب السلام، وأكثريّة الناس عند الدولتين، ينفرون من الحرب، ومن شرورها وويلاتها وقد قويت الأحزاب الاشتراكية في هاتين الدولتين، حتى خفّت صوت الأحزاب المخالفة، فلو قام الإمام بعد إعداد العدّد، وتنظيم جيشه بالمدافع والرشاشات التي عنده، وأرسل له الضباط الأكفاء، وبذل القليل من المال، ونظم حكومته وماليته، وتقدم إلى «الجوف» جيش يحمل راية العرب، وطالب باستقلال البلاد، لانضمت قلوب العرب إليه في الشام وفلسطين. ولهرع المتطوعون إلى جيشه، ولعلم القاصي والداني، أن سيد العرب هو إمام «نجد» لا من كانوا يدّعون السيادة، ولقهمت أوروبا أن القوس أعطيت باريها.

ولا يظن أحد أن إنكلترا وفرنسا تجهز جيشا لمقاتلة جيش يتطلب فك أسر قومه، لأن الإفرنج اليوم محتاجون للراحة، فقد خذلوا «لويد جورج» رجلهم العظيم، لأنه أراد أن يحارب الأتراك، ويحفظ للإنكليز «استانبول» والبواغيز. وخذلوا «بلندوين» لأنه يريد زيادة القوى والمساكر في مصر والهند، وقد كان عندهم أعز رجل في الدهاء والعلم، كل ذلك حبّا في السّلم، لأنهم ملّوا الحرب وويلاتها، وأصبحوا فقراء في المال والرجال. وقد خذلوا الفرنسيون «بوانسكاريه» ذلك الرجل العظيم، رجل فرنسا، لأنه أراد زيادة الجيش في بلاد الألمان المحتلة من عسكر فرنسا، وأطاعوا «هيريو» لأنه وعدهم قتل نفقات الجيش، وتسريح القسم الأعظم منه.

فالألمان الإنكليز والفرنسيون، هم اليوم محتاجون للسّلم والراحة، أكثر من جميع الدول، والإنكليز هم كالظّل يمشي مع صاحبه، فلا يما كسون قويا، ويهزمون بالضعيف والفرنسيون أمثالهم، وقد كان يظن الإنكليز أن الشريف شيء فاليوم وقد

أخذت حقيقته تظهر لهم ، فسأعرض على السيد الإمام العادل ، معاهدة أحد إخواننا مع رجل إنكليزي مستشرق ، سأل أئانا السؤال الآتي : هل يبق نفوذ الشريف في جزيرة العرب ؟

— أخونا : نعم ، له نفوذ في مكة وجدة فقط .

— المستشرق : هل هذا نفوذ حقيقي ، عن محبة من أهل البلاد ؟

— أخونا : كلاً ، ولكنه نفوذ تحكم وتجبير .

— المستشرق : إذن لا نفوذ له .

— أخونا : أنتم الإنكليز جعلتم له هذا النفوذ .

— المستشرق : ظننا . بعض رجل (يرتقى بحسب ما يتطلبه الزمن) ولكن خاب أملنا .

— أخونا : وما تظنون هل تبقون مرتبطين معه ؟

— المستشرق : إننا لم نقدر على البقاء مرتبطين مع الدول الأوروبية بمهودنا ،

فكيف نقدر أن نربط مع رجل يخلق هو نفسه المشاكل مع جيرانه . ثم يتظلم إلينا

لنعاونه ؟ فالدم الإنكليزي لا نريد أن نهريقه جاً في سواد عين أى أجنبي عن

الإنكليز . واعلم أن ساستنا ، وأخص لك منهم بالذكر لورنس ذلك الرجل الذي

عاون الشريف وأولاده ، قد يش من نجاح الأشراف ، وهو قال لوزير المستعمرات قبل

سنة وبضعة أشهر إنى تركت الاشتغال بالحركة العربية ، لأن الأشراف جعلوني أخجل

أمام قومي ، لسوء سلوكهم ، وقلة درايتهم اهـ .

إن الفرنسيين يكرهون الشريف الحسين بن علي وأبنائه كرهأ لا يتصور ، وقد

سعى الإنكليز في الماضي والحاضر ، ليقربوا بين الشريف والفرنسيين فلم يفلحوا . فلو

علم الفرنسيون أن منافعهم الاقتصادية ومنافع شركاتهم تصان لهم من قبل الإمام

العادل : لتركوا سُورِية له على شرط ألاَّ يسلبوا لأعدائهم الإنكليز ، ولرضوا أن يكون نجل الإمام « فيصل آل سعود » ، أميراً عليها ، وما ذلك على الله بمرز .

مهم : أما الإنكليز فقد كانوا يظنون أن العرب ينضمون تحت لواء الشريف حسين بن علي ، لذلك كانوا يراعون جانبه ، فإذا رأوا بأعينهم وبصائرهم أن العرب انضموا تحت لواء صاحب الدين القويم ، وإمام الهدى ، هنالك لا يبقى مجال إلا أن يدبروا الدفة ، فيصانحوا الإمام ، لأن الإنكليز لهم متكلمهم : (إياك ومعاكسة الرأي العام ، أو المشى ضد التيار) فقد كانوا مع السلطان التركي وحيد الدين ، فلما خذل وحيد الدين ووزيره فريد باشا ، مدّوا أيديهم وصالحوا مصطفى كمال أعدى عدوّ لهم . وقد صرفوا لمحاربتة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وكانوا في مصر مع « عدلى باشا » وحزبه ، حتى تبين لهم أن « سعد باشا » هو أقوى من عدلى ، فتركوا « عدلى باشا » وخذلوه ، ثم انضموا إلى « سعد باشا » وعزّزوه ، وأعطوه أكثر طلباته وهكذا حال الإنكليز مع القوى ، فهم يجارونه ، ويخشون الاصطدام معه ، وبالأخص في هذه الأيام

أهم : فاعلى المولى الإمام إلا أن ينظر لهذه الأمور الهامة بنظر الجذّ والسرعة ، فيثير رأى العام والجرائد ، وينشر دعواه في البدو والحضر ، ويسرع في تنظيم جنده ، وأخذ القريتين (أثري وكاف) لتكونا مركزاً من أجل تهديد البادية ، وموطناً لجيشه وضباطه . وإنى أقول مستعينا بالله : إنه لا تمضى سنة إلا ووفود البلاد تدعوكم ، لتشرّفوا البلاد ، والإنكليز والفرنسيون سيكلفونكم أن تكونوا حكماً مستقلين في هذه البلاد ، فهم سيوفرون عليهم جندهم ومصاريفهم ، ويضمنون حفظ الأمن في البادية ، وتأمين طرق الحجاج ، وكل ذلك بما يدعومهم للاتفاق مع السيد الإمام المقدم العادل ، وعلى مايقول جميع الناس (القوة تدعم الحق) .

حالة الشريف وأبنائه اليوم :

تبرأت جميع الأحزاب السُورية منهم ، نزل قدرهم عند البدو والحضر ، ظهر للناس جميع منفراتهم ، أصبحوا مُضغّة في أفواه الناس ، أخزاهم الله بسبب غشهم وخداعهم للعرب والمسلمين . وهم الآن يسمون لأن يرسلوا بواسطة فيصل دراهم لابن الرشيد وأتباعه ولبعض القبائل ، من أجل أن يحركوهم ضد الإمام .

وقد أرسلوا قبل أربعة أشهر رجلاً إلى « عُجَيِّى السَّعدون » إلى « أطنّة » في بلاد الترك ، يَعدُّه وعدواً كثيرة ، إن هو آتى إلى العراق ، واشتغل ضد « ابن سعود » . فكان جواب « عُجَيِّى السَّعدون » أنا لا أقدر أن أذهب إلى العراق ، ولا أعترف بحكومتهم ، ولا بالملك فيصل الذى يُحرضنى هو وأبوه أن أقاتل مسلماً ، لأنّيت رجلاً على مُلك العراق يطيع كاذراً ، بأن يكون تحت أمره ، بل عبداً خاضعاً له ، وأنا لست من الذين يَقدِّرون على غزو « ابن سعود » . فرجع الرسول خائباً خاسراً ، لا يَملُوى على شيء .

يصرف الشريف وأبنائه آلاف الجنيّيات فى كل شهر ، لتكتب الجرائد عن الإمام وآل نجد ، أنهم قساة ، لادين لهم إلا الفزو . ولكن أحزابنا ياذن الله ، كلما افتقرى الشريف وأبنائه فريتهم تقابلهم بتنفيذ كذبهم ، وتبين للناس ما هم عليه ، وما يقصدون من حَظ كرامة الإمام ، والله من ورائهم محيط .

بعد أن حازت النصر جيوش الإمام على قبائل البلقاء ومَمان ، بدأ الناس يفكرون فى إرسال وفد من رجال سُورية ليوفدوه إلى الحجاز ونجد ، ويسموا أولاً دعوى الشريف حسين ، ولماذا يَجاهر بالعداء للإمام ؟ ثم يتوجهوا إلى الإمام فيعرضوا عليه

أقوال الحسين بن علي ، ويسموا من الإمام حُجَّجِه وبراينِه ، ثم يرجعوا إلى بلادهم فيقولوا للناس رأيهم في هذا الخلاف .

هذا الوفد أكثره من الناس المخلصين ، ولكنهم يعلمون أن الشريف حسين ليس ذا رأي وتدبير ، ولكنهم يقولون أيضاً إذا أمكن أن تحقق دماء آل نبيك والحجاز بإفهام الشريف حسين أنه لا قوة لديه ، فعليه ألا يصطاد في الماء العكر ، يكون خيراً .

فنحن لم نخط رأياً بهذا الأمر ، إلا أن قولنا لهم كان أن الشريف وأبنائه هم بعيدون عن النصيح واتباع الحق ، ومن جَرَّبَ الحَرْبَ حلت به الندامة ، وعلى كلٍّ لم أر رجلاً زار الشريف حسيناً ولم يقل فيه غير الكلمة الآتية : (مغرور كذاب) لذلك أرجو الله أن يرى من الناس الشريف حسيناً من لم يره ، حتى يتضح الحق لطلابه ، وعسى يجهز وفد من قِبَل الأحزاب جميعها ، للاجتماع بالإمام عن قريب ، إذا شاء الله للبسر كل أمر عسير .

حاجتنا العاجلة : إن « المدينة » اليوم تتطلب التنظيم ، وإن التنظيم قوة الملك والعلم ، والمعرفة أساس القوى جميعها ، فلو استعجل الإمام بنشر ما يريد من إصلاح ، لأطمأن الناس إلى مساعاه ، وعلموا أن نيات الإمام مصروفة للحضارة ، أكثر منها إلى البداوة ، ولسعادة العرب أكثر منها إلى الاستسلام إلى العادات القروية . فالحمد لله على الإسلام ، فهو أسس الحضارة ، والتشريع ، والمدنية والتهذيب ، وينبوع مكارم الأخلاق ونبراس الهدى واليقين .

إننا قد أرسلنا بعضاً من خبرة رجالنا أهل الدين والأمانة والعلم والجد ، ومن ذوى البيوتات الطاهرة ، ليكون عوناً للإمام العادل ، على تنظيم الشؤون ، فمضى أن يوفقهم الله للخير ، وأظن أن عملهم هذا كان عن إخلاص ، لا عن منفعة يتلصسونها ، فهم أباة

الضيم ، آل نجدة ، لا تلهيهم المطامع عن خدمة أمتهم وأوطانهم ، فهم بفضل الله خير أعوان على إقامة الحق والعدل ، وخير من تمسك بدينه ، مبتغياً فضلاً من الله ورضواناً .

لى رجاء من الإمام العادل ، وهو أن البلاد ما زالت تتطلب أن ترى رجلاً من آل « سعود » تسمع قوله وتعبه ، وتنظر إليه لترى درجة حنوه على العرب ، وما يضمر لقومه ، وما يمكنه أن يعمل لهم من خير أراد الله تعالى . وقد كلفني أكثر أرباب المكائنة ، وكل إخواني من الأحزاب ، أن أعرض هذا الأمر على الإمام العادل ، وهو أنه لو سمح لنجدة الكريم « فيصل آل سعود » أن يشرف مصر ، فيكث بها ماشاء ليتعرف هناك رجال العرب من شاميين وفلسطينيين وعراقيين ومصريين ، ثم يزور فلسطين والشام ، ويأخذ بطريقة إلى الجوف ، ليرى العرب روح الإمام متجلية بشجته ، الذي يسمع به العرب عن بعد ، ولا يرون غير رسمه وصورته في الجرائد . ولئن هذه السياحة مستفيدة للإمام . ولادنا أيضاً ، إذ يرون آداب الأمير « فيصل آل سعود » ، وجهه لقومه ، وعزة نفسه ، ورباطة جأشه ، وأنه يصلح لأن يكون أميراً في البلاد العربية ، وإذا أراد الله إغاث هذه السياحة ، فليأمرنا الإمام ، وليعلمنا وقت تشريفه ، فتكون في معيته بمصر ، وفي فلسطين ودمشق . والأمل أن تكون هذه السياحة في موسم الخريف هذا ، أو في الشتاء من هذه السنة المباركة .

وستحدث هذه السياحة انقلاباً في أفكار القيين كانوا يتصورون أن نجدة لا يوجد فيها رجال يستميلون نفوس الحضرة إليهم . وستمكن من إقامة حفلات له في مصر ، والجبل باسمه على رموس منابر الخطابة ، وسنطريه في الجرائد بالمدح والثناء ، وستجابه بالعلماء ، وكل ذي حيئية وشرف ، ولنا الأمل بالله أن تكون زيارته فاتحة خير للبلاد .

هذا ، وإني أنتظر الجواب ، لأقوم بخدمة سيدى الإمام . أطال المولى بقاءكم ،
وحفظكم ورعاكم ، بمنائته ورعايته ، وهدانا وإياكم الصراط المستقيم آمين .
صلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، إلى يوم الدين .

الداعى

٠٢٠٢

١٢ صفر الخير سنة ١٣٤٣

من جلالة الملك إلى المؤلف وصحبه
يخبرهم بالاستيلاء على قرى الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الإخوان الكرام ، الشيخ
حافظ وهبة ، والدكتور محمود ، ومحمد بك ، وبشير ، ومحمد المجاحي ، المحترمين ،
سلمهم الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ، مع السؤال عن حالكم . أحوالنا
والحمد لله جميلة .

تقدم لكم قبل هذا خطوط فيها ما لزم بوقته .

حالا وقد علينا بشراء الإخوان أهل النُطُفُط والبيارق معهم ، يبشروننا بما من

الله به من عزم وسلامتهم .

وتفصيل ذلك أنهم في هلال هذا الشهر ، أصبحوا مصبحين كتائب الشريف

وقراء التي جهة الطائف ، وحاصرها المسلمون يومهم وليتهم ، وفي صبيحة اليوم الثاني

استولوا عليها جميعا ، بعضها غنوة ، وبعضها أمنوهم على رقابهم ، وهي قرى الأخيضر

وعرقا والمبيلة وجليل ، وفرض المسلمون فرقها وقصورها ، وغنموا ما بها من أسلحة وذخيرة

وبعدها مشوا إلى بلاد فتن ورتبها ، ووجدوا الشريف شرقا مرتبا عدده ومدافعه بالحوية

وشو محيط ، وحاصره المسلمون بقية يومهم ، إلى أن فرقهم الليل عنه .

وفي صبيحة اليوم الثاني تجهز المسلمون إليه ، فوجدوه منهزما وتاركا وراءه جميع ما كان معه من مدافع وعدد وأسلحة وذخائر . وقد غنم المسلمون ذلك وما قبله في القرى والفرق ، التي بلغت عددها اثنتي عشر فرقة لم يتركوا شيئا إلا من سبق له أمان على شيء ماله ، فجميع من آمن على شيء لم يُغَيَّر عليه فيه ، وكل من أحب العافية ، ولم يبدر منه مقاومة ، لم يتعرض له بأذى ضرر . وأما الغنائم والقتلى من الأعداء ، فلا تخصي ، والمسلمون والله الحمد والمنة سالمون ، لم يُستشهد منهم سوى أحد عشر نفرا من الجميع ، ومشت الطروش والبيارق منسورة لخصار الطائف ، الذي لم يكن بينهم وبينه سوى مسافة ساعتين ، وقريبا إن شاء الله تأتيننا بشائر استيلائهم عليه ولعلمنا بحرصكم على الأخبار ، بادرتنا وعجلنا لكم هذا على وجه الحقيقة ، لتكونوا على معلومية منه .

هذا ما لزم تعريفه ، ودمتم محروسين .

١٥ صفر سنة ١٣٤٣

من جلالة الملك إلى المؤلف وصحبه عن
الانتهاء من فتح الطائف وتطهيرها من العدو

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى جناب الإخوان الكرام : الشيخ
حافظ وهبه وإخوانه المحترمين ، سلمهم الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ، مع السؤال عن حالكم ، أحوالنا
الحمد لله بحية .

بعد ذلك قبل هذا، عرفناكم بآمن الله به من عز المسلمين ، واستيلائهم على كتاب
الشريف وقراء ، التي دون الطائف ، وذكرنا لكم مشاهم لحصار الطائف ، وحالا ورد
علينا بشراؤهم ، يبشروننا باستيلائهم على الطائف ، فله تعالى الحمد والمنة على دوام نعمه
ونصر دينه ، وإعلاء كلمته .

وتفصيل ذلك أنهم وصلوها نهار الخميس ، رابع شهرنا الجاري ، وكانت فرسان
المسلمين وطلائعهم متقدمة قدام البيارق ، وفي طريقهم واقفوا سرية للأعداء انكشفت
لهم ، فأحاطت التحليل بها ، وقتلتها عن آخرها ، واستمروا في سيرهم حتى وصلت البيارق
وأحاطت بالبلد من كل جانب ؛ وقبضوا الملائم والمراي ، وحاصروها من كل جانب
ولما كان الليل ، زحف عليها المسلمون ، حتى لزموا أطراف جدرانها ، ودامت محاصرتهم

لما إلى عصر النهار الثاني، أى يوم الجمعة فلما صار العصر حمل المسلمون عليهم حملة صادقة ودخلوا البلد، وصاروا يقتلون كل من اعترضهم يقتال، حتى لزموا مواقع الأعداء وقصورهم وحصونهم، ولم ينج من جندهم وعسكرهم أحد سوى ولد الحسين على، الذى كان وصوله للطائف قبل حصارها بيومين، ومعه خمس مئة ذلول، ومئة خيَّال، وجملة ذخائر مرسلها الحسين مدداً وعصداً لمن بها. وقد أذلَّ الله الجميع، وجعل قدومهم لمصارعهم، ولم ينج منهم سوى المذكور (على) والشریف (شرف) فقد خرجوا من وقهم على ظهور خيلهم، قبل أن يعلم المسلمون بهم، وكان دخول المسلمين للطائف فى آخر النهار، وأول ليل، فرتبوا كدائب فى جميع حصونها، وقصورها وأبوابها وطرقها، وصاروا يدورون فى جهاتها، وكل من وجدوا من جند الأعداء قتلوه، حتى انتضح نهار يوم السبت، ونادى منادى المسلمين: من أراد السلامة والإسلام، فليقبل وبلق سلاحه، فأقبل الأهالى، وظهروا من أماكنهم، وكل منهم حامل ماعنده من قوة وسلاح، وهم يدعون الله ويحمدونه على ذهاب الظلم والظلمة. وقد تم استيلاء المسلمين على البلد، وعلى جميع ما فيها من الحصون والقصور والأسلحة والمدافع والعُدَد والذخائر، والأموال التى لا تحصى ولا تعد، ومن جملة الأسلحة النارية، خسة مدافع، وخمس آلات عظيمة من أحدث طراز. وعند ضحى يوم السبت أتت طيارة، مرسلها الخليل « الحسين » من جدة، فلما قربت من المسلمين، وتوسطت من فوقهم هتفوا بها من كل جانب، فقاد الله سهامهم عليها وأصابها، ورماها الله وطرحهم، فوجدوا بها اثنين من عسكره، قتلوهما لوقتهما. ووجدوا بها جملة مفرقات، ومبلغاً عظيماً من الذهب، لا نعلم ما قصدوا بحمله معهم. وبعد أن اطمان المسلمون. وطهروا البلد من عسكر الأعداء، وأمنوا الأهالى وطمنوهم، رتبوا أناساً منهم لجمع الفنائم وإحصائها، واقتضى نظر الإخوان والمشيخ تنصيب خالد بن منصور فى البلد للنظر فى أحوالها، واستقبال وفود القبائل من الأشراف وغيرهم، الذين يطلبون الأمان، والدخول فى حوزة الإسلام والمسلمين.

والاستيلاء على ما عندهم من قوة وأسلحة وأموال للحسين، والجميع منقادون حق الانقياد ولم يبق أحد من القبائل إلا ركب وقدم السمع والطاعة ، والخضوع للأمر ، حتى إن الأشراف وغيرهم من القبائل التي في مكة جاءت مراكيبيهم يطلبون الأمان ويقدمون السمع والطاعة .

أما الحسين فقد توجه إلى جدة وغالب أهالي مكة أخلوها ، والباقون بها مرجف بهم .

هذا تفصيل ما وقع شرحناه لكم ، لعلمنا بحرصكم وشفتكم على ذلك . أما المسلمون فسلمون بحمد الله ، لم يستشهد سوى سبعة عشر نفرا من الجميع ، كلهم من عامة الناس ، ما فيهم المسمى غير هُوَيْل بن جبرين ، وتَوَّاب الدحاوي ، رحم الله الجميع برحمته الواسعة .

هذا ما لزم تعريفه ، ودمتم محروسين .

٢٢ صفر سنة ١٣٤٣

ملحق من جلالة الملك إلى المؤلف وصحبه
يعلمهم بالانتهاء من أمر الطائف

ملحق

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى حضرة الإخوان الكرام ، الشيخ
حافظ وهبه ، والدكتور محمود ، ومحمد بك ، وبشير ، ومحمد المجاجي ، عليهم الله تعالى .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع السؤال عن حالكم ، أحوالنا من كرم الله
تعالى جياة .

تقدم قبله ما فيه اللازم بوقته ، حالا وردت علينا بشائر جندنا الذي يحاصر الطائف
ولاهم الله سبحانه إياه . وتفصيل ذلك كما نجدونه بطل هذا على وجه الحقيقة ، بدون
زيادة ولا نقصان .

نرجو أن الله تعالى يديم علينا وعليكم نعمته ، ويرزقنا شكرها .
هذا ما لزم تعريفه ، ودمتم محروسين .

٢٢ صفر سنة ١٣٤٣

ملحق رسالة من الأمير عبد الله بن جالوي إلى السلطان عبد العزيز عن
قرب اتفاق إنجلترا وفرنسا وأثر ذلك في جزيرة العرب . ويقترح
تأخير نشر الكتاب الأبيض^(١)

ملحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الله تعالى يديم حياتكم . هالأيام لابد بلفكم خبر ذكرته الجرائد ، قربُ إتفاق
دولة الإنكليز وفرنسا . وبموجب إتفاقهم لابد يصير تغيير وتبديل في « جزيرة
العرب » ، ولهذا السبب رأيت أن أبين لحضرتكم رأي محكم ، بموجب أنني رأيت في
بعض الجرائد المصرية ، عزمكم على أن تظهروا « كتابا أبيض » فيما صار بينكم وبين
هذه الدولة الكافرة من المكاتبات ، وما صار في المجلس بالكُويت ، وأخاف أن
يكون فيه شيء يؤخذ عليكم من هؤلاء الكلاب . فإذا رأيتم ، الله يديم بقاءك ، أن
تنتظروا في هذه المسئلة ، ولا تستعجلوا ، حتى تعرفوا ما يؤدي إليه إتفاقهم ، وتبين لكم
المسئلة ، كان الصبر أحسن .

هذا نظر محبكم ، ونظركم إن شاء الله هو المبارك . والله تعالى يديم وجودكم .

(١) كان اسم « الكتاب الأبيض » مقترحا أولا . ثم نشر بعد ذلك باسم « الكتاب الأخضر » .

من جلالة الملك إلى المؤلف بصدد تأخير نشر الكتاب الأخضر

ملحق

خير وسرور إن شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ما عرّف حضرتكم بكتاييكم رقم ١٨ في ٢٠ المحرم فبمناه .

أما ما ذكرتم بخصوص الكتاب الذي أرسل للرافعي لأجل الطبع ، وما ذكرناه لكم بخصوص ذلك ، وأنكم لا ترون فيه شيئا يتعلق بملائقنا ، وبوجوب لتوترها مع من ذكرناه لكم ، ومع أن رأيك لم يتغير في وجوب نشر الكتاب المذكور ، فقد أخذت بالأحوط ، وأرسلت بريقة للرافعي ، أن يقف نشر الكتاب ، حتى يصل إليه تعريف آخر ، ورأيك إزاء هذا الأمر أن نكتب كتابا حسب المسودة المرسلة منكم بطريق الإخبار بما عزمنا عليه ، ولا بأس من تأخير نشر الكتاب شهرا أو شهرين ، إلى آخر ما ذكرت بهذا الشأن ، فبمناه . وعليه فقد بيضنا الكتاب المذكور ، وتجذونه بطلّ هذا ، مع خط منا للقضيبي ، نعرفه بخصوصه ، فأنتم بوصوله إليكم إذا كنتم تعلمون وتجزمون أن الكتاب المذكور لم ينشر بعد ، ولم ينشر منه شيء ، وتحققون من ذلك فاخلط هذا أرسلوه للقضيبي ليقدمه ، ونرى كيف يكون جوابهم عنه ، وإذا كنتم تظنون

أو تعلمون أن الكتاب قد نشر وظهر ، فلا فائدة من إرسال الخط ، بسبب أنه ما يمكن أن تراجعهم في أمر ، ويظهر قبل معرفة جوابهم .

المقصود إذا كان يمكن عدم ظهور الكتاب الآن ، فإرسال الخط لازم ، وهو عين الصواب ، وحسب الظن أنه فيما بعد يمكن نشر الكتاب المذكور ، وأن الرافي لا بد أنه توقف بعد ورود تلغرافكم إليه . فإذا كان كذلك فإرسال خط الرئيس^(١) لازم ، والانتظار حتى نرى ما يقولون . وإذا كان عندك علم أن الكتاب قد انتشر ، فلا فائدة من إرسال الخط ، ودعوا الأمور تجري على ما كانت عليه . هذا نظرنا بيناه لكم ، وفيما ترونه البركة إن شاء الله .

أما ما ذكرتم بخصوص هاشم ، وما بلغكم عنه من المتاجرة بأسرارنا ، وسخطكم من ذلك ، فلا تهتم لمثل هذا وأفعاله ، حيث إن الذي مثله ما يستكر عليه ، نخلوه من الأنفة والدين معا والحمد لله على كونه ما عنده أسرار نحاذر عليها ، أبدأها أو أخفأها ولا يتقدم إلا راعي الشين إن شاء الله * إن عاجلا أو آجلا .

نسأل الله أن يجازي كلا بقدر نيته وعمله آمين .

وبحسب ما بان لنا ، أن جنابكم تظن أن الملحق الذي أرسلناه لكم آت لنا منه أو ممن يتصل به ، فلا والله لا هو منه ولا ممن له أى اتصال أو معرفة به . بل هو من بعض أناس دائما يكتبوننا ، ولانهم مداخلة مع أحد ممن له تداخل في الدوائر وذويها * يكون معلوما .

(١) المقصود هنا رئيس القناصل البريطانيون في الخليج العربي .

من جلالة الملك إلى المؤلف تعليق على نشر برقية نفي التهم والإشاعات

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى جناب الأخ الكريم الأثم ، الشيخ حافظ وهبه المحترم . سلمه الله تعالى ، آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام . أخذت كتابكم المنيد بوصولكم الأحباء بالسلامة ، جعلها الله دأمة على الجميع .

عرّقتم حضرتكم عما كتبتموه في تكذيب ما يُشاع من اتهام الإخوان بقتل النساء والأطفال ، للبرaid السورية والمصرية ، وعما ستكتبونه في ذلك وفي غيره من أخبار قوّاتنا في الحجاز ، بوجه التفصيل .

إنما رأيتم المبادرة بتكذيب التهم ، بتلغراف باسم فيصل ، أرسلتموه لجرائد الهند ومصر وسورية وفلسطين ، وأرسلتم لنا صورة ذلك التلغراف ، حسنا فعلتم ، ولا شك أنكم محل الروح ، ورأيكم فوق كل شيء . جعلكم الله موقنين لما فيه الخير .

وعرّقتم عن اطلاعكم على التلغراف الوارد لنا من الحكومة ، وشكواها من قتل بعض من رعاياها ، وأسر واحد منهم ، ورأيكم بصفة الجواب صار معلوما ، وفي الحال حررنا لهم جوابا كما ذكرتم وزدنا عليه ، ولا بد أنكم تطلعون عليه من الأخ عبد الله بن جَلَوِيّ قبل إرساله ، وفي اطلاعكم عليه كفاية . وأما ما أشرتُم إليه من

الرغبة في قدومنا إليكم ، فكما عرفناكم بالخط الذي قبل هذا ، نحن عازمون على القدوم
لو لم يحصل هذا الأمر ، وضرورة نظرنا لنتيجة الأحوال ، ولا بد إن شاء الله بعد عشرة
أيام ، تبين لنا الحقائق المسيرة ، ويأتيكم منا خبر بعزمنا إن شاء الله . ولهذا يلزمكم
ألا تتحركوا من محلكم والانتظار لازم ، يكون معلوما .

هذا ما لزم تعريفه ودمتم محروسين .

٤ ربيع أول سنة ١٣٤٣

من جلالة الملك إلى المؤلف في تأمين غير المحاربين على أموالهم
وأ أنفسهم والتمهد بتعويض المنكوبين في حرب الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، إلى جناب الأخ المكرم الأخم، الشيخ
حافظ وهبة المحترم، سلمه الله تعالى، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام. تقدم قبل هذا جملة مكاتيب،
فيها اللازم بوقته، ومع هذا إليكم، أخذنا كتابكم بدون تاريخ، وجميع ما شرحتموه
أحطنا به علما. ولا سيما ما بلغكم من تولينا على مكة والمدينة، وسروركم في ذلك،
الله تعالى يسر خاطرهم بما تحبون. أما نحن فلا نستبعد ذلك وخصوصا أمر مكة،
شرفها الله، وإنما لا نقدر نجزم به قبل ورود التعريف لنا من قيادة الجيش، ولأن
لم يرد لنا علم بذلك، وإنا لمنتظرون إن شاء الله، وعند ورود خبر إلينا نعرفكم به إن
شاء الله.

وأما ما أشرت إليه من تدارك الأمور، والاحتياط لتأمين الناس على أرواحهم
وأموالهم، فهذا أمر لازم، وسنأخذ بالأسباب القوية له. بحول الله وقوته، لا يحصل
أقل خطر على أرواح وأموال أي أحد من لا يكون له تدخل في محاربة ولا غيرها من
مساعداة الأعداء. فكن على ثقة إن شاء الله، أن من لا يتدخل في هذه الأمور،
يكون في أمان على كل عزيز لديه وتأكد - سلمك الله - أننا محتاطون للأمر.

ومؤكدون غاية التأكيدات على رؤساء الجيش وعلمائهم ، بالاحتراز من ذلك ، ولا يدخل في فكرك أ.هم يتعدون الأمر ، أو يتهاونون به : مع هذا كله ، نحن فقط ننتظر ورود الأخبار في هذه الأيام : التي لا شك إن شاء الله أنها قريبة منا ، وعند معرفتها نحن عازمون إن شاء الله ، على إرسال أحد الأسرة ، ونُصِجه من نعتد على معرفهم ، وحسن تدبيرهم : وكل الأمور إن شاء الله تكون طبق الإرادة ، بحول الله وقوته ، ولا بد أن تبلىكم الحقائق منا بعد هذا بما يسركم إن شاء الله . هذا ما لزم تعريفه .
ودمتم محروسين .

٨ ربيع أول سنة ١٣٤٣

ملاحق خبير :

سلك الله ، مرسل إليكم صورة البرقية التي أنهيتم إلى الجمعيات الإسلامية والجرايد تكذيباً لإشاعات الأعداء القائلة بانتهاء كتنا لحزمة السكان والمجاورين ، فقد وصلت صورة ذلك ، وأسما من أنهيمود لهم . والحقيقة أن التكذيب ، والنفي جائز ، وحسننا فعلهم ، غير أني - سلك الله - ما كنت أود أنكم تتعهدون بأننا مستعدون لتعويض كل من حصل له ضرر في دمه أو ماله بمقتضى - سلك الله - أنه غير خاف عليكم أن غالب جند هذا الخبيث الطاغية ، مجتمعون من كل البلاد ، فيهم الهندى ، والجاوى ، والعربى ، وهم ناس مأجورون ، وليسوا من أهل الحجاز وهؤلاء عند من لا يعرفون الحقيقة أجنب ، ولكنهم بالواقع جند محاربون أيضاً . هنا أناس مر عليهم نصف قرن ، وأز يد أو أدنى ، وهم بالحجاز متوطنون ، وربما يحصل منهم مساعدة للأعداء في أسورهم الحرية وقومهم بذلك ، وغير ظاهر عليهم لجند المسلمين سبيل توجب جرمهم فيه . المقصود الأسباب كثيرة ، والناس يأخذون بالظواهر ، ولا يدرون ما بطن من الأمور ،

بسبب بعدهم عنها ، فقط يقيسون قياس فلان بن فلان الهندي أو الجاوي أو غيره ، هذا يمد أجنبياء والواقع خلاف ذلك ، أعماله أعمال وطني ، وأريد من أعمال أهل الوطن . وكل تعريف هذا قياس ، وهو بالحقيقة هو الواقع ، وبموجب ذلك يوم احتج الإنكليز علينا فيما ذكره بتلغرافهم ، ما سلمنا لهم بالخضوع للتعويض ، ولا بمحصل ذلك الأمر الذي ادّعوا به ، بل نفينا ، وقلنا إن صح شيء منه فسوف نتفاهم مع الحكومة فيه ، لأجل ما نحب أن نفر لهم شيء لم نكن على يقين من أمره .

فلهذا ، أود أنكم لا تمهدون باستعدادنا للتعويض ، ولو راجعتمونا بذلك لبيتنا لكم الذي نراه ، ولكن حضرتك - سلمك الله - تحب المبادرة بنفي الإشاعات الملققة ، وأنا أحب من جنابك أن لا تجعل بها شيئا يوجب تعيدنا شيء تجاه العالم ، أردت أن أبين لك رأيي في ذلك ، ولا تظن أن لكتبه شيئا في نفسي ، لا بل أحب أنك دائما تواصل عمك بما تراه مفيدا ونافيا عنا تهم الأعداء . وإنما أريد منع الشيء الذي تنهد به إذا رأيت فيه تمسكا علينا لو راجعنا فيه .

هذا رأي محكم . والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والصلاح ^(١) .

حفظك الله .

(١) يشير كتاب جلالة الملك إلى البرقية التي أذاها المؤلف بعد فتح « الطائف » ونفى فيها التهم والإشاعات التي أرجف بها الأعداء لتشويه سمعة الإخوان التجديدين القامحين ، والتأثير في نفوس البعيدين عن مجرى الحوادث ، وهذا نصها :

« تكذب حكومة (نجد) ما يليه خصوصها من انتهاك جنودها حرمة السكان المسلمين في الحجاز . وإن حكومة نجد على أن الاستعداد ، وتعويض كل من أصابه ضرر من أهالي الحجاز ، أو البجائدين فيه ، الذين لم يقاتلوا مع الجنود الحجازية ، في الدفاع عن الحجاز » .

وقد أرسل نص هذه البرقية إلى كثير من صحف العالم والجمعيات الإسلامية في الهند ومصر وسورية . وهذه أسماء تلك الصحف :

بالهند : تيمس أف (إنديا) ، الديلي كورنيكل ، هندو ، الخلافة ، جمعية الخلافة ، مسلم أر فلوك (لا مور) ، الجامعة (كلكتا) .

القاهرة : الأخبار ، الأهرام ، المقطم ، السياسة ، وادي النيل ، المحررة ، البلاغ ، اللواء المصري ، جمعية الخلافة ، (الأزهر) .

سورية : آف با ، في العرب ، المقتبس .

من جلالة الملك إلى المؤلف

يتضمن رأى جلالة في الأمور المعتادة في موسم الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى جناب الأخ المكرم الشيخ حافظ
وهبة ، سلمه الله تعالى ، آمين .

سلام عليك ورحمة الله وبركاته . وبعد . انخط الكرم مصدق ، وما عرفت كان
معلوما . أما ما يتعلق بالأمور المعتادة في الموسم :

فأولا : الناس يعلمون في اليوم السابع ، أنَّ الناس في الناسك ، هذا ما يخالف
عُرف المشايخ ، إنك مُراجعنا ، وإني موافقتك على ذلك .
وثانيا : الخطبة تنظر فيها إن شاء الله وأعرفك .

وثالثا ورابعا وخامسا : هذى مواد تبحث فيها أنت وللمشايخ تنذاكرون فيها ،
ونذكركلى أى شىء يقولون ؟ وهذا واصلك خط لهم .

وسادسا : هذا شىء واجب وحده ، إن شاء ننظر وتدخل محمدا أو أحدا من
العيال والغالب أنه الأخ محمد ، تبيّنون له الأمور والملاحظات اللازمة ، ويمشى على
مقتضاها .

وسابعا : القوة التى فى عرفة ، هذا شىء واجب . وأما من يعين لينفذ الحكم
فى الناس ، فهذا شاق على ، ولا بد أن تبحث عن يقع نظرك عليه ، وتعرفنى فيه . أما

الرجل الذى من أهل الشريعة ، فتبحث أنت والمشايع فيه ، وتبين المسائل كلها التى تتعلق بالحج ، اجثوا فيها كلها ، وعرفنى حتى يمحشك تعريف ، وأنت إنسان موفق ، لموجب اجتهادك فى هذه المسألة ، وتعريفى إياها لأن كثرة الشغل تصدى عنها ، واعتمادى على الله ثم عليك ، وقد أهملتها فيكون جميع ما يبدو لك من هذه الأمور موضع بحث بينك وبين المشايخ . ثم تعرفنى لأعرضها على الذين عندى ، وتصدر عن اتفاق من طرف ابن سليمان ، وبعض الشغل الذى بعرفات ، هذا وأصلك له خط أيضا ، بشرتونا بخصوص العين ، وهذى بشاره طيبة ، والأصل فيها أنت ، بارك الله فيك ، وبخصوص الشئيبى ونواقص الكسوة ، لابد أن تسلموا هذه القيمة ، تستسلمها وتسلمها له على كل حال . كذلك جاءنا مكتوب عرض حال من خدام الحرم الذين لهم معاش ونحن اليوم تضيق علينا المسألة . ونحن مقبلون على أمور تدعو إلى الانفاق ، إن رأيت لها سدادا من أحد ، فلا تدخر ، لأن المصريف علينا كثير فى هذا الوقت ؟ وعرفنى بذلك عاجلا . وأما مسألة الشيخ نورى طائى ، فيصل إليكم قراره وخط لأهل المجلس ، هذا ما لزم ، ودم سائلا محروما .

٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٤٣

الحق

من جلالة الملك إلى المؤلف ، يبين له موعد قدومه إلى مكة
لقضاء الموسم ؛ ويذكر بعض التدابير في حصار جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى جناب الأنخ المكرم ، الشيخ
حافظ وجهه ، سلمه الله تعالى ، آمين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام . بعده اخطت المكرم وصل ،
وما عرفت كان معلوما منه قبل ما صنعنا ، وقد عزمنا اليوم أن نستقيم في مكاننا إلى نهار
الثامن ، وهو الأمر الذي يراه المسلمون ، ولكن إرادة الله تطلب كل إرادة . أهل
الرويس قسم الله أنه يتخير عليهم الماء والهواء إلى آخر درجة ، ولهم أيام يتصبرون ،
ولكن صار الأمر ضروريا بعدم استقامتهم ، ورأينا أننا نتوكل على الله ونرحل ،
وخلينا من المسلمين طوائف ، كل طائفة مع واحد من قوادهم ، الذي تعد إن شاء الله
خير ، وصار مقدار الدين ينبغي أن يتأخروا . . ألفا أو خمس مئة من دون ابن
حشر وقومه ما ندري ، مبلغ عددهم ، الله ينفع بهم ولا يكلنا إليهم ، وأبقينا معهم مدافع
وعُددا ، وهؤلاء إن شاء الله يستقيمون في حصار جدة حتى يقضى الله الحج ، أرجى أن
الله لا يكلنا إلى جهننا ، وبذلك كل عدو . أما نحن فإلغالب أننا نروح عليكم ثاني نهار
الأحد ، ولا بد إن شاء الله أن يصل إليكم منا تعريف ثان .

هذا ما لزم تعريفه ، ودمتم محروسين ، والسلام .

٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٣

من جلالة الملك إلى جلالة ملك مصر
في الثناء على بعض المصريين الذين أدوا خدمات في موسم الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، إلى حضرة صاحب الجلالة
ملك مصر ، وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور ، أيده الله بتوفيقاته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإني أنتهز فرصة مثول الأستاذ الشيخ
حافظ وهبه مستشارنا الخاص ، بين يدي جلالته ، فأذكركم بكل فخر
وإعجاب ، أن الدكتور « عبد الهادي أفندي خليل » حكيم باشي ، مستشفي الأوقاف
المصرية . وأحد أفندي صابر ناظر التسمية المصرية بمكة المكرمة ، قاما بخدمات جليلة
وقدما تضحيات عظيمة ، لخدمة الإنسانية ، في بلد الله الحرام ، فجعلنا لمصر ومليكها
أسمى مكان في القلوب ، وإني لا أشك أن جلالته لكم تشعرون بذلك ، ونشاركوننا في
هذا الإحساس . وإني إذاً ذلك أرجو من جلالته أن تتمطقوا عليهما برتبة البكوية ،
مكافأة لها على إخلاصهما ، وتنشيطاً لها ولأمثالها ، وتذكارة للمجهود العظيم الذي بذلاه
ولا يزالان يبذلانه ، في ظروف صعبة .

وتفضلوا يا صاحب الجلالة بقبول أسمى احترامات ومحبة أخيكم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عدد ٣٤١ ، ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤

الختم

من جلالة الملك إلى المؤلف يملأ على اقتراح المؤلف استقدام موظفين
مصريين لتنظيم شئون الجمرک والحجر الصعى وغيرهما. ويبدى بعض
المخاوف من حدوث مشاكل

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب المكرم الشيخ حافظ وهبه ، سلمه الله تعالى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بما أتى أعدك أشفق على نفسى وملكى من
نفسى ، ولا شك فى جميع ما يصير على فيه انتقاد ، لأنك أحرص على نفسى وملكى من
كل قريب ، وبهذه الأيام عرفتنى أن الأحسن أن نكتب للدكتور سالم^(١) من قبل
جلب موظفين من الحكومة المصرية ، لأجل الجمرک والحجر الصعى وغيرها ،
وكتبت وثوقاً بالله ثم بك ، أن هذا الأمر ما فيه خلاف ، ولا يلحق منه ضرر باستقلال
البلاد ، ولا فيه انتقاد علينا من جميع الناس . ولكن فهمت ، فإما أن يكون الفهم غلطاً
أوحقيقة ، أن مثل جلبنا لمثل هؤلاء الموظفين ، يكون نقصاً فى استقلال البلاد ويحصل
فيه انتقاد ، كأن البلاد تابعة لبلاد الآخر ، أو من هذا القبيل . ومعلومك أنه إذا صار
انتقاد أو تدخل ، أن هذا شئ مشكل . لهذا أحييت أن أعرفك لأجل أنك المشول عن
ذلك ، إذا كان فيه بأس . إذا جاء الموظفين ، وصاح أهل الحجاز أو أهل الهند ومصر

(١) المرحوم الدكتور سالم هندارى ،

وانتقدونا ، فإن رجّعنا الموظفين صار نقصا في حقنا وفي حق حكومة مصر . وإن أثبتناهم صارت الأخرى .

المقصود أنت أعرف بالقوانين والمشكلات . إن صار هذا الجواب الذي سمعته أنه غلط ووهم . فالحمد لله أنا على عزمي ، وهذا الذي أريد . فإن كان الأمر فيه مشكل . فأنت تعرف أنك المسئول ، لأجل أن ائتمادي هو على الله ثم عليك .

ودم محروسا

٢٨ رجب ١٣٤٤

من جلالة الملك إلي المؤلف يناقشه في أمور مبينا له ثقته به إلي أبعاد غاية

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب المكرم الشيخ حافظ وهبه ، سلمه الله تعالى ، آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . مكتوبكم وصل ، وماذ كرت كان معلوما .
وأما ما بينت لي من نصحتك وحيثك الدينية العربية ، فأنا أشهد لك بذلك ، والدليل
على شهادتي وثوق بالله ثم بك ، واعتمادى على الله ثم عليك ، أعظم مما أعتمد على
نفسى . ولكن الذى جعلنى أعتب عليكم أمران : الأول أنك قد تننى بالخطأ بخصوص
فؤاد ومصر ، وأنت ترى احتقار فؤاد لنا ، حتى الجواب ما يرد لنا . وهو والحمد لله
ما هو على شئ من القادرين إلا ما يكون تشنعا أو منع حج أو مثله . وكنا قائلين بحقوق
المصريين فى كل ما يلزم . وجميع ما صنعت أنت لأجلهم أجبتك إليه وشئ . تراه أنت
بعينك وقد أحدث بعض القلق وهو مسألة المؤتمر . وقد كتبت لك مكتوبا فيه بعض
الشدة . ولكن منعت نفسى وتركته . ثم بعد ذلك جاءت حكاية هذا المصرى المارق
الذى أمسك بواحد من كبار المسلمين يضربه ويلعن دينه وحكومته ، وتطالب بمساحته .
فالحقيقة أن هذه أزعجتنى كثيرا . وحكيت من غير وعى . لأننى أجزم فى نفسى أنه لو
كان الأمر يتعلق بنفسك أو ولدك . لكان الفداء له نفسى وحكومتى : هذا هو أملى
وظنى . وتعرف يا حافظ يا أخى أن الرجل الذى لا يجرع على حكومته ورعيته ما فيه خير .
والحمد لله رب العالمين ، الحق مبذول للخاص والعام والحقيقة عندك . ومثل ما قالت
العامية : « الفعل مكذب الألسن » وأما حقك وواجبك علينا . فهذا إن شاء الله تجده
ونحن محافظون حتى على اسمك ومن يتنسب إليك إن شاء الله .

١ شوال سنة ١٣٤٤

من جلالة الملك إلى المؤلف ، يستنكر عدم اعتراف أمير
الحج المصرى بخطئه فى قتل الناس ، فى كتابه الذى أرسله
عند أزمة دخول المحمل المصرى الأراضى المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الشيخ حافظ وهبه سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، الخط وصل ، وما عرفت كان معلوما
وخط أمير الحج وصل ، وهذا يا أخى ما يبنى ، لأن ما فيه ما يثبت أن الخطأ منه . بقى
الآن أنه لم يكتب ولم يبين أن الخطأ منه فى حربه هذا ، وقتله هذه الأنفس وغيرها ،
ويعتذر عن خطئه ، وإلا فلا يمكن إثبات أن الخطأ منه ، والإقرار به ، فنحن نكتب
للتنصل ، وهو يقدم احتجاجنا الذى عنده ، ونجرب الأمور على حسب ما يدبره الحى
القيوم ، يكون معلوما ودمتم .

١٥ ذى الحجة سنة ١٣٤٤

من جلالة الملك إلى المؤلف في أزمة الحمل المصري وعجز
المؤلف عن إقناع المصريين بوجهة نظر النجديين ، وطلب
إعفائه من خدمة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى جناب المكرم الشيخ حافظ وهبه
المحترم ، سلمه الله .

السلام عليكم ، خطك وصل ، وما عرفت كان معلوما .

تذكر من أمر الحمل ، أنك أقتنمهم . وأنتك بعد ذلك سمعت أن السيد رشيدا
ويوسف تكلموا معي . نعم ، أما أنت فقال لي ابن سليمان : إن حافظ يقول عجز عنهم
ولا بقي لي فيهم حيلة أبدا . وجواب ابن سليمان هذا وصل إلى عند الضحى ، ثم بعد
صلاة الظهر تكلم معي رشيد ويوسف ، وقالوا لي هؤلاء غشتم ، وبين لي الذين تكلموا
معى ، حتى ظننت أنك متفق أنت وهم على هذه المسألة ، فكيف يصير لك مشورة
علينا ؟ وأنت تقول : عجزت وأبست . وأما استغناؤك من الخدمة ، فهذا أمر لا نرى له
موجبا ، فإن كان هنا سبب ثان فينبه لنا ، والله لا يضيع أحدا ، يكون معلوما .
ودم محروما .

١٦ ذى الحجة سنة ١٣٤٤

من الشيخ عبد الله السليمان إلى المؤلف بأمر جلالة الملك
أنه لا بد من إخراج المحمل المصرى من الحرم
إن طوعا وإن كرها

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب المكرم الشيخ حافظ . سلمه الله :

سيدى بلغت مولاي بخصوص المحمل وعدم قبول الجماعة خروجه ، وقد أمرنى
أن أبلغ حضرتكم أن خروجه لازم على كل حال ، فأما أنهم يخرجونه هم بأنفسهم ،
وهو أولى وأحسن ، وإلا كنا مجبرين على إخراجهم نحن بأنفسنا ، فلا يمكن أن نقبل
تمسح هؤلاء الناس ، ولا دفعهم ما يعد صدقة له من قروش .

المقصود سلمك الله ، الملك ملزم أنكم تحرصون على إخراجهم بأى حالة تكون ،
وتصبرون على المشقة والكلفة ، ونعطونا الجواب السريع ، بإيجاز خروجه من الحرم
فى يومنا هذا . ودمتم .

عبد الله

١٦ ذى الحجة ١٣٤٤

من جلالة الملك إلى المؤلف بصدد استشفاء سمو الأمير سعود

بعصر والحديث في مسائل شتى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى الأخ الكريم الشيخ حافظ وهبه ،
حفظه الله تعالى آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد وصلنا كتابكم ، وسرنا جدا مالمقيه
ولمنا « سعود » من الحفاوة والإكرام من الحكومة المصرية ، ومن الشعب المصري
الكريم ، وقد كان لهذه المظاهر الأبوية أحسن أثر في نفسي وإني أتمنى كما تعلم ، أن
تكون صلاتنا مع مصر على الدوام ، على أحسن وأتم ما يكون ، وإني أحمد الله على
هذه الفرصة التي سنحت لتوطيد دعائم الوداد بين البلدين ، وأتمنى من الله أن يوفقنا
على الدوام لكل ما به وسيلة لتوطيد روابط الصداقة والولاء بين جميع المسلمين .

ذكرتم في كتابكم تستفسرون عن حقيقة ما ذكره ناظر التسمية عن شكل
ذهاب ولدنا « سعود » قد كتبت في هذه المسألة حتى لا ينتشر الخبر إلا كما هو ، وقد
ذكر في بعض الصحف المصرية حقيقة الخبر ، فاطمان فكري من هذا القبيل . أما
ناظر التسمية فقد زار يوسف ياسين في المطبعة ، وأخبره في عرض الحديث ، بأن
الحكومة هنا ، هي التي طلبت من الحكومة المصرية ذهاب « سعود » وكتب بذلك
أمير الحج والأستاذ الظواهري ، وبطيه المکتوب المقدم إلينا من يوسف ياسين في هذا

الخصوص ، اطلعكم عليه كفاية . أما ما رواه العتيق فذلك الظن بكم ، بأنكم لا تقدمون على مثل ذلك الطالب في هذا الموضوع ، وعلى الأخص إلا بعد مراجعتنا ، لأن هذه المسألة من المسائل الداخلية ، وأنتم تعلمون أنه ليس من مصلحتنا قبول تدخل أحد فيها . وبطية الكتاب المقدم إلينا من العتيق وباطلاكم عليه كفاية . أما مسألة الشركة ، فإن المصلحة قضت بإنذار أرباب الامتياز ثلاث مرات ، بحسب شروط صك الامتياز ، ولما لم يعملوا بما في الصك ، كان لابد من اعتبار الامتياز ملغى ، وأنت تعلم أنني أنا الذى أجبرت أهل الحجاز على قبول إدخال الرجل المصرى في امتياز الشركة ، وكنت أنتظر أن ينتظم أمر هذه الشركة ، وتتأمن راحة الحجاج وراحة أهل الحجاز ، ولكن الأمر جاء على العكس ، وأصاب الحجاج وأهل الحجاز والحكومة من الشركة الحاضرة مضار كثيرة ، لذلك اضطررنا للعمل بصك الامتياز ، وجرى الإنذار ثلاث مرات .

أما الخبير الذى شاع عندكم من المؤامرة فلا أصل له . بقائنا ، ولم نسمع به إلا من جرائد الخارج .

وأما مسألة المفاوضات مع حكومة مصر ، فليس منها في الوقت الحاضر شيء ذو بال ، والمسألة بيننا وبين الحكومة جزئية ، وإذا كان لابد من بحث ، فنحب أن يكون البحث معنا هنا ، لأنه أضمن للمصلحة ، وأحفظ للعمل . وأرى أن تكون أعمالكم في مصر مقصورة على المألجة والمعاملات الودية .

وفي الختام آتمنى لكم ولئن معكم الراحة والهناء ، وأسأل الله التوفيق لنا ولكم .

والسلام

الختم

تحريراً في ١٠ صفر سنة ١٣٤٥

من جلالة الملك إلى المندوب السامي البريطاني بالعراق . احتجاجا على
مخالفة الحكومة العراقية المادة الثالثة من بروتوكول
المعاهدة العراقية السمودية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، إلى حضرة صاحب الفخامة
المندوب السامي البريطاني بالعراق .

بعد التحية والاحترام : نحيط فخامتكم علما، أننا تلقينا في الآونة الأخيرة تذاكرات
عديدة من « نجد » . ذكر مقدموها ما حصل عندهم وعند جميع سكان البلاد النجدية
من القلق والاضطراب ، حينما بلغتهم أنباء الأعمال العسكرية التي تقوم بها السلطات
العراقية على الحدود . فقد تواتر أن هنالك إجراءات وتدابير جديدة تقوم تلك السلطات
ببنائها قلاعا وأما كن مستحكمة ، وشككات لإقامة الجند في « بصوة » الواقعة في نقطة
قرية جدا من الحدود النجدية . ولا يخفى على فخامتكم ، أن القيام بأعمال عسكرية
كهنه ، وبناء تحصينات وشككات لإقامة الجند في الأما كن الواقعة على الحدود ،
مخالف لمخالفة صريحة المادة الثالثة من البروتوكول المنعقد في (المعير) في ١٢ ربيع الثاني
سنة ١٣٤١ ، وقد بذلنا كل جهدنا فيما مضى للمحافظة على نصوص هذا البروتوكول
والاتفاقيات الأخرى ، حبا منا في تقوية العلاقات الودية وتوطيدها . فنحن كثيرا من

المشائر التي راجعنا ، بخصوص إقامتها في بعض المواقع الكائنة على الحدود ، ولم
نتمكن من ذلك ، رغبة منا في المحافظة على نصوص المادة الثالثة المذكورة آنفا .
ولذلك فأننا نقابل عمل الحكومة العراقية هذا بالدهشة والاستغراب ، والأسف
في آن واحد ، ونظهر لفتخامتكم امتعاضنا من هذه الأعمال ، ومن الأعمال الأخرى التي
شاع أنها عازمة عليها ، من مدسكة حديدية أيضا ، من العراق إلى « بصوة » ،
ولا يمكننا كذلك إلا الاحتجاج الشديد على تصرفات الحكومة العراقية ، المناقضة
لنصوص المعاهدات الصريحة ، آمليين أن الحكومة البريطانية لاتسمح بهذه الأعمال ،
التي لامبرر لها ، وأنها تتلقى منها تأكيذا في القريب العاجل ، بعدم موافقتها للحكومة
العراقية على خرق عهودها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

في ٩ ربيع الأول سنة ١٣٤٦

من جلالة الملك إلى المندوب السامي البريطاني في العراق ،
 للاحتجاج على بناء الحكومة العراقية قصورا وثكنات قريبة
 من الحدود ، وأن ذلك يخالف لنصوص المعاهدة التي بين
 العراق والسمودية

بسم الله الرحمن الرحيم

في ٢٤ ربيع أول سنة ١٣٤٦

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، إلى حضرة صاحب الفخامة
 المندوب السامي البريطاني في العراق .

بعد الاحترام

نحيط فخامتكم علما بوصول كتابكم (رقم ٩٩٦٣ تاريخ ١٧ أغسطس ١٩٢٧)
 بخصوص التدابير التي رأت حكومة العراق أن تتخذها لمنع وقوع غزوات من قبل عشائر
 (كتمر) التي اجتازت الحدود العراقية إلى الحدود السورية ، فأجبنا أن نوجه نظر
 فخامتكم إلى النقاط الآتية :

١ - أننا نأسف لعدم تلقينا جواب كتابنا الذي تشيرون إليه إلى الآن ، وبعد
 أن انقضت مدة قريبة من السنة عليه ، مما جعلنا نشك في تلقي الحكومة العراقية
 لمطالبنا بالارتياح .

٢ - أن التدابير التي تشيرون إلى أن الحكومة العراقية تتخذها على الحدود لأجل إنفاذ نصوص معاهدة (بحّرة) تخالف مخالفة صريحة نصوص المادة الثالثة من البروتوكول الموقود في «التقرير» في (١٣ ربيع أول سنة ١٣٤١) لأن الحكومة العراقية بإقدامها على أن تنشئ على الحدود ، وفي أماكن قريبة منها ، ومن المنطقة المحايدة ثكنات ومواقع عسكرية، تكون غير قائمة بما تفرض عليها نصوص المعاهدات الجارية المفعول ، ولا يمكن أن يفسر هذا العمل إلا بأنه لقصد لانتظار إليه القبائل النجدية بعين الارتياح . وقد سبق وذكرنا لفخامتكم في كتابنا (رقم - ٣ - ٢٧ - بتاريخ ٩ ربيع أول سنة ١٣٤٦) أن شيوع أخبار تحصين الحكومة العراقية للحدود ، وإقامة المخافر والمواقع العسكرية عليها ، قد أوجب قلق القبائل النجدية ، وهياجها هياجاً لا يمكن إخاذه ، إلا بإقناعها بحسن نية الحكومة العراقية ، وعدم توجيه تلك التحصينات لمقاومتها .

من أجل ذلك ، نكرر لفخامتكم ماورد في كتابنا الآنف الذكر ، ونرجو من فخامتكم اتخاذ التدابير اللازمة لإزالة تلك التحصينات من الحدود ، وإنهاء الحكومة العراقية ، أنه مهما كانت صادقة النية في اتخاذ التدابير ، للوقوف دون قدم للميرين من القبائل الداخلة في الحدود السورية على الأراضي النجدية ، فإن استعمالها للحدود كنقط عسكرية ، لا يمكننا أن نتفل عنه ، بل إننا نصرّ كل الإصرار على إزالة كافة التحصينات والنقط العسكرية ، وعلى إعطائنا الضمانات الكافية على قيامها بنصوص المعاهدات .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

من جلالة الملك إلى جميع دوائر الحكومة بالمدينة لاستقبال هيئة
التفتيش والإصلاح ومعاونتهم على أداء مهمتهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى كافة دوائر المدينة المنورة ، سلمهم الله
تعالى آمين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام .

بعد ذلك وأصلكم الشيخ حافظ وإخوانه أعضاء « هيئة التفتيش والإصلاح »
فعند ما يصلون إليكم تحسنون استقبالهم ، ويفتشون جميع الدوائر ، وجميع ما يطلبونه
أطلعوهم عليه ، وجميع ما يقررون أمشوا عليه .

المقصود : أوامره التي معهم هي تقريراتي ، ولا لأحد حق الاعتراض عليهم
في جميع ما يفعلونه ، ونحرصون إن شاء الله على جميع ما ذكرنا لكم يكون معلوما .

هذا ما لزم تعريفه ، ودمتم محروسين .

٢٨ ربيع أول سنة ١٣٤٦

كتاب من جلالة الملك إلى دوائر أهل المدينة . يبين تجديد بعض
هيئات الموظفين وتعيين اختصاصهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى كافة أهل المدينة ، سلميم الله
تعالى آمين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام .

بعد ذلك بارك الله فيكم .

من قِبَل الولد «شارى» هاليوم استرخص منا ، لأجل تغيير الهواء في نجد ، ولم
نأذن له ، وبعد ذلك لما اشتد المرض عليه سمحنا له ، وحالا محمدنا عبد العزيز بن
إبراهيم وكيلًا للإمارة ، وياسين الزواف معاونًا له . أما الوظائف الباقية ، فقد أرسلنا
هيئة التفتيش والإصلاح ، تنظر في جميع الدوائر ، وأموركم جميعاً ، فبينوا لهم ما لكم
وما عليكم ، حتى جميع الأمر الذي معهم فيه تفويض ، يتصونه ويفعلونه ، والأمر الذي
ليسوا مفوضين فيه ، علنا أمراً تبينونه لهم ، وهم يبدونه لنا ، والآن أنتم خرجتم من
ذمتنا إلى ذمة أنفسكم إذا ما بلغتونا بكل شيء ، وإلى ذمة هيئة التفتيش والإصلاح ،
فثلاث أمور لابد أن نحل ، وينتخب لها انتخاب جديد ، هيئة الأوقاف ، ومجلس
الإدارة ، وهيئة البلدية ورئيسها ، كلها تعمل من جديد ، بالانتخاب العادي .
المقصود من ذلك ، أنكم إن شاء الله تساعدون على أنفسكم ، وتبينون كل مهم

واستخاب الرجال الذين فيهم صلاح الأمر في الدين والدنيا .

وأما أمر الدين ، فالعمدة على ما يقرره الشيخ عبد الله وإخوانه الماعدون له كذلك فلعلكم تسمون بشدة عبد العزيز بن إبراهيم ، وتهايون منه ، وهذا شيء لا حقيقة له ، ابن إبراهيم شديد على العاني ، حبيب لمن سلك الطريق ، وعرف حق نفسه ، وعلاوة على ذلك أوصيناه بما يلزم ، وأكّدتنا عليه التأكيد الذي إن شاء الله لا يتعداه . أما غلبة اعتياده وأمره فحق على الله ، ثم على الأحكام الشرعية ، بجميع أمر يرد إليه ، يقدم في ذلك الشرع ، ويتقيد بذلك ، ولا يتعداه متقال حجة . فأما أمور الدوائر العائدة إلى ما لا مدخل للشرع فيه ، فهو يمشي على ما شرع له في كل دائرة بمشروعها لا يتعداه ، ولا يتدخل فيه إلا بإمضاء الأوامر ، التي هو ملزم بإمضاها ، ولكن له النظر في جميع ما يجري ، وجميع ما يحدث خلافا لما شرع ، مما كان ينضى في البلد من الجزئيات ، فهو يمشي على المشروع ، وما كان مرجعه إلى النيابة في جميع الأمور الراجعة لها ، وأوصيناه بالرفق ، وتقويم أوامر الله ، والأخذ بيد من قام بها . ومستجلونه إن شاء الله كاذكرنا لكم وأزيد ، وإن شاء الله تكونوا متعاونين أتم وإياه على البر والتقوى ، وتجنهون في حسم مادة الشقاق والتمال والقبل ، وترويح الأغراض الخصوصية .

نرجو الله تعالى أن يوفق الجميع للخير ، وأن ينصرو دينه ، ويعلّو كلمته ، إنه على كل شيء قدير .

هذا ما لزم تعريفيه . ودسم محروسين .

١٠ ربيع ثلث سنة ١٣٤٦

عهد من جلالة الملك بتعيين وكيل لأمير المدينة ومعاونته من
الحكام، مع بيان اختصاصهما ، واختصاص الهيئات المسئولة
عن الإدارة والحكم والأمن والنظام والدين في المدينة

[نمرة ١ / عدد ٧٢٣ سنة ١٣٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى جناب المكرمين : عبد العزيز
ابن إبراهيم ، وباسين الرواف ، سلمهم الله آمين .
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

ثم الأمر الذي نأمركم به أنت يا عبد العزيز بن إبراهيم ، وباسين الرواف .
أولاً أنت يا عبد العزيز تكون وكيلاً لأمير المدينة ، على شرط أنك تراعى
الناس ببراءة الحق واللين والطأنينة .

أما مسألة الحاضرة وأحوالهم وترتيباتهم ، فلك النظر على جميع أمر يخالف الشرع
أو يخل بالولاية ، أو يضر بالأهالي ، أن تؤدّي رأيك في ذلك ، ولا تقبل جميع أمر
يخل بأمرنا كما ذكرنا .

وأما مسئلة الأحكام وتنفيذ الأمر الم شروع ، والقيام بالواجب نحو البلد ،
فالمشول عنها ابن رواف ، ومجلس الإدارة ، فهذا موجب دوائر البلد وحالتها .

وأما الإمضاء فلا يجزى أمر إلا تحت إمضائك . فالأمور التي عائدة لتنفيذ أمير المدينة فننّذها ، والأمور التي تحتاج إلى نظر ومراجعة النيابة ، يجب عليك مراجعة النيابة فيها ، وبعد نظر النيابة وتنفيذها ، تننّذها أنت .

فأما البادية فرجعها كلها إليك ، ليس لمجلس الإدارة تدخل فيها ، بل مرجعها إليك ، ومراجعة النيابة في أمور البادية لازمة على كل حال ، ولكن أمر البادية كما قيل : (أكرّب وجهك وأزّخ يدك) .

أما القتل والضرب والنكّال ، فهذا كله ما يصير إلا بعد تنفيذ أمر الشرع ، ويحكم على أن يصير عليه تعزير ، فلا تمض في ذلك ، خصوصاً في القتل والنكّال الشديد ، أو الحبس الطويل ، حتى تراجع النيابة ، وإذا أمضته فننّذه . ومن قبل التعرّص على الطرق ، والأمان ، وموازنة الناس ، فهذا شيء اعمل به جدّك ، وأحرّصك عليه جدّاً . ولكنّ عمدة أمرى لك ، أن يكون جميع الناس راضين عنك الحاضرة والبادية ، ولا تمض شيئاً إلا بأمر المحكمة الشرعية ، لأن ذلك أتم لأمر الله وأحسن للنفوس .

وافهم أن الناس كلهم يسمونك بالشرّ ، ولكنك إن شاء الله ، تبدل آهاتهم بالخير .

[نمرة ٢ / عدد ٧٢٣ فى سنة ١٣٤٦]

وأكبر ما أوصيك به :

أولاً تقويم أوامر الله ، وتنفيذ أمر الشرع ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والأخذ بأيدى المأمورين بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ومساعدتهم على كل حال ، فإذا انتقدت عليهم فى شيء ، فلا تتكلم فى حقهم ، لا عند خاص ولا عام ، بل اطلب رئيسهم أو كلهم ، وبين لهم الأمر ، أن هذا أمر فيه زيادة ، أو أنه لم يصلح ، فإن أقرتوا به ، فالحمد لله ، وإلا فراجعنا إذا نحن حاضرون ، أو تراجع النيابة . ثم لا تجعل لك من جميع الموظفين ظليئة ، بل اجعلهم جميعهم أصدقاء وبعيدين .

ومن طرف العسكرية ، خذوا بمخاطبهم ، وخذوا على أيديهم ، فإذا حصل من أحد منهم ، تقصير فلا ترسل خادماً من قبلك لياتى به ، بل أرسل إلى كبيرهم ، وقل له يجمع مع فلان ، فإذا جاء فننفذ الأمر .

ومن قبل دوائر الحكومة جميعها : اجعل النظر عليها عن الفساد ، ولا لك حق تتدخل فيها ، إذ بموجب القرارات المنظمة لها ، أن كلا يشى حسب النظام المقرر عنده ، فإذا ذكر لك أن أحداً يشكو من أحد أو أنه قصر ، فاكشف على المسئلة ، وانهم عنها ، فإن صلحت المسئلة فمضى ، فإن كان الأمر غير ذلك ، فارفعه إلى النيابة .

ومن جهة خدامك الذين تحت يدك ، فافطن إليهم ترهم هم الخراب ، لا يحق لأحد منهم أن يتدخل فى جميع الأمور إلا بأمر منك ، فإذا أمرت أحداً منهم يروح إلى درب ما ، وجاءك وقال : فلان لم يطع الأمر ، وسببى وعمل وعمل ، فلا تأخذ كلامه بالقبول ، بل أرسل إلى الرجل هذا بعينه ، وقابله معه ، فترك تجرد الأمر مختلفاً . والحلم فى محله زين كما أن الغضب فى محله زين .

وأما من قَبَل الخدمة على الدَّعَاوِي ، أما الخاضرة فليس للخدام عليهم حق خدمة ، لا قليل ولا كثير ، جمع دعاويهم تصدُر إلى الشرع ، ويصير الذي يمشى في أمرهم الشرطة ، موجب تنفيذ كجاري العادة ، وأما البادية إذا شدُّوا جيشاً وراحوا بخدمتهم ، فالخدمة على المئة عشرة ، وغير ذلك لا يؤخذ شيء .

[نمرة ٣ / عدد ٧٢٣ في سنة ١٣٤٦]

وأهل العوالى وأهل الميون ، فحسابهم حساب أهل المدينة في جميع الأمور .
أما من قَبَل إخوانك الذي يصيرون عندك فلا يكونون أزيد من ثلاثين . وخيرهم : هل رغبتهم في الراتب مثل العسكر ، ولا نعرفهم ولا يعرفوننا ، أو يصيرون مثل إخوان مشارى .

وأما أنت يا ياسين الرّواف فمسئولية الأحكام والتفريعات جميعها عليك ، في الأمور كلها ، فأما الأمور الحادثة فعلى طبقتين : الطبقة الأولى فهي الأمور التي مرجعها إلى الشرع ، فهذا ما أمضاه الشرع ، فامضوه ، ولا لكم حق الاعتراض عليه . وأما الطبقة الثانية ، فهي تنقسم إلى طبقتين : الطبقة الأولى هي الأمور الكبار ، التي تُقرَّر في المدينة ، وتراجع النيابة عنها ، فاعملوا كما تأمركم به النيابة ، فإن أخطأت النيابة فمسئوليتها أعظم من مسئوليتك . وأما الأمور الخفيفة ، وأحكام البلد التي لا تحتاج إلى مراجعة النيابة ، فمسئوليتها على المجلس ، وأكبر مسئوليتها على الأمير . وعليك إذا قرّرت فيها وهي مخالفة ، ولا لأحد حق ، أن يعترض على أمر ما يمضيه الأمير والمعاون . وهذا الذي خطرتلى .

أما الترتيبات ، فلا ترتيبكم ، ولا ترتيب حالكم ، فالعمدة على ما قرّرت هيئة المراقبة ، حافظ وجماعته ، والنيابة هذا في أمور الدوائر .

وأما ترتيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحكمة الشرعية والحرم ودوائر
وما يجري فيه ، الراجعة للدين وللشرع ، فالعمل على ما قرره الشيخ عبد الله بن حسن ،
فيعمل به ويحيثكم الأمر فيه إما من عندنا أو من النيابة . كذلك من قبل الإخوان
الذين يأتونكم إلى المدينة ، فاحشموهم غاية ، وإذا جاءكم أحد منهم ، وقال : رأيت
منكر كذا وكذا فقل نرفعه إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي إن شاء
الله تزيهه ، وما أمرت به فعلناه ، وهم لا تخلوهم يدون أيديهم ، وإذا مدّوا أيديهم
فانتهوهم بالتي هي أحسن ، وأخبروهم بالآ يعودوا مرة ثانية ، ولما ذكر حرر ، ليكون
معلوما ، والسلام .

١٠. ربيع الثاني ١٣٤٦

من جلالة الملك إلى المندوب السامي البريطاني في العراق لمنع مجاوزة الطائرات والسيارات المراقبة الحدود السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى صاحب النخامة المندوب السامي البريطاني في العراق :

التحية والاحترام. وبعد، فقد وصل إلينا أن بعض طائرات من العراق تحوم فوق أطراف ديارنا ، وعلى عرباتنا ، وبعضها ينزل في وسط الأرض ثم يطير ، وأن بعض السيارات (الأوتومبيلات) تسير أيضا في بعض المناطق الحابدة ، وفي أطراف الحدود . وتعلمون خفايتكم أن أهم ما يهمنا ، هو المحافظة على حسن العلاقات بين الحكومتين ، ونسكوه كل ما يوجب أى سبب لتمكيد الصفو، وأن الطائرات في مطارها، والسيارات في مسيرها لا تمر على بادية تستنكر ذلك ، فأخشى أن يمر بجاهل من الجهال ، لا يعرف شيئا من شأنهم . فأرجو أن تصدروا أوامرهم على الموظفين وغير الموظفين ، أن يحتنبوا الطرق الداخلة في حدودنا ، صيانة لهم وللعلاقات الودية بين الفريقين ، أن يصيبها أى تمكيد لا نريده ولا نرضاه .

وتقبلوا فائق احتراماتى .

١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦

من ميجر « برث » باليوز دولة بريطانيا في البحرين إلى
جلالة الملك يدافع عن وجهة نظر حكومة العراق في اتخاذ مبان
قريبة من الحدود

عدد ١٢٧ سنة ١٩٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

في ١٧ نوفمبر ١٩٢٧ الموافق ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦
من ميجر برث باليوز دولة بريطانيا العظمى في البحرين
إلى حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز وملحقها ، الإمام عبد العزيز
ابن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، المعظم .
بعد التحية ، وتقديم ما يليق لجلالتكم من الاحترام .
لقد أمرني باليوز خليج فارس في بوشهر ، أن أقدم لجلالتكم الرسالة الآتية
من فضامة المتمد السامي في العراق (نمرة ٥٧٢ المؤرخة في ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٧
موافق ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ المبرق بها من بغداد إلى جدة ، والمرسلة صورتها له
لتقديمها لجلالتكم ، وهي :
وصلني كتابكم المؤرخ (٥ أيلول) فتمجبت حيث احتججتم على بناء نقطة
« بصية » من قبل حكومة العراق .

تبعد « البصية » خمسين ميلا عن المنطقة المحايدة، وخمسة وسبعين ميلا عن الحدود النجدية ، لذلك ، من الواضح أن المادة الثالثة من ملحق «العقير» لا تشمل هذه المسألة ، ولكن الظاهر أن جلالتهكم وصلتهكم أخبار مبالغ فيها كثيرا ، عن صفة هذه النقطة التي يتكون حرسها من خمسة عشر شرطيا من الحجاجنة ، وهؤلاء الشرطة كان تعيينهم هناك من كانون الأول ١٩٢٦ ، ولكن لم يبين لهم مكان لسكنائهم ووقايتهم ، إلا من وقت قريب ، وسأقدم بالبريد ، لإطلاع جلالتهكم على صورة هذا المنزل ، مأخوذا بالظيارة .

ليس من وجود النقطة ضرر ما ، إنما هي لمنع الغزو على الحدود ، لما فيه من الفائدة المشتركة ، التي تعود على العراق ونجد . وقد أوضح هذا (مستر بورد لن) في كتابه الوارد من جلالتهكم (كلمة هي حبا ذكر بالتهنئة ، ولكن يجوز أنه أرسل لجلالتهكم المؤرخ ١٧ آب موقع نقطة الغور هو ٣٧ ميلا جنوب غربي الديوانية ليس الناصرية كما جاء خطأ في ذلك الكتاب : لاصحة أبدا لما يشاع من أن حكومة العراق تنوى مد خطوط حديدية إلى « البصية » أو تقوم بحركات عسكرية كما يشير إليه جلالتهكم ، ولتكن جلالتهكم مطمئنا بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، لا تقبل أبدا أن ينتفض العراق ما عليه في المعاهدة من التعهدات) .

انتهت الرسالة

هذا ودمتم باحترام

ميجر (سي جي برث) باليوز دولة بريطانيا العظمى في البحرين

من جلالة الملك إلى المندوب السامي البريطاني بمصر
يذكر فيه ما بينه وبين دولة بريطانيا من صداقة ،
ويعرض عليه خلاصة الموقف في جزيرة العرب
في ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، إلى جناب صاحب الفخامة
المندوب السامي للحكومة البريطانية ، بالديار المصرية الأتم .
التحية والاحترام :

وبعد : فقد رفع إلينا الشيخ حافظ وهبه ، خلاصة الحديث الذي كان بينه وبين
سكرتير فخامتكم ، وأخبرنا أن سعادة السكرتير سأله : هل يرغب في إبلاغ الحديث
بصورة خصوصية للحكومة البريطانية ؟ كما أشار سعادة السكرتير أيضا بأنه لا يرى مانعا
من أن نجعل بيننا وبين فخامتكم صلة مراسلة ، لمعالجة الحوادث التي قد تقع في مثل
الموضوع ، الذي جرى فيه الحديث بين الشيخ حافظ وسكرتير فخامتكم .

وإنه ليسرنا أن نفتح فخامتكم في موقف « جزيرة العرب » وعلاقتها مع
الحكومة البريطانية من بعض الوجوه ، لنتمكن من معالجة الموقف الحاضر ، بما تقضى
به مصالح الفريقين المتعاقبة . وغير خافية على فخامتكم ، بل على كل من تتبع تاريخ
علاقتنا الشخصية مع الحكومة البريطانية ، السياسة التي سرنا عليها في سيرتنا
السياسية ، التي كنا ولا نزال نلقاها من معاملة بعض موظفي الحكومة البريطانية ، أو

معاملة بعض الأشخاص الذين احتسوا بالحكومة البريطانية ، ولا تزال تقاوم عنهم .
كما أننا فعلنا ولا تزال نعمل في مقاومة تنوء بعض الحكومات التي تريد مطابقة التتوة
الاقتصادى فى « جزيرة العرب » وذلك رغبة منا فى المحافظة على الصالح البريطانى ، وعدم
تمكن خصومنا من أن تبلغ منها مبالغه أعمى .

لذلك كان من مقتضى ما نطلبه حقوق صداقتنا للحكومة البريطانية ، إنعام النظر
فى مصالحنا ومصالحها توفية هذا التيات فى صداقتنا حقه من العتاية .

وبهذه المناسبة أخص لكم خلاصة الموقف الحاضر ، المتعلق معاً على مطالعته
بما فيه حفظ مصالح الفريقين .

أما لنا ثلاثة أمور هامة ، تحتاج للمعالجة .

(١) موقف حكومة إيطاليا الجديد أمام « جزيرة العرب » .

(٢) موقف الأشراف فى العراق وشرق الأردن ، وعلى الأخص فى اللة الأخيرة
ذلك الموقف الذى إن ترك على حاله فسينتج عواقب وخيمة .

(٣) موقف اليونانك بيزاء « جزيرة العرب » ، ومحاربتة التتوة الاقتصادية
البريطانى .

لقد كانت الحكومة البريطانية ولا تزال أكثر الحكومات علائجه بجزيرة العرب
ولم تجد دعوة من الدوله تراحمها فى علائقتها هذه ، ولكن نظرت بمحذرة حكومة إيطاليا
فى البحر الأحمر ، وجعلت تفكر فى توسيع أطرافها توسعاً عظيماً . وقد عرضت علينا
- حتى قبل مداخلتها مع الإللام بحى - المدخول فى اتفاق معها ، ولكن قللت فى بلده دخولنا
الحيلز ، فلم نرد عمل تلك الصلة ، رغبة فى توطيد علائقتنا اللىالية بالحكومة البريطانية
ولما يشتت الحكومة الإيطالية من هذه الجبهة ، أسرع للإللام بحى ، وبشكلت مع ذلك
الاتفاق السيلز الذى أطلق ، ثم أعقبه فيما يعقب على ثقتنا بالاتفاق سرى نظير بولفر
شره من آثار ، فى مخلوطاتها الأخيرة معنا ، بثلث اعترافها بملكية الحيلز وتجهيد وسائلها

فقد كان آخر مطالبها منا أن نعهد لها بحفظ السلم والسكينة في « جزيرة العرب » التي هي غاية حكومة جلالة ملك إيطاليا ، ووَضَعَتْ مسألة عَسِيرٍ على بساط البحث ، بصورة جليلة ، بحيث طلبت أن تتعرف بنا ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتها ، مع إخراج عسير من ذلك الاعتراف ، فإذا تريد إيطاليا بهذا الموقف ؟ وهل لا ترى الحكومة البريطانية أن هذا تجاوز من إيطاليا على حقوق البلاد وسيادتها القومية .

ومن جهة ثانية ، لقد عملت لتقوية حليفها وتأييده ضد الحكومة البريطانية ، من جهة حدوده الملاصقة لها ، وعملت ضد صديق الحكومة البريطانية . كما أننا نرى ذلك منافيا للحديث الذي بَلَّغْنِي إياه (السير جِلبرت كِلَايْن) في اجتماعنا في جدة بأن نتيجة اجتماعه مع (الكافالير غاسباريني) في روما ، كان لإخبار الحكومة الإيطالية ، بموقف الحكومة البريطانية ، في أنها لا تريد أن تتدخل في شئون « جزيرة العرب » كما أنها لا تقبل أن ترى غيرها يتدخل في شئونها . فوقف الطليان هذا في اعتقادي ، موقف غير محمود ، بالنسبة لنا ، وبالنسبة للحكومة البريطانية . أما نحن فقد أبلغنا إدارة شئون خارجيتنا ، أن تبلغ الحكومة الإيطالية ، إيماناً نتعرف لنا بحقوقنا في بلادنا كاملة بغير شرط أو قيد ، وإلا فلنسا بحاجة لاعترافها . هذا هو الموقف مع إيطاليا ، وأنا نريد أن نكون على وفاق تام مع الحكومة البريطانية في هذه القضية ، حفظاً على مصالحنا ومصالحها ، وأنا ننتظر ما ينتجه درسم لهذا الموقف من النتائج الطيبة للفريقين ، إن شاء الله تعالى .

٢ — وأما مسألة موقف الأشراف في العراق أو في شرق الأردن ، وعلى الأخص في الأيام الأخيرة ، فلا يدعو للارتياح ، ولا يبشر بمستقبل هدوء وسلام ، ولو كان الأمر بيننا وبينهم وحدهم لكان الأمر ، ولأنهينا القضية بوجه حازم بحول الله ، ولأسكن بيننا وبينهم الحكومة البريطانية ، وعهودنا وصداقتنا معها ، تلك العهود التي يهيمنا المحافظة عليها ، وتلك الصداقة التي نحرص عليها ، فقد كان من شرق الأردن

بعد معاهدة جُدّة التي تقرر منع الغزو فيها ، أن تعددت الغارات من عشائر شرق الأردن ، بصورة كبيرة ، وكثيرة على أهل نجد ، ولم نتمكن برغم جميع المحاولات والمفاوضات السلمية ، من الوصول إلى شيء من التهدوء ، حتى ملنا المطالبة ، وأدّى بنا الموقف إلى أن تركنا لجناب (السير جيلبرت كِلَايْتِن) حل هذه القضية ، بحسب التحقيق العادل ، الذي تجرّبه الحكومة البريطانية ، ولم نحصل على شيء بعد ذلك .

هنا موقف شرق الأردن التي لم تنقطع غارات قبائله على عشائرها حتى يومنا هذا .

أما موقف العراق ، فقد أقدمت حكومة العراق على نقض كثير من مواد الاتفاقيات التي كانت بيننا وبينهم ، نسرّد لكم منها ما يأتي :

١ - كانت قبائل (شمر) التي التجأت إلى العراق ، وكانت حكومة العراق أغرتهم بالالتجاء إليها ، ثم كانت تعريضهم بغزونا أرادت أو أراد أولئك الأشقياء غزونا ، فأجمعوا أمرهم ، وخرجوا للأراضي السورية ، ليغزونا منها ، فأنبأنا بذلك المندوب السامي في العراق ، فاحتججنا على ذلك ، وقلنا لهم : إذا غزونا فلا بد أنهم سيمرون إما بأراضي شرق الأردن ، وإما بأراضي العراق ؛ فلم يكن لاحتجاجنا هذا جواب إلا بعد عشرة أشهر تقريبا ، إذ أنبأنا فخامته أنه رغبة في اطمئناننا قد بنت حكومة العراق سلسلة من قصور وقلاع على الحدود ، لمنع دخول الغزو إلينا ، في حين أن المادة الثالثة من بروتوكول « العقير » المنعقد في (١٢ ربيع الأول سنة ١٣٤١) تمنع كلا من الفريقين من البناء على المياه الواقعة في الحدود ، ولم يفسر هذا العمل في نجد إلا بأنه نقض للعهد ، وأن هذه الأبنية لم تُبن إلا لإيقاع الشر بنجد ، وإنا نقاسى أشد المصاعب في الوقت الحاضر على الحدود ، في ضبط القبائل عن مقابلة الشر بمثله . وقد احتججنا على هذا العمل أربع مرات ، وأنذرنا رئيس خليج فارس بسوء النتائج ، إذا لم تُحفظ

المهود، ويُرّال البناء، وحتى هذه الساعة لم نحصل على نتيجة، في حين أن هذا الموقف الحاضر من أخرج المواقف على الحدود.

(٣) حُرِّمت الاتفاقات بيننا وبين العراق، وبيننا وبين شرق الأردن، مكاتبة أى فريق عُربان الفريق الآخر، ولكن حكومة العراق لم تمتنع عن مثل ذلك، فقد كان آخر ما وقع بيدنا، كتاب «لمتصرف الديوانية» يستدعى بعض رؤساء عشائرتنا، لهذا كره في بعض الشؤون التي تتعلق بالعشائر، فاحتججنا على ذلك للمندوب السامى في العراق بتاريخ (١ ربيع الأول سنة ١٣٤٦)، ولم يرد إلينا جواب حتى هذه الساعة.

مازال بعض السيارات لموظفي حكومة العراق، وبعض طائرات تصل بين حين وآخر، فتختلط بالعُربان، وهذا مسبب لإحدى حالتين: إما حالة تقضى بأن العُربان التي تجول بينهم، ينفرون منها فيأتون من الأعمال مع أصحابها، مالا محمد عُقباء، ويكون بعد ذلك الخلاف من قال وقيل بيننا وبينهم. وإما أن تكون المداخلة للتأثير على بعض العُربان، في اتباع حكومة العراق، وعمل المشاغبات في داخل بلادنا. وهذه أمور نبهنا عليها حكومة العراق غير مرة، ولم نحصل على طائل من الخبرات. وهذه مسألة في اعتقادي ينبغي حلها حلا بشكل حازم، لأن بقاء الموقف على حاله الحاضر سيعرض لاسمح الله -موقف بلادنا لحالة لا نرضاها، والجميع يعلم مقدار محافظتنا على صداقة الحكومة البريطانية، حتى غاية الجهد. وقد شرحت لكم هذا الموقف، لتعملوا رأيكم في معالجته لوضع أساس بيننا وبين الحكومة البريطانية صريح، بإزاء موقف الأشراف ومداخلتهم فيما يعكر صفاء الود بيننا وبين الحكومة البريطانية.

أما المسألة الثالثة فهي موقف حكومة «السوفيت» وعزمها على حيازة النفوذ

الاقتصادى في بلاد العرب.

إننا نصارحكم برأينا في هذه القضية. إننا بادئ بدء اتخذنا في الحجاز الإجراءات

التي لاتقاوم قوانين حرية التجارة في العالم ، واتخذنا من جهة ثانية بعض احتياطات أخرى لمنع سبق نفوذهم .

قد يكون من المفيد لاقتصاديات بلادنا ، تسهيل سبل التجارة من روسيا ، ولكننا نرى في ذلك ضررا لا يستهان به على مُنتجات البلاد البريطانية ، وإن لم يكن بيننا وبين الحكومة البريطانية أية اتفاقية تجارية ، لرعاية منتجاتها ، فإننا جبا في المحافظة على المصالح البريطانية ، ومقاومة لمنافسيها ، وقفّت حكومتنا في الحجاز ذلك الموقف ، الذي لابد أن بلغكم أمره على أن «السوفيت» لم يأل جهدا في التقرب منا ، وتقديم المساعدات لنا ، وهم على موقفهم وقربهم من كثير من بلاد الشرق ، ولكننا لم نزل حريصين على صداقتنا مع الحكومة البريطانية .

وقد بسطت هذه القضية لفخامتكم ، لتفكروا في طريق لمعالجة الوسائل الاقتصادية بين البلدين ، ولتعلموا من موقفنا مقدار حرصنا على المحافظة على مصالح الحكومة البريطانية .

هذه أمور ثلاثة حَرِيّة بالنظر والتفكير بسطناها لفخامتكم بهذا الإسهاب ، ونحن واثقون من أنها ستعال من فخامتكم كل عناية ورعاية ، ونأمل أن تتوصل بفضل وساطتكم لحلّ مُحْتَظ بها مصالح الفريقين .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتنا .

من جلالة الملك إلى « ميجر سيرل برث » ليلف رئيس
الخليج الفارسي ، وليقدم هذا إلى دولة بريطانيا عبر اعتداء
الطائرات العراقية على بدو نجد عند منطقة الحدود

[عدد م / ٣ / ٢٧ في ١٣ شعبان سنة ١٣٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى سعادة (الميجر سيرل برث)
بالبوز دولة بريطانيا العظمى في البحرين .

« التحية والاحترام .

وبعد ، فأرجو منكم أن توصلوا بأسرع ما يمكن ، لسعادة الكولونيل رئيس
الخليج الفارسي ، ليقدّم للحكومة البريطانية ، بتجميع الجهود والمصاعب التي نلاقها ،
بأسباب أعمال حكومة العراق ، وفي المدة الأخيرة ، بعد أن اضطررنا الدّوِش
للرجوع إلى دياره ، وبعد أن ضيقنا عليه جميع أنواع التضييق ، وأقنعنا أهل نجد أننا
سنحلّ الخلافات التي وقعت بسبب أعمال حكومة العراق ؛ بطريق المفاوضات السّلمية ،
وحملناهم على استنكار أعمال الدّوِش ، وقوطع الدّوِش وحُوصِر من كل جهة ، ولم
يبق من أنواع التأديب التي لم نعملها معه ، إلا تسيير خَمَلة عليه ، وهذه لم تؤخرها إلا
انتظارا لما ستأتى به المحادثات والمفاوضات ، من نتيجة البحث في مسألة المجرمين ؛

لأننا لا نأمن من فرار الدُّوَيْش إلى العراق ، وقبول حكومة العراق . فبعد أن وصلنا لهذه النتائج ، بفضل ما بذلناه من الجهود ، واستتب الأمن ، لم نشعر إلا بالطائرات تنذر قومنا في ديارنا ، بأنهم سيكونون عُرضة لتهديد الطائرات ، ثم لم نشعر بعد ذلك إلا بأن الطائرات تجاوزت حدودنا ، وضربت الآمنين في ديارنا . لذلك كان لهذا الحادث أثره العظيم في نجد ، بعد ذلك الهدوء الذي ساد البلاد ، فقد هاج عملُ موظفي العراق بضربهم لديارنا سائر أهل نجد ، وأوجد في نجد حالة لا تستطيع أن تقدر ما ينتج عنها ، وإنا تلقى تبعه كل ما حدث ويحدث من الحوادث على عاتق أولئك الموظفين ، الذين اتوا فَعَلَتَهُمُ الشَّعَاءُ النَّكَرَاءُ ، بغير تعتر بالعواقب . ولذلك نحتج بشدة على ما يأتي :

(١) على تعدى الطائرات حدودنا ، وإلحاقها إنذارات على عرباننا .

(٢) على اعتداء الطائرات على الآمنين من رعايانا في ديارنا ، مما لا يُقْبَرُهُ قانون دَوْلِيّ ، وليس هناك أى سبب مُوجِب يُجْزِرُ عليه . وأحب أن يتأكّد للحكومة البريطانية ، أن هذا أبلغ سهم أصيبت به العلاقات الودية بين نجد والعراق ، وأن نتيجة التبيح الذي حصل في نجد ، مما نخشى أن يولد حوادث جساما من بعده ، لنا بمشولين عن شئ منها ، وإنما يُسأل عنها من اعتدى من غير سبب ، وحرك الفتنة بعد سكونها ، هذا ما نرجو منكم إيصاله بأسرع ما يمكن .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

من جلالة الملك إلى ميجر برث، في نفس موضوع الرسالة السابقة
مع زيادة في التفصيل

[عدد م / ٣ / ٢٧ - ١٦ رمضان سنة ١٣٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى سعادة (الميجر سبرل بيرث)
باليوز دولة بريطانيا في البحرين :

التحية والاحترام :

وبعد : فقد تلقينا كتابكم المؤرخ (٥ رمضان عدد ٨٤) المتضمن البرقية الواردة
لحضرتكم ، من سعادة رئيس الخليج الفارسي ، لتقدموها إلينا ، فأرجو منكم أن ترسلوا
بالسرعة لسعادة رئيس خليج فارس ، ليقدم للحكومة البريطانية بأسرع واسطة جوابنا
التالي على تلك البرقية :

« إني آسف لما وصلت إليه الحالة الحاضرة ، بسبب توالي نقض من في العراق
لعهودنا ، ويظهر أنه حتى هذه الساعة ، لم تُدرَك حقيقة الشكوى التي نشكوها ، ولا نزال
نرى إغراضا عن جوهر المسائل التي عرضناها على الحكومة البريطانية ، بصدد الموقف
الحاضر ، وإنا نأمل هنا ، ماسبق في صدّد ملاحظتنا على ماورد في جواب الحكومة
البريطانية الأخير ، فنقول :

(١) إن « مطير » لم تكن كلها المذنبية ، وإنه غير مسلم به أن الدويش خرج عن الطاعة ، أو أنه أعلن العصيان علينا . والحقيقة أن الدويش مع نفر من « مطير » أتوا في العراق أعمالا ليست بأمرنا ، ولا نقرهم عليها . أما الدويش في أراضينا فهو تحت أمرنا وقهرنا ، في كل وقت وحين .

(٢) تطلب منا الحكومة البريطانية تأكيذا باتخاذنا للإجراءات لمقاصة الدويش ومنع الغارات . ومن العجب أن هذا الطلب يأتينا مُجدِّداً ، في حين قدأ كدنا للحكومة البريطانية اتخاذنا لهذه الإجراءات ، قبل اعتداء من في العراق بطائرات الحكومة البريطانية على أراضينا ، وذلك في كتبنا السابقة ، التي نرجو مراجعتها ، وقد وقَّفت الاعتداءات على أثر تلك الإجراءات ، وكان من نتيجة مساعينا ضد الدويش ، أن اضطرَّ مرغماً للامتناع عن الغزوات ، والجلوس في بلده ، ثم قوطع من كافة أهل نجد ، وحوصر من قبل الحكومة ، حيث مُنعت الأرزاق عنه ، واضطر أخيراً لمكاتبة أمير الكويت ، ليتفق معه على فتح طرق التجارة للكويت ، ولم تضرب الدويش الضربة الأخيرة ، لاقتصاص كل شيء منه ، إلا انتظاراً للمفاوضات كما بينا ، ورغم كل هذه الإجراءات التي علمت بها الحكومة البريطانية في وقتها ، لم يتوقف من في العراق عن إنفاذ المهوى الذي لعب في نفوسهم ، لحسم المشاكل بالتي هي أحسن ، بل تعدَّوا وأتوا من منكر الأعمال التي يقشعر لها قلب الإنسانية ، فضربوا عترة وحرباً وتعرَّفوا حدودنا الشمالية الغربية ، وضربوا غيرهم ، في حدودنا الشرقية الشمالية ، وكل الذين ضربوا لاذنب لهم .

(٣) إن المبدأ الذي تكرَّر في الكتاب الأخير ، والذي جاء في بعض الكتب السابقة ، وهو القاضي من قبل الحكومة البريطانية بمشروعية مطاردة أو مجازاة رعايا نجد داخل أراضى نجد ، من قبل موظفي العراق ، أو أى جهة في العالم غير نجدية ، من أجل أى جُرْم اقترفه النجديون ، إن هذا مبدأ لا يُقره قانون

«تولى» وتتمتع بمعاهدة بحرية ومعاهدة جُدَّة ، وهو مبدأ لا يمكن أن أسلم بمشروعيتها
يُوجه من اللوجستية ، وأعتبره في أى ساعة يعمل ، ولأى سبب كان ، اعتداء على استقلال
تيجد ، وتحتفظ لحرمة الحقوق الدولية ، ونقضا للمعاهدات بيننا ، وأحتج عليه بشدة في كل
وقت وحين ..

((٤)) لقد أسفنا للغارة الأخيرة التي كانت في جهة « الجُويشان » وأسفنا لما
وصل إلى وطننا « أن عصابات قوَّية من متطرفي النجديين على الحدود ، ممن أصابهم
الغنى الطيارالت يتغير سابق ذنب أتوه ، توجهوا جهات العراق ، ولا نعلم الجهة التي
تصل إليها ، لأننا المضطربنا بعد إنذار الطيارات ، وإقدامها على ضرب أراضينا ، وضربها
ليجندنا الذي كان يحرس الحدود ، أن نأمر برجوع جنود الحرس من الحدود ، إذ يصعب
على أن أرى جندى يشتبك في معارك مع جُند الطيران البريطاني . وبعد أن سجننا
جندنا من مناطق الحدود ، قلت المعلومات التي لدينا ، عن الأعمال التي تقوم بها القبائل
في تلك الأطراف .

((٥)) لقد طلبت منا الحكومة البريطانية ، أن نأخذ المسؤولية على عاتقنا ، لنتمتع
عننا إيجراواتها .. لقد أخبرنا الحكومة من قبل ، أننا مستعدون لتحمل تلك المسؤولية ،
من منطقة حدود العراق ، بشروط ثلاثة نكرها هنا ، ونزيد عليها شرطا رابعا ، دعت
إليه الحاجة التي نتجت من سوء التصرف الأخير :

الأول — أن يُحترم بروتوكول « العقير » فيهدم القصر المشؤم في « بصية » ،
ولا ينبغي تغييره على الحدود .

ثانيا — أن نتعاقد مع العراق أن لا يؤوى أحد الفريقين مجرما لاجئا من بلاد
الفريق الآخر ..

ثالثا — أن يُمنع اختلاط المواطنين بغيرنا ، ودعوتهم للفرار والفساد .
رابعا — أن تقوم الحكومة البريطانية ، فتوجه المسؤولية عن الأعمال التي وقعت

على حدود العراق ، إلى المسبيين لها ، وتحمّلهم تبعّة ما صنعوا ، فبغير الحصول على هذه المطالب الأربعة ، لا أرى سبيلا للوصول إلى توقيف الحياج الحاصل .

ومن مراجعة جميع ما كتبناه وشرحناه للحكومة البريطانية عن حقيقة الموقف ، يتبين جلياً أن ما نقرحه هو الدواء الناجع لما وصلنا إليه ، وهو الذي تقضى به الحقوق والعهود .

(٦) أمّا أن حسم هذه الأمور ، بطريق المفاوضة مع سعادة رئيس الخليج الفارسي ، يكون أكثر فائدة من المراسلة ، فذلك مما نوافق عليه ، وإنه إذا لم يكن مانع من قبل سعادة رئيس الخليج من الاجتماع ، ولو في حين عدم التمكن من القبض على المصابات التي خرجت من التطرفين ، فإننا على استعداد لتعيين المكان والوقت الذي يمكن الاجتماع فيه ، لحل المشكل الحاضر .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

من جلالة الملك إلى المؤلف ، لتبيين أمر أهل الغطفط والدؤيش .
وبعض الغلاة والتعصب في الدين ، وأنهم لم يكونوا على حق
في ذلك ، ويان ما أنزله جلالة الملك بهم من النكال ، حتى
قضى على قتلهم

عدد ٢٤٩٤ سنة ١٣٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى جناب المكرم الأنضم ،
الشيخ حافظ وهبه سلمه الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد - فنعرفكم أنه من مدة ثلاث سنين ؛ وبعض هؤلاء الإخوان وخاصة أهل
الغطفط والدؤيش ، وقسم من الغلاة الذين يتشددون بالدين ، ويصير معهم تعصبات
وأمر مخالفة لأمر الشرع . وقد كانوا مفرورين ، ومعهم بعض المهاجرين من البادية
وم يرون أن أمرهم حق ، لأجل محبتهم للدين .

ولكن (والحمد لله) انكشف الغطاء عن كثير من المسلمين ، ورأوا أن هذه
الجماعة بين فرقتين : إحداهما تتعبد على جهل ، والأخرى لها بعض المقاصد النية ،

كقطع وغيره ، وتجعل الدين لها حجة ، وبهذه الأيام بعد رجوعنا ، جمعت أعيان أهل نجد مع علمائهم ، وقرروا ما قد بلغكم .

والتصمد من ذلك الكشف عن الحقيقة لأغلب الناس ، وتبين أن هؤلاء الغلاة ليسوا على حق .

ثم بعد ذلك أكثرنا لهم النصائح والدعوة ، لأجل براءة الذمة عند الله ، ثم النصح للرعية ، ولكن لم يُنفذ ذلك ، فاجتمعوا هذه الأيام ، وأشاعوا عند أهل نجد أنهم غازون ، وأن قسدهم القصور وأهل القصور التي في حدود العراق ، يريدون بذلك خديعة أهل الحق . وبعد ذلك تبين أمرهم أنه فاسد ، وأخذوا بعض الرعايا ، فلما تحقق ذلك عند المسلمين ، وثبوا وثبة رجل واحد ، جزعا من أمرهم واجتمعوا لوضع حد حازم لهذه الأمور ، فلما تكامل جمعهم ، دعوناهم لتحكم الشريعة في جميع أفعالهم ، وأبوا عن ذلك ، ثم بعد ذلك أرسلنا لهم الشيخ عبد الله العنقري ، والشيخ أبا حبيب ، ودعوم فلم يقبلوا ، فلما رأينا ما بهم من الفساد ، وعدم الامتثال للشريعة والولاية ، استعنا بالله عليهم ، وأمرنا المسلمين يمشون إليهم ، وأخذ الله أخذهم الله ، وقتل منهم جملة ، والمسلمون من فضل الله لم يصابوا إلا بخسارة قليلة جدا ، تعد بالأصابع ، وبعد ذلك رجعوا وطلبوا العفو وتبين للقوم الذين معهم أنهم ضلوا الطريق ، وجميع من كان معهم وسلم من القتل ، عفونا عنه إلا الدويش وابن محمد ، ما أعطيناهم إلا بتحكيم الشريعة فيهم لأنهم أساس الفساد ، والدويش جريح الله أعلم أنه يموت أو يحيا . وأيضا قبلوا تحكيم الشريعة فيهم لأجل أمرين : الأول (الحمد لله) تركبهم الناس ، لأن منهم من قُتل ، ومنهم من زَبَنَ المسلمين وعفوا عنه ، والثاني أنهم ليس لهم ملجأ . والحقيقة أننا ما كنا نحب أن يصير بين المسلمين قتل رجل واحد ، ولكن امتثالا لأمر الله

فى قتال الباغين والسعى وراء راحة المسلمين ، أجبنا على ذلك ، والعاقبة من فضل الله حميدة للإسلام والمسلمين .

والآن (والحمد لله) أهل نجد مسرورون ومرتاحون ، العارف منهم استراح ، وحصل له مقصوده ، والجاهل ذل وبطل مقصوده ، وبموجب ذلك أجبنا تعريفكم .

نحمد الله على نعمه ، ونرجو منه دوامها ومزيدها .

هذا ما لزم بيانه ، والله يحفظكم ، والسلام .

٢٢ شوال سنة ١٣٤٧

ملحق من جلالة الملك للمؤلف في تسلم بقية العصاة من حكومة
السكوت وتيقظه للأمر ، وعدم التساهل فيه

ملحق

خير وسرور إن شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد وصلنا كتابكم المؤرخ في ٨ رمضان ، واطلعنا على جميع ما ذكرتم من
التفصيلات . فبارك الله في همكم وأعمالكم ، وقد اطلعنا على الكتب التي أرسلها لنا
دكن ، وكذلك كتب الشيخ أحمد آل جابر بشأن العصاة ، ومقصودنا كما تعلمون
من الإلحاح هو حسم باب الشر والفساد ، فإن وفي الجماعة بما وعدوا فذلك المقصود ،
وإن أخلفوا في شيء ، فتكون الحجة بيدنا قائمة عليهم في كل وقت وحين . لذلك
أحرصوا كل الحرص في هذا الأمر ، واحزموا الأمر في جميع وجوهه ، ولا تتساهلوا
في أي شيء من الأشياء ، ولا تتركوا الاحتجاج عليهم في كل أمر يبلغكم من أمورهم .
أما مسألة الوفد وتدييره ، فبصلكم اليوم بعد هذا مع فؤاد وابن معمر ، وتجدون طيه
كتبا لدكن جواب كتبه ، وكتبا للشيخ أحمد تطلعون عليها وتسلموها لأصحابها .

سنة ١٣٤٧

من جلالة الملك إلى المؤلف ، في تسلّم بعض المصّاة من حكومة
الكويت ويوصيه بالرفق وحسن التصرف في الأمر

ملحق

خير وسرور إن شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلنا كتابكم الثاني المؤرخ ٩ رمضان ليلا وكنا كتبنا لكم قبله كتبنا بالذي
في الغلط ، ومع الكتاب كتاب للشيخ أحد ، وكتاب له كسن . فإن وجدت أنه
بالإمكان تمهدهم خطيا كما يلي ، بدون الكتب ، فلا لزوم لتقديم الكتب ، وإلا
فقدم الكتابين إليهما .

أما من جهة مقابلة القائد ، وإعطائه الورقة التي ذكرت ، أو الورقة التي ذكرنا
لك ، فأولاً راجع أحد ، وراجع دكسن كتابة ، واطلب منهما أن يكتبنا لك تمهداً
بأنهما مسئولان عن تسليم الباقيين من المصّاة في أي وقت يكون ، وفي أي حال تصير .
فإن أعطوك هذا التمهيد ، يكتبونه لك مباشرة ، أو يكتبونه باسمنا ، فأخرج للقائد ،
وسله الورقة التي طلب ، مع الاحتياط في الكتابة ، وذكر الذين لم يخرجوا بعد . وإن
كان لم يكتب دكسن والشيخ أحد تمهداً خطياً بالأمر ، فاكتب للقائد اعتذاراً عن

الخروج إليه ؛ وإنا لا نزال نعتبر أن من وظيفة السلطات العسكرية ، تسليم الباقيين من العصاة إلينا ، إلى أن تتعهد السلطات السياسية بإخراج الباقيين .

وإتنا قد أوعزنا للنفيى أن كل كتاب من أحد أو من القنصل يرسله لك ، وتكرسه وتشرف عليه ، لتعلننا برأيك فيه ، وتعرف خطتك التى تمشى عليها .

المقصود من ذلك أننا نحب المجاملة معهم بكل حال تصير ، إلا إذا لم يحصل منهم إخراجهم تماما أو لم يعطوا الكفالة ، فنحن ملزمون أن ندافع ، ولكن ظنى أن أحد ما عنده إلا التلق ، والقنصل ما يحب يعطى على نفسه مسئولية ، بسبب خوفه من أحد . فهذا ظنى . اعرف رأيك فى الأمر ، وخذ أمرك بسياسة ، لعل الأمر ينتهى بدون إزعاج . وبالله ثم بك كفاية .

وأما مسألة الوفد فهذا ما يخالف ، لعله يكون لك نفس أنت وفؤاد فى الكلام معهم .

هذا آخر ما عندنا . وبالله ثم بكم كفاية .

سنة ١٣٤٧

مذكورة من جلالة الملك إلى الحكومة البريطانية
تفصيل أخبار فتنة (الدويش) ومحاربة النجديين له
حتى قضوا عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلم الحكومة البريطانية ، أننا سرنا من الحجاز هذه الأيام إلى نجد ، بعد أن
تلقينا منها التأييدات الكاملة ، بتمهدها بمنع العصاة الذين تجمعوا بالقرب من حدود
الكويت ، من الالتجاء إلى العراق أو الكويت ، أو الاتجار معهم ، وبمنع إيصال أى
مساعدة لهم من أى جهة كانت من تلك الجهات ، وسرنا ونحن عازمون على السير
للعصاة حيث كانوا لتأديبهم التأديب الذى يبطل أمرهم ، ولا يجعلهم يقوم لهم قائمة بعده
بحول الله وقوته ، ولكن أخرنا عن الإسراع فى ذلك ، اشتداد الحر وتعذر سوق الجند
من داخلية نجد فى هذا الفصل الشديد ، الذى تقل فيه المياه فى الطرق ، ونجف المراعى التى
ترعى فيها الإبل ، لهذا أخرنا السير إلى العُصاة ، واكتفينا بتعزيز القوة المواجهة لهم ،
بحيث أصبحت بحول الله قادرة على صدأى اعتداء يقع على أى جهة من الجهات ، فى أطراف
الخليج ، وصادف فى توقفنا هذا أن الدويش ومن معه ، حصل لهم بعض تشجيع ، من
بعض الجهات التى سنورد تفاصيل أعمالها فيما يلى . ففكر أن يقوم ببعض الغزوات ،
ليبرهن للجهة التى أوعزت إليه بقيامه بأعماله ، فجعل هدفه أولاً فريقاً من « السبعان »
مقباً على ماء يسمى « القاعية » يبعد ست ساعات عن الأوطاوية ، وقد علم « السبعان »

بعرمه ، فخرجوا إليه بإبلهم التي هي ضالته التي ينشدها ليفروه بها ، فيقدم لقتالهم ، وهم يريدون بذلك اصطياده لمنازلته ، ولم يتركوا على الماء غير نسائهم وأطفالهم والمخزاة منهم ، لأن هؤلاء لامطعم لأحد في قتالهم ، ولكن الدؤيش خالفهم بطريقهم ، فلم يلتق الفريقان ، ووصل الدؤيش إلى الماء ، فوجده خالياً من القوة ، إلا من عدد قليل تمكن من التغلب عليهم ، وقتل الأطفال والنساء . ولما علم « السبعان » بأمرهم رجعوا إلى الماء للقاء الدؤيش ، فوجدوه قد فر بن معه ، وقفل راجعا . وقطع الدهناء .

وحدث بعد هذا أن أناسا من الذين كانوا مع الدؤيش ، من الجماعة الذين كانوا مع ابن مشهور ، من عتبية وغيرهم ، بعثوا إلى رفاقهم في نجد ليطلبوا لهم الأمان منا إذا رجعوا . وكنا وعدناهم بالأمان لهم إذا قبلوا الرجوع . نازلين على حكم الشرع . فأظهر أولئك نعمتهم على الدؤيش ورفاقهم له ، وساروا قافلين إلى بلدهم ، فلم يمسهم أحد في رجوعهم بأذى . ونظرا لما كان من تشويق من بالعراق لهؤلاء ، كانوا يضررون الشر . ولما وصلوا إلى منازلهم أعلنوا بين بعض البدو أن الشريف فيصل في العراق مؤيد لهم ، وأنه أرسل أخاه الشريف عليا ، ليهاجم الحجاز من جهة شرق الأردن ، وأنه هو مستعد للسير على نجد من جهة العراق ، إذا رآهم قاموا علينا في داخلية بلادنا ، وكان مع النصاة هؤلاء بعض « العتبان » الذين كانوا يعيشون في كنف الملك فيصل في العراق ، كعمد الخضرى ، وعبيد بن فيصل بن حميد وغيرهم . فسول الشيطان لقليل العقول من « العتبان » حتى أطاعوا هؤلاء . فكان من بعضهم أن امتنع عن تأدية الزكاة . وكان من بعضهم أن نهب بضعة من الإبل لبعض المارة . فأمرنا في الحال على القوة المستقرة في أماكنها ، أن يبادر كل فريق من مكانه ، لقتال جميع من اشترك مع البغاة في الفعل أو الكلام أو الرأي أو المساعدة ، وسيرنا من عندنا قوة بإمرة ابن أخينا (خالد بن محمد) وقد قضى الله أمره في سائر البغاة الذين حدثتهم أنفسهم بالشر ، واستقر الأمر في داخل نجد على الوجه الأكمل ، بفضل الله وتوفيقه . ولم يبق علينا إلا السير للبغاة في الشمال ،

حيث تقوم بتأديبهم . وإن شاء الله لا يمضى النصف من ربيع الثانى إلا وتكون القوة قد نهأت المسير .

وقد حدث شيء جديد ، نحب أن نعرف رأى الحكومة البريطانية فيه ، حتى لا يقع شيء من المشاكل فى المستقبل بسبب سوء تفاهم ، أو باى سبب من الأسباب . وقبل إيراد هذا الأمر ، نرى أنه من المفيد جدا أن نعرض على الحكومة البريطانية ، مُجَلَّ الحوادث التى وقعت ، مما يخالف تعهد الحكومة البريطانية ، ونعتقد اعتقادا جازما ، بأنها وقعت بغير رضاها . وقبل سرد تلك الحوادث ، لانبجذ بدأ من أن نذكر بالثناء والشكر ، الجهود الطيبة ضد العصاة ، التى كانت من سائر الموظفين البريطانيين سواء المقيمين فى العراق ، أو فى الكويت ، فإنه لا يوجد لدينا أى ملاحظة نذكرها على موقفهم إزاءنا ، وعلى الأخص مجموع الأنباء التى وصلتنا عن (المترد كسن) فى الكويت ، فإنها جميعها تدل على الحزم والعزم ، الذى واجه به الحوادث فى موقفه مما يدل على حرصه على تنفيذ سياسة حكومته فى تلك الأطراف .

أما الأمور التى نريد أن نعرضها على أنظار الحكومة البريطانية فهى كما يلى :

١ — فى أواخر ذى الحجة وأوائل محرم أخذت مراكب العُجَّان وابن مشهور ومن معهم تقدم الكويت ، وتنزل ضيوفا على ابن صَبَّاح ، واشتروا جميع ما أدركوا من سلاح وفشك .

٢ — فى ذلك التاريخ كتب ابن صَبَّاح لكبارهم أعطيات من العيش والتمر ، وأعطاهم ما يقرب من ستة آلاف ريال .

٣ — وفى ذلك التاريخ أيضا اشترى ابن مشهور والعُجَّان مقدار عشرين فرسا من الكويت ، منها عشرة أفراس اشترت من صَبَّاح الناصر ، أمر عليها وبيعت لهم .

٤ — وفي أوائل المحرم (يونيو) قدمت مركوبة بإمارة سُحان ، على ابن صَبَّاح وعدد رجالها ستون ، ونزلت بالمُدَيْلِيَّة ، وخرج إليها عبد الله الجابر ، فأكرم وفادتهم ثم عادوا للوفرة .

٥ — وفي أواسط المحرم وصل عبد العزيز الدُّوَيْش إلى « ملح » وأرسل ابن شيلان الذي معه إلى الكويت ، وقد أرسل ابن صَبَّاح لولد الدُّوَيْش ألف ريال هدية .

٦ — وفي صفر رأى عبد الرحمن القصَّبي عند ما كان في الكويت بعد العصر عند (هلال المطيري) هايف النِّقَم ، ومعلوم أن النِّقَم هو الذي هاجم الكويت من مدة قريبة ، قبل وقعة السَّيِّدة وأخذ من رعايا الكويت أسلَاحاً ومغانم ، وهو الذي شكت الحكومة البريطانية منه ، أنه الذي سبب قتل موظف اللاسلكي في إحدى الطائرات البريطانية .

٧ — وفي أوائل ربيع الأول (أغسطس) أرسل الدُّوَيْش بعد كونه على القاعة هلالاً والشهبى إلى الكويت ، ليشرأباً تم على يدى الدُّوَيْش ، من الإفساد في القاعة ، وهذان الاثنان من رجال ابن صَبَّاح ، كانا يراققان الدُّوَيْش في منزله .

٨ — وفي أوائل ربيع الأول أيضاً أرسل سُحان إلى الكويت من يبشر بأنه أخذ أهل « ثلاثين » في حنيد . والحقيقة أنه هو الذي أخذَ كلَّ ذلك الماء .

٩ — وفي التساربخ نفسه أرسل أبو ودَّ بن بشير (يدعى فيلاً) أنه أخذ إحدى عشرة سيارة في الدَّهْناء وأحرقها ، وهؤلاء قد أنزلوا الكويت وكلَّهم بكرمون .

١٠ — وفي (٥ المحرم ١٣٤٨ = ١٢ يوليو) سافر من بغداد إلى الكويت

عُبَيْد بن فَيْصَل بن حميد ، مرسلًا من قبل الملك، فيصل ، وأفضى إليه بنتيجة مهمة ، وهو يحمل في عودته كتابًا من العُصاة للملك فيصل .

١١ - وفي صفر (يوليو) عاد عُبَيْد بن فيصل بن حميد من بغداد ، مزودًا من الملك فيصل ببعض مساعدات مالية ، فوصل الكويت ، واشترى منها أربعة من الإبل وخيمة للخروج بها مع الدهينة .

١٢ - وفي ٢٠ المحرم (٢٧ يونيو) سافر من بغداد بعد مقابلة الملك فيصل ، على أبو شويربات ، ومحمد الخضرى إلى الكويت ، لمقابلة الدويش وابن مشهور وابن حثلين .

١٣ - وفي ١٤ صفر (٢١ يوليو) رجع على أبو شويربات إلى بغداد بكتب للملك فيصل ، وأخبر أنه وصل إلى الكويت ، وسار مع محمد الخضرى ، إلى أن قابل الدويش ، ثم عاد الاثنان إلى الكويت ، فاشترى الخضرى ذلولًا ، ورجع فيها إلى الدويش ، وأما أبو شويربات فعاد إلى بغداد بالكتب التى يحملها للملك فيصل ليقدّم له نتائج مساعيه .

١٤ - وفي آخر محرم سافر من بغداد إلى الكويت ، للاتصال بالعُصاة ، ومراسلتهم شعيفان أبو شَجَرَة ، ومترك بن حَجَنَة ، وبرهان الجبلى ، وعلى بن عبد الله ولد أبو شويربات ، وقد قابلوا الدويش وابن مشهور والذهينة ، وهؤلاء لا يزالون يترددون بين بغداد والكويت ، والعُصاة على مَرَأى ومشهد من الناس جميعا .

١٥ - وفي (١٧ صفر ١٣٤٨ = ٢٤ يوليو) سافر من بغداد إلى الكويت ، راجحُ بن شاهين ، ومعه حمود الخَلَمَّاش ، أحد أقرباء عبد الله بن مسفر ، مضافى الملك فيصل ، ومعهم ستة أفراس ، وقد أرسلوها للعصاة .

١٦ - قد علم عبد الرحمن القصيبي عند مروره بالكويت ، من أوثق المصادر ،

أنه وصل إلى « الزبير » ثمانية أفراس عن يد رجل تابع لعبد الله المسفر ، وفي النية إرسال هذه الأفراس إلى المُصاة ، وقد علم القُصبي من الصدر الموثوق أيضا ، أنه سبق وأرسل من العراق غير هذه من قبل للمُصاة ، وعلم القُصبي أيضا من مصدر وثيق رسمى في الكويت ، أنه وصل إلى الكويت أبو شويربات وابن حميد ، مرسلان من قبل الملك فيصل ، ولكن « المسترد كسن » عمل مافى إمكانه لمنع المذكورين من إنفاذ مطالبهم وورغائبهم .

١٧ — أن أشخير بن طوالة ، المقيم على سَفوان ؛ على اتصال دائم بالمُصاة ، وهو يحمل أخبارهم إلى بلاط بغداد ، ويقوم بالخفارة بين الملك فيصل والمُصاة ، ويقدم في الشهر مرتين أو ثلاثا على بغداد .

١٨ — أن الرسل المشجعة من الملك فيصل للدويش وابن مشهور والعجمان لم تنقطع ، وهم يخبرونهم أن الملك فيصل يقول بأن الحكومة البريطانية ستساعدهم ، متى وجدت منهم أعمالا حربية فعالة ضد ابن سعود .

وهذا نموذج من الأعمال التي وقعت من الكويت ، ومن الملك فيصل ، عرضناه على أنظار الحكومة البريطانية ، لتبين صحة شكوانا السابق من الأشراف ، ولن يتمتعوا عن العمل الذي يؤدي بالإضرار بنا ، ويؤدي لسوء العلاقات بيننا وبين البلاد المجاورة ، ويؤدي أيضا لتعكير العلاقات بيننا وبين الحكومة البريطانية ، وليس هذا الذي ذكرنا في الدرجة الأولى عندنا من الأهمية ، لأننا على يقين بحول الله وقوته ، أن هذه الدسائس لن تؤثر على موقفنا في شيء ، والأشراف كانوا عاجزين عن مقاومتنا يوم كانوا في حولهم وطولهم في الحجاز ، فالذي نصرنا عليهم يوم بأمرهم وقوتهم ، هو السكندر لنا بالقضاء على دسائسهم ، التي لم يكن من نتائجها المؤسفة ، إلا أننا اضطررنا لإزهاق تلك النفوس التي أغوتها تلك الدسائس ، وسنلحق بهم إن شاء الله تعالى ، من بقي من الذين أغواهم الشيطان والداسسون ، ومن غرتهم أنفسهم أيضا ، وهذا

لا يُهْمُنَا كثيرا ، والذي يُهْمُنَا هو علاقاتنا مع الحكومة البريطانية ، التي نحب أن نكون معها على تفاهم في سائر الشؤون ، حتى لا يقع بيننا وبينها أى تصادم ، في الحاضر ، ولا في المستقبل .

لذلك نحب بعد هذه المقدمة ، أن نبين الموقف الذى أشكل علينا ، والذي نحب أن نعرف رأى الحكومة البريطانية فيه . وذلك :

١ — في أواسط صفر ١٣٤٨ قدم من العُجَمان أهل مائة وخمسين بيتا ، ونزلوا في الشامية ، والفنتاس ، وأبو حليفة ، والشَّيبية ، وعُرَيْفِجان .

٢ — القسم الأعظم من العُجَمان نزلوا من الشامية إلى النقرة ، إلى القصور .

٣ — آل سليمان من العُجَمان نزلوا بقرين الصبيحية .

٤ — فريق من آل سفران نزلوا على عُرَيْفِجان .

٥ — الرشيدة نزلوا على القرين .

٦ — وفي ٢٥ ربيع الأول نزل الدُّوبش ومن معه من مطير ، من القرين إلى الصبيحية في حدود الكويت .

فمن هذا يتبين للحكومة البريطانية ، أن التعمد الذى نلناه من الحكومة البريطانية ، في منع التجاء المُصاة إلى أراضي الكويت ، لم تف به حكومة الكويت وهؤلاء هم العصاة قد حملوا أموالهم ونساءهم وبما يخافون عليه ، ووضعوه في مَأمن من أراضي الكويت ، وخرج أهل السلاح والكتفاح منهم لأراضى نجد ، ليعشوا فيها فسادا ، وكانت الحكومة البريطانية وعدت أنه في حين التجأهم ، ستطردهم بالقوة ، وها هم جلسوا آمنين ، ونحن على أهبة المسير إليهم ، ولا يُهْمُنَا أمر الكويت ولا من فيه ، وإنما المهم في نظرنا هو موقف الحكومة البريطانية ، إذا بقي هؤلاء في أراضي الكويت ، وأردنا الهجوم عليهم فهل لدى الحكومة البريطانية مانع من هذا ؟ وإن كان عندها مانع فيه ، فما التدبير الذى نراه للإيقاع بهؤلاء الأشقياء ، الذين كانت

أعمال شقاوتهم تصيب الكويت أكثر من إصابتها أى بلد آخر . هذا أولا . وثانيا
فإن التشجيع لا يزال يتوالى على الدُّوِش ومن معه من ملك العراق ، وآخر اقتراح قُدِّم
للتوار من الملك فيصل ، أن يسير الدُّوِش بمن معه لدخول أراضى العراق ، والسير منها
إلى أراضى سورية ، ونحن كنا أعدنا قوة للوقوف فى وجه الدُّوِش إذا أراد الفرار
لسورية ، وجعلنا تلك القوة تحت إمارة أميرنا ابن مساعد ، وقد خيم بجنوده من مدة
بعيدة على (أقبه) فما موقف الحكومة البريطانية إذا أراد هؤلاء الأشقياء أن يفروا
إلى سورية عن طريق العراق ؟

وإننا نخشى جدا أن ينفذ الوعد الذى تداوله العصاة بينهم ، بأن حكومة العراق
أولئك فيصلا وعدم أنهم إذا قصدوا ذلك ، فإنه يسحب القوة العراقية من ظريهم
ليروا . ثم يُذاع أنهم مروا من الأراضى العراقية خلسة ، بغير علم أحد بهم ، وترى
الحكومة البريطانية أنه إذا وقع هذا يضر بمصالحنا ومصلح العراق معا .

وما يقوى هذه الشبهة ، ويؤيد هذا الاحتمال . ما أخبرنا به المندوب السامى
فى العراق ، وما أخبرت الخارجية سعادة المتمد فى جُدة عن سفر بن مشهور إلى بغداد .
لتأمين هذه الغاية . فهل ترى الحكومة البريطانية مانعا من أن نرسل قوة تقف بالقرب
من حدود العراق ، تترب فرار هؤلاء الأشرار ؟ حتى إذا علمت بهم أوقعت بهم حيث
يكونون . ثم لو فرضنا أن تمكن هؤلاء من الفرار والوصول إلى سورية . فهل ترى
الحكومة البريطانية مانعا من اجتيازنا الأراضى التى يحرقها النفاذ البريطانى .
لنصل إليهم .

إن هذه أمور محتملة الوقوع بعد مسيرنا إلى العصاة . لأننا غامون بحول الله
وقوته على تعقبهم حيث يكونون . حتى نأتى على آخرهم بحول الله وقوته . فنحب أن
نعرف آراء الحكومة البريطانية بصراحة ووضوح إزاء هذه الاحتمالات : الواقع منها

مثل الالتجاء الواقع في حدود الكويت . وما هو محتمل الوقوع . كفرار الذين سيفرون إلى الأراضي السورية عن طريق العراق .

هذا ما ننتظر الجواب عنه من الحكومة البريطانية . وقد كتبنا بآل هذه الأنباء الحاصلة من الكويت والعراق للمندوب السامي في العراق . ولرئيس الخليج الفارسي لإحاطتهما علما بما يجري مخالفنا لرغائب الحكومة البريطانية وتعهداتها .

الختم الملوكي

طبق الأصل

تحريرا في ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٤٨
١٩٢٩ / ٩ / ٢٦

بشأن : محاضرة المستر فلي عن فلسطين ، وتقريره أن العرب

قابلون لهذا التقسيم ، واعتراض

المؤلف عليه

صورة كتاب مرسل إلى جلالة الملك عبد العزيز { ١٩ جاد أول سنة ٥٩
٢٧ يوليو سنة ٢٧ }

بالأمر التي مستر فلي محاضرة عن فلسطين والمشا كل العربية ، تكلم فيها
عن شخص جلالته كلاما حسنا ، لاسيما ما يتعلق برحلته ، وأما عن فلسطين فقد
دافع عن مشروع اللجنة ، كأنه عضو من أعضائها ، ولكنه اقترح أن المنطقة العربية
التي أُلحقت بالدولة اليهودية ، تلحق إما بالمنطقة العربية ، أو بسورية . وعن العقبة
تلحق بالحجاز ، لأنها قطعة منه . وقال في آخر المحاضرة : إنه يعتقد تمام الاعتقاد ،
أن العرب قابلون لهذا التقسيم ، مع هذا التمديد . فسأله أحد الحضور وهو عضو في البرلمان
من أين عرف مستر فلي بقبول العرب ؟ وهل يقصد العرب المجاورين لفلسطين ، أم عرب
فلسطين أنفسهم ؟ لأنهم يعرفون حتى الآن أن عرب فلسطين يرفضون المشروع ،
وأن العراق وسورية قد احتجتا على المشروع ؟ .

فأجاب مستر فلي بأنه لا يتكلم عن رأى خاص له ، وإنما يتكلم عن خبرة
طويلة ، ومعرفة دقيقة لبلاد العرب .

ولما كان مركزى لا يمكننى من الدخول فى مناقشة علنية فى هذه البلاد ،

فقد فضلت السكوت مؤقتاً، ولكن بعد انتهاء الجلسة أخبرت البارزين من الحاضرين بأن مستر فلبي مخطئ في نظريته . وأن رأيه شخصي فقط . وإني آسف أن تجاربه في البلاد العربية إذا كانت على هذا الحال هي تجارب خاطئة ، فوجدت الجميع متفقين معي على هذا الرأي ، وأن فلبي قد تطرف في رأيه الذي لا يتفق مع ما يفهمه الجميع ، من موقف العرب جميعاً إزاء مشروع التقسيم .

ومن الغريب أن يقول مستر فلبي هذا الكلام ، مع أني أخبرته قبل يومين . وفي نفس اليوم كنا معا في الغداء ، للحادثة في مسألة السيارات . وأخبرته بأن جلالة الملك غير راض عن المشروع ، وأنه يمدّه نكبة على الإسلام والعرب . فأنني لما إذا لم يعلن جلالة الملك رأيه ؟ فقلت له : جلالة الملك سيعلم رأيه في الوقت المناسب ، وأنه ليس من اللباقة ما دام الموضوع موضوع بحث من حكومتين ، أن تعلن إحدى الحكومتين عن رأيها في الصحف . فقال : إن رفض المشروع خطأ كبير ، وإن هذه الفرصة لا تتاح للعرب بعد ذلك ، وإن العرب إذا رفضوا المشروع ، فلن يدافع عن قضية العرب بعد ذلك . فقلت له : إن من يدافع عن العرب لا يلزمهم أن يتفقوا معه في كل آرائه ، فلكل رأيه ، وصاحب الدار أعلم .

ملحق من جلالة الملك إلى المؤلف ، ينفي فيه ما قاله « فلي »
عن رضا جلالتة بنشروع تقسيم أراضى فلسطين ، وينسكرك
على مقاله أمورا أخرى

الرقم ٢٥ / ١ / ١٢ التاريخ ٥ / ٨ / ١٣٥٦

ملحق خير إن شاء الله ، للشيخ حافظ

يجب أن تذكر لفلي من قبل المقالة التي كتبها عن فلسطين ، أنه هو حر بنفسه ،
ولا لنا عليه اعتراض ، ولكن هذه المقالة صار عليها ثلاثة أمور :

(أولا) الناس قالوا ما كتبها فلي إلا برضا ابن سعود . وأن هذا هو رأى ابن
سعود ، وأنت تعرف رأينا ، ونحن نبرأ إلى الله من هذا الرأى الذى ذكره .

(ثانيا) المسيحيون الذين يعترضون عليه ، ويتحرشون به ، قالوا : هذه بادرة من
فلي ، وستجدون منه غير ذلك . كأن يطالب بإنصاف العرب ، ويتكلم عن الإنكليز
وقد بدا له الآن تغيير الخطه ، وبالحقيقة أن مقالته فيها تغيير للخطه .

(ثالثا) أن العرب الذين ينتقدوننا ، سيقولون من أجل هذه المقالة ، الأقوال
التي أخبرتم بها . فأقنعهم أن الرجل نتق به كما نتق بأنفسنا ، وأن حيته على العرب
مشهورة ، ولا يمكن أن نقبل منه هذا الرأى . ولما نشرت هذه المقالة أثارت الناس ،
ولأهل الأغراض مقاصد وأهواء ، فإن كان عمل هذه المقالة عمدا ، وأن خطته تغيرت ،

فخو حر في نفسه ، ولا لنا اعتراض على شخص حرّ . أما إن كان على خطته السابقة ، ولهجت مع العرب ، فيقتضى أن يعلم أن المقالة مخالفة كل المخالفة لنا ، ومضرة بمصلحة العرب .

ونحن بموجب الصداقة التي بيننا وبينه ، وبموجب محسوبيته علينا ، أحببنا أن نبين له ذلك ، فإن كان على خطته التي نعرف ، فنحن نعرف مسلكه إيش هو ؟ وأما إن كان اختار طريقا ثانيا غير التي نعرفها ، فهو حر بنفسه ، لأن الحقيقة أن مقالته خبيثة ، وأحببنا أن نبين له حتى نشوف ما عنده .
أحرصوا على ذلك يكون معلوما . والسلام .

من المؤلف إلى جلالة الملك ، يتضمن أن بعض زعماء
الصهيونية (بن جوريون) طلب مقابلة جلالة الملك ، وأن
المؤلف أجاب بأن جلالة لا يرى داعيا لهذه المقابلة

٩ / ٥٤ ٢٩ شوال سنة ١٣٥٧

٩ / ١ ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٨

حضرة صاحب الجلالة الملك العظيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد طلب منا أحد زعماء الصهيونية ، واسمه (بن جوريون) أن نسمى
له في مقابلة جلالتكم ، فأجبته أن جلالتكم لاترون داعيا لمقابلة أحد من زعماء الحركة
الصهيونية ، وأخبرته أيضا أن مثل هذه الرغبة أبدت في العام الماضي ، لمقابلة سمو
ولي العهد ، بواسطة قلمي ، وأن جلالتكم رفضتم السماح بذلك . وإذا كان جلالة الملك
لايسمح بمثل هذه المقابلة مع ولي عهده ، فهو بالأولى لا يرى داعيا لمقابلة زعماء الصهيونية
بنفسه ، فاحتج بأنه صديق قلمي ، فأكدت له أن ذلك لا يغير من الموضوع لا قليلا
ولا كثيرا ، ولم أحب أن أراجعكم برفيا في هذا . لعدم أهمية الموضوع ولمعرفتي برأي
جلالتكم فيه .

وتفضلوا بقبول أسمى التحية والاحترام .

ملحق

من جلالة الملك إلى المؤلف بالمفوضية السعودية
في لندن ، يتنى عليه فيما صنع في أمر عبد الله فلي ، وتهمة
تقسيم فلسطين ، كما يتنى على سائر تصرفاته وأعماله

الرقم ٢٨ / ٦ / ١ / ٤٨٩ / التاريخ ١٣ / ١٣٥٩

ملحق للمفوضية بلندن

تلقينا كتبكم وأبحاثكم فيما يتعلق بمآلة عبد الله ، وفيما يتعلق بمآلة فلسطين ،
(رقم ١١ / ١١ تاريخ ٢٣ / ٣ / ١٣٥٩) وكل أقوالكم وكل أبحاثكم طيبة .
بارك الله فيكم . وكذلك تلقينا تقريركم بتاريخ (١٢ / ٣ / ١٣٥٩ بدون رقم)
ولا يوجد فيه شيء يحتاج إلى إرسال أى تعليقات فيه ، أو بيان أى رأى . إنما كان ذلك
وصفا لمسايعكم وأعمالكم ، التى قمتم بها فى العراق ومصر ولندن ، بحسب التعليقات التى
كنا قد أمرناكم بها . ونحن مسرورون من أخباركم ومن عملكم . ونعتقد أنه غير
خاف عليكم حرج الموقف ، فأنتم اتمهزوا القرض فى المسائل المذكورة ، بدون ضغط
على الجماعة أو تشديد ، إلا عن طريق النصيحة ، بحسب سعيكم الحاضر ، ويكون ذلك
معلوما . والسلام .

